دلائل الآداب والأحكام
من أحاديث سيد الأنام ﷺ

لجامعه وشارحه فضيلة الشيخ
محمد بن إبراهيم السمالوطي
«الحميدي المالكي»
عضو كبار العلماء سابقًا
المتوفي عام ١٣٥٣هـ

(الجزء الثاني)

هدية هيئة كبار العلماء - رمضان ١٤٤٠هـ



مجلة إسلامية شهرية يصدرها مجمع البحوث الإسلامية
تأسست عام ١٣٤٩ هـ - ١٩٣١م

انتهى الجزء الأول بالحديث رقم ٢١٢ ونكمل الكتاب بإذن الله بالحديث رقم:

٢١٣- «إن العبد إذا وضع في قبره، وتولى عنه أصحابه، حتى إنه يسمع قرع نعالهم، أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان له ما كنت تقول في هذا الرجل لمحمد ﷺ. فأما المؤمن فيقول أشهد أنه عبد الله ورسوله، فيقال: انظر إلى مقعدك من النار، قد أبدلك الله به مقعدا من الجنة، فيراهما جميعا ويفسح له في قبره سبعون ذراعا، ويملأ عليه خضرا إلى يوم يبعثون وأما الكافر أو المنافق فيقال له ما كنت تقول في هذا الرجل فيقول لا أدري، كنت أقول ما يقول الناس، فيقال لا دريت ولا تليت، ثم يضرب بمطراق من حديد ضربة بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها من يليه، غير الثقلين ويضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه».

رواه الإمام أحمد والشيخان عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

وقوله: «أَصْحَابُهُ» أي: المشيعون له ولو كانوا أجانب أو لا يعرفونه، زاد مسلم: «إِذَا انْصَرَفُوا»، وقوله: «إِنَّهُ يَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ» أي: على فرض حياته، وإلا فهو لا ترد عليه الروح إلا بعد أن يقعده الملكان، وقرع النعال: صوتها عند الدوس، وقوله: «أَتَاهُ مَلَكَانِ» بفتح اللام تثنية ملك بفتحها أيضًا وهما منكر ونكير، زاد ابن حبان والترمذي: «أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ يُقَالُ لأَحَدِهِمَا الْمُنْكَرُ وَالآخَرُ النَّكِيرُ» وفي رواية لابن حبَّان: «يُقَالُ لَهما مُنْكَر ونَكِير» زاد الطبراني في أوسطه: «أعينهما مثل قدور النحاس وأنيابها مثل صياصي البقر وأصواتهما مثل الرعد» وزاد عبد الرزاق: يحفران

الأرض بأنيابهما ويطآن في أشعارهما معهما مرزبة لو اجتمع عليهما أهل منى لم يلقوها.

وهما يأتيان الكافر والمؤمن ولو طائعًا بهذه الصورة الفظيعة لكن المؤمن يثبته الله تعالى، والأرجح أن السؤال في القبر من خصائص هذه الأمة قال بعض العلماء: الذي يظهر أن كل نبي مع أمته كذلك فتعذب كفارهم في قبورهم بعد سؤالهم وإقامة الحجة عليهم. وقوله: «فَيُقْعِدَانِه» بضم المثناة التحتية وكسر العين أي: حقيقة بأن يوسع اللحد حتى يقعد فيه أو هو تنبيهه وإيقاظه بإعادة الروح إليه في النصف الأعلى من البدن مع اتصالها بالنصف الأسفل فلا تنافي بين قول من قال ترد إلى النصف الأعلى فقط، ومن قال ترد إلى جميع البدن، فالأول محمول على الرد الحقيقي فإنه قاصر على الأعلى، والثاني محمول على السرياني فإنه في جميع البدن، وقوله: «فَيَقُولاَنِ لَهُ» أي: يقول أحدهما، والآخر حاضر ساكت مقر له على سؤاله، فنسب له القول، وقوله: «فِي هَذَا الرَّجُلِ» أي: الحاضر ذهنًا خلافًا لمن زعم أن النبي ﷺ يكون حاضرًا في القبر ولا دليل له فإن اسم الإشارة قد يستعمل في الحاضر ذهنًا، وقوله: «لِمُحَمَّدٍ» اللام بمعنى في أي: في محمد فهو بدل مما قبله بإعادة الخافض وإنما أُبهم ولم يقل في هذا النبي مثلًا اختبارًا للمسئول لئلا يتلقن نبوته من السؤال، وقوله: «فَيُقَالُ» أي: يقول له الملكان، وقوله: «فَيَرَاهُمَا» في رواية أبو داود: فيقال: له هذا بيتك كان في النار ولكن الله -عز وجل- عصمك ورحمك فأبدلك الله به بيتًا في الجنة، وقوله:

«وَيُفْسَحُ لَهُ» أي: يوسع له في قبره، وقوله: «سَبْعُونَ ذِرَاعًا» زاد ابن حبان: «في سبعين» وهذا يحتمل أن يكون تحديدًا ويحتمل أن يكون كناية عن التوسعة العظيمة، وقوله: «وَيُمْلأُ عَلَيْهِ خَضِرًا» ببناء يملأ للمفعول وبفتح الخاء وكسر الضاد من خضرًا أي: يملأ عليه ريحانًا ونحوه من النبات الأخضر ذي الرائحة العطرة، وقوله: «إلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ» إلى يوم بعث الموتى من قبورهم، وقوله: «وَأَمَّا الْكَافِرُ» أي: المعلن بكفره، وقوله: «أَوْ الْمُنَافِقُ» شك من الراوي، أو هو بمعنى الواو والمنافق: هو الذي يظهر الإيمان ويخفي الكفر، وقول: «فَيُقَالُ لَهُ» أي: يقول له الملكان أو غيرهما، وقوله: «لاَ دَرَيْتَ» بالدال من الدراية، وقوله: «وَلاَ تَلَيْتَ» بمثناة فوقية فلام فمثناة تحتية ساكنة من التلاوة أي: القراءة، أبدلت الواو ياء للمزاوجة بينه وبين دريت أي: لا فهمت ولا قرأت أو هو من تلا بمعنى تتبع أي: لا فهمت بنفسك ولا تبعت من يفهم، وقوله: «ثُمَّ يُضْرَبُ» بالبناء للمفعول أي يضربه الملكان، وقوله: «بمطراقٍ مِنْ حَدِيدٍ» بكسر الميم بوزن مفتاح أي: مرزبة متخذة منه، تقدم في رواية عبد الرزاق: أنه لو اجتمع عليها أهل منى لم يلقوها. وقوله: «يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ» أي: من جميع جهاته من جميع الحيوانات، وقوله: «غَيْرَ الثَّقَلَيْنِ» بفتحتين أي: من الإنس والجن سميا بذلك لثقلهما على الأرض أو لثقل التكليف عليهما وإنما لا يسمعانها لأنهما لو سمعاها لأعرضا عن المعاش، وعن دفن من مات منهما، وقوله: «تَخْتَلِفَ أَضْلاَعُهُ» أي: تشتبك يمناها في يسراها من شدة الضغط والتضييق، وهذا التضييق عقوبة للكافر،

وأما ضغطة القبر وضمته فتلك عامة لا ينجو منها أحد ولا استمرار لها، وفي الحديث إثبات سؤال القبر وأنه لكل أحد إلا ما استثني بدليل آخر، وهم الشهيد في المعركة، والمرابط، والمطعون، ومن مات في زمن الطاعون بغير طعن إذا كان صابرًا محتسبًا يعلم أنه لا يصيبه إلا ما كتب الله له، والذي لم يبلغ الحلم؛ لأن السؤال خاص بالمكلف، ومقتضاه أن المجنون مثل الصبي، ومن مات يوم الجمعة أو ليلتها، وقارئ سورة:

﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾

(تبارك: ١)

كل ليلة، وبعضهم يضمّ إليها سورة السجدة، ومن قرأ:

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾

(الإخلاص: ١)

في مرض موته، وقال بعضهم: إن هؤلاء يُسألون أيضًا والأخبار الدالة على أنهم لا يُسألون محمولة على أنهم لا يُفتنون في القبر، والتعبير بالقبر جرى على الغالب وإلا فلا فرق بين المقبور وغيره من غريق وحريق ولو سُحِقَ وذُرِّيَ في الهواء، ومن أكلته السباع؛ وسبب الحديث: أن النبي ﷺ دخل نخلًا لبني النجار فسمع صوتًا ففزع، فقال: من أصحاب هذه القبور؟ فقالوا: يا رسول الله ناس ماتوا في الجاهلية، فقال: نعوذ بالله من عذاب القبر ومن فتنة الدجال، فقالوا: وما ذاك يا رسول الله؟ فقال: إن العبد.. .إلخ وفي الحديث أيضًا أن في القبر عذابًا للكفار بل ورد أن بعض العصاة

يعذبون في قبورهـم، والأحاديث في ذلك صحيحة صريحة، نعوذ باللـه من عذاب القبر والدنيـا والآخرة ومن فتنة المحيا والممات ونسـأله العفو والعافية في الدنيا والآخـرة وما بينهما بمنه وكرمه وببركة رسوله ﷺ.

٢١٤- «إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقي لها بالا، يرفعه الله بها له درجات، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالا يهوي بها في جهنم».

رواه الإمام أحمد والبخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه.

قولـه: «إِنَّ الْعَبْدَ» أي: الإنسـان، وقوله: «لَيَتَكَلَّـمُ» هذه رواية الأكثـر، وفي روايـة أبـي ذر الهـروي: «يَتَكَلَّمُ» بغيـر لام، وقوله «بِالْكَلِمَـةِ» المُـراد بهـا اللفظ الـدال على المعنى طـال أو قصر، وقولـه: «مِنْ رِضْـوَانِ اللـه» حـال من الكلمة أي: حـال كونها من الكلام الذي يرضى به الله لما فيها من خير كشفاعة ودفع مظلمة ونصيحـة وإدخال سـرور على مسـلم والألف واللام فـي الرضوان زائدتان للمبالغة في الرضا، وقوله: «لاَ يُلْقِي لَهَا بَالاً» بضم المثناة التحتية وسـكون اللام وكسـر القـاف، أي: لا يتأملها ولا يلتفت إليهـا ولا يعتد بها، والجملة حال ثانية قُصد بها عدم عناية قائلها بها لظنه أنه لم يعمل شيئًا كبيرًا فهي صغيرة عنده كبيرة عند اللـه تعالى كما يدل عليه ما رواه أصحاب السـنن مرفوعًا: «إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَتَكَلَّـمُ بِالْكَلِمَةِ مِـنْ رِضْوَانِ اللـه مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ فَيَكْتُبُ اللـه عَزَّ وَجَلَّ لَـهُ بِهَا رِضْوَانَـهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ» وقال في السـخط المقابـل لهذا مثل ذلـك، وقوله: «يَرْفَعُهُ اللـه بِهَـا دَرَجَاتٍ» جملة

مسـتأنفة وقعت جوابًا لسـؤال مقـدر كأنه قيل: فمـا حظه منها؟ فقيل: يرفعه، وقوله: «يَهْوِي» بفتح المثناة التحتية وسكون الهاء وكسـر الواو أي: ينزل سـاقطًا وروى الشـيخان والإمام أحمد عن أبي هريرة مرفوعًا: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مَا يَتَبَيَّنُ مَا فِيهَا يَزِلُّ بِهَـا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مَا بَيْنَ الْمَشْـرِقِ وَالْمَغْرِبِ» ومعنى ما تبيّن بها: ما يفطن لها وما يدقق النظر فيها، وقوله: «يَزِلُّ بِهَا فِي النَّارِ» بفتح المثناة التحتية وكسـر الزاي أي: يَسـقط فيها، وقوله: «أَبْعَدَ... إلخ» أي: مسـافة بعيدة في جهة السـفل، أي من المسافة التي بين المشرق والمغرب، والمقصود حثّ المكلف على قلة الكلام وأن يتأمل ما يقول فإن كان خيرًا فليقل وإلا فليصمت.

٢١٥- «إن العرق يوم القيامة ليذهب في الأرض سبعين باعا وإنه ليبلغ إلى أفواه الناس أو إلى آذانهم».

رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه.

قولـه «إِنَّ الْعَرَقَ» بفتح الراء أي: رشـح البـدن في الموقف يوم القيامة، وقوله: «سَـبْعِينَ بَاعًا» المراد بـه المبالغة في كثرة نزوله فـي الأرض لا التحديد بهذا العدد، وقد ورد: أن من عرق في الدنيا بسـبب طاعة كقضاء حاجة مسـلم وقاه الله تعالى العرق. وقوله: «وَإِنَّـهُ لَيَبْلُغُ إِلَى أَفْوَاهِ النَّاسِ أَوْ إِلَى آذَانِهِمْ» وهذا بيان لأكثره، وقد ورد أنـه يكون أقل من ذلك فهو بحسـب الأعمـال ويحتمل عرق نفسـه أو مع عرق غيره وبسـبب ذلك العرق تراكم الأهوال ودنو الشـمس مـن الـرءوس، وتفاوته بالقلّـة والكثرة مع اسـتواء أرض

الموقف أمر خارق للعادة، نسأله تعالى النجاة من أهوال يوم القيامة وأن يجعله خير أيامنا بمنّه وكرمه.

٢١٦- «إن الغادر ينصب له لواء يوم القيامة، فيقال ألا هذه غدرة فلان بن فلان».

رواه مالك في الموطأ والشيخان عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

قوله: «إِنَّ الْغَادِرَ» أي: الخائن لمن عاهده أو أمنه، وقوله: «يُنْصَبُ لَهُ لِوَاءٌ» أي: يرفع له علم خلفه تشهيرًا له بالغدر وتفضيحًا له على رءوس الأشهاد، وفي رواية يرفع بدل ينصب وهما بمعنى واحد لأن الغرض الإظهار، وقوله: «فَيُقَالُ» أي: يُنادى عليه يومئذ وقوله: «أَلاَ» بالتخفيف: حرف تنبيه، وقوله: «هَذِهِ غَدْرَةُ فُلاَنِ بْنِ فُلاَنٍ» أي: هذه الحالة والهيئة الحاصلة جزاء غدرته، والغدرة المرة الواحدة من الغدر وإنما كانت عقوبة الغدر بنصب اللواء لأن الغالب أن تكون العقوبة بضد الذنب، ولما كان الغدر من الأمور الخفية ناسب أن تكون عقوبته بالتشهير، ونصب اللواء أشهر شيء عند العرب وظاهر الحديث أن لكل غدرة لواء فيكون للشخص الواحد عدّة ألوية بعدد غدراته.

٢١٧- «إن القبر أول منازل الآخرة فإن نجا منه فما بعده أيسر منه وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه»[1].

رواه الترمذي وقال: حسن غريب.

---

(١) رواه الترمذي وكذا ابن ماجه والحاكم عن عثمان بن عفان رضي الله عنه.

قوله: «فَإِنْ نَجَا مِنْهُ» أي: سلم الميت من العذاب الذي يقع فيه، وقوله: «فَمَا بَعْدَهُ أَيْسَرُ مِنْهُ» أي: فما يلاقيه بعد القبر من أهوال الحشر أهون مما في القلب، وقوله: «وَإِنْ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ...إلخ» أي: من لم يخلص من عذاب القبر فالذي يلاقيه بعده من العذاب والأهوال أشد مما أصابه فيه، فما يحصل في القبر عنوان ما سيصير إليه، فإن سهل فما بعده أسهل وإن صعب فما بعده أصعب نسأل الله النجاة من كل عقبة.

٢١٨- «إن الذي يأكل في آنية الفضة والذهب إنما يجرجر في بطنه نار جهنم».

رواه مسلم عن أم سلمة رضي الله عنها.

قوله: «يجرجر»: بضم المثناة التحتية وفتح الجيم الأولى وسكون الراء بعدها جيم مكسورة أي: يصيب ويسحب، فذلك من أسباب حرق النار لبطنه، وذلك ما لم يتب كما ورد في رواية.

٢١٩- «إن الذين يصنعون هذه الصور يعذبون يوم القيامة يُقال لهم أحيوا ما خلقتم».

رواه الشيخان عن عبد الله بن عمر.

قوله: «أحيوا» أي: اجعلوا فيها حياة بخلق الروح فيها وهم لا يقدرون، وهو كناية عن طول مدة التعذيب وزيادته لا دوامه إلا إذا استحل ما أجمع على تحريمه منها، فإنه يكون كافرًا، أو هو مُخلّد في النار.

٢٢٠- «إن الماء طهور لا ينجسه شيء».

رواه الإمام أحمد والترمذي عن أبي سعيد الخدري ﵁، وحسّنه الترمذي، وصححه الإمام أحمد.

ومعنـاه: أن المـاء إذا أصابته نجاسـة لا تسـلب طهوريته عند عدم تغيره بها، ولو قَلّ عند المالكية، وبشـرط كثرته عند غيرهم وتفصيله في الفروع.

٢٢١- «إن المرأة خُلقت من ضلع لن تستقيم لك على طريقة، فإن استمتعت بها استمتعت بها وبها عوج، وإن ذهبت تقيمها كسرتها، وكسرها طلاقها».

رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه.

ومعناه: أن حواء خُلقت من ضلع آدم، وطبع الضلع الاعوجاج، فهـن تابعـات لأمهـن في الخلـق من أصل أعـوج، فعلـى المرء أن يداريهـا، ويحتمـل عوجها ليبلغ حاجته منها ولـو بتعب، فإنه إذا أخـذ يُقوّمها ويزيل عوجها لم يجد طريقًا لذلك إلا طلاقها، وذلك مضيع للغرض المقصود منها.

٢٢٢- «إن المرأة تُقبِل في صورة شيطان وتُدبِر في صورة شيطان، فإذا رأى أحدكم امرأةً فليأت أهله، فإن ذلك يرد ما في نفسه».

رواه الإمام أحمد ومسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

ومعنى كونها في صورة الشيطان: اتصافها بصفته وهي الإيقاع في الفتنـة؛ لأنها تدعو الرجال إلى الفتنة فتُميل قلوبَهم إليها كما يفعل الشيطان بوسوسته وتزيينه.[٢]

(٢) ليس المراد من الحديث أن كل امرأة تقبل في صـورة شيطان، إنما المراد المرأة التي تخرج في تبرج وسفور فتفتن الرجال (المجلة).

٢٢٣- «إن المرأة تُنكح لدينها ومالها وجمالها، فعليك بذات الدين تربت يداك».

رواه الإمام أحمد ومسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

ومعناه: احرص على المرأة صاحبة الدين الصالحة للتمتع بها، ولا تقتنع بمجرد الجمال والمال، وقوله: «تَرِبت يداك» أي: التصقتا بالتراب، وهي كناية عن الفقر، وليس يراد به الدعاء بل الحث على الامتثال، أو هو دعاء عليه حقيقة إن لم يفعل ما آمره به.

٢٢٤- «إن المسلم إذا عاد أخاه المسلم لم يزل في مخرفة الجنة حتى يرجع».

رواه الإمام أحمد ومسلم عن ثوبان رضي الله عنه.

قوله: «عاد أخاه» من العيادة بكسر العين وبالمثناة التحتية، أي: زاره في مرضه، وقوله: «لم يزل في مخرفة الجنة» أي: في حدائقها وبساتينها وثمارها؛ لأن سعيه هذا في هذه الدار سببٌ لذاك في تلك الدار، والمخرفة: بفتح الميم وسكون الخاء المعجمة وفتح الراء بعدها هي: البساتين التي تخترف وتُجتنى منها الثمار، وقيل: المراد بالمخرفة الطريق أي إنه في حال عيادته في طريق وسبب يوصله إلى الجنة، ولا تنافي بينهما فتدبر.

٢٢٥- «إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن -عز وجل- وكلتا يديه يمين الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا».

رواه الإمام أحمد ومسلم، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

قوله: «إن المقسطين» أي: العادلين، فقوله: «على منابر» هو على حقيقته، وقوله: «عن يمين الرحمن» مثل هذا يجب صرفه عن ظاهره، وإن المراد به معنى يليق به تعالى، ثم هذا المعنى المراد طريقة السلف السكوت عنه لعدم ورود نص به[٣]، وطريق الخلف الخوض فيه بما يوافق استعمال أهل اللغة؛ فيراد هنا باليمين المنزلة الرفيعة، ويدل على أن لفظ اليمين مصروف عن ظاهره قوله: «وكلتا يديه يمين» فإن اليدين الحقيقتين ليستا يمينين -تعالى الله عما لا يليق به-، وقوله: «الذين يعدلون... إلخ» كالتفسير للمقسطين وهو التسوية في القضاء بينهم وبين الأجانب، وقوله: «وما ولوا» بفتح الواو وضم اللام المخففة أي: ما كان لهم عليه ولاية ولهم فيه تصرف، وهو عطف عام على خاص لشموله لما يقضون فيه، ولما هم عليه ولاية بدون قضاء وحكم، كنظر على وقف، وقيام على يتيم، وفي رواية «ولوا» بضم الواو واللام المشددة مبنيا للمفعول.

٢٢٦- «إن المكثرين هم المقلون يوم القيامة، إلا من أعطاه الله تعالى خيرًا، فنفح فيه يمينه وشماله وبين يديه ووراءه، وعمل فيه خيرًا».

رواه الشيخان عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه.

---

(٣) طريقة السلف في مثل هذه الصفات التي يوهم ظاهرها تشبيه الله بخلقه، التفويض بمعنى أنهم يقولون إن المعنى الحقيقي غير مراد ثم يفوضون المعنى المراد لله ويقولون: الله أعلم بمراده. أما المتسلفة المعاصرون فيثبتون المعنى الحقيقي ثم يفوضون الكيفية، فتتنبه إلى الفارق الدقيق بينهما.

قوله: «إن المكثرين...إلخ» المراد الإكثار من المال والإقلال من ثواب الآخرة، وهذا فيمن كثُر ماله ولم يعمل فيه خيرًا كما يدل عليه قوله: «إلا من أعطاه» وقوله: «خيرًا» أي: مالًا حلالًا، وقوله: «فنفح» بفتح النون والفاء أي: أعطى كثيرًا بغير تكلف، وصرفه في الخير وزاد الجهات الأربع دون الفوق والتحت لندرة الإعطاء من هاتين الجهتين، والمراد بالجهات وجوه الخير وأنواع البر، فقوله: «وعمل فيه خيرًا» أي: إحسانًا وتقربًا وطاعة كالتفسير لما قبله، والله أعلم.

٢٢٧- «إن الميت ليعذب ببكاء الحي».

رواه الشيخان عن عمر ﵁.

قوله: «ببكاء الحي» أي: إذا كان بكاءً مُحرمًا بأن اقترن بنياحة وتعديد، وكان قد أوصى به، وأظن أنهم يفعلونه ولم يوصهم بتركه، وأما مجرد إرسال الدموع من غير صياح ولا تعديد فجائز والصبر أجمل.

٢٢٨- «إن النذر لا يُقرِّب من ابن آدم شيئًا لم يكن الله قدره له، ولكن النذر يوافق القدر فيُخرِج بذلك من البخيل ما لم يكن البخيل يريد أن يخرجه».

رواه مسلم عن أبي هريرة ﵁.

قوله: «لا يقرب...إلخ» هو بتشديد الراء المكسورة أي: إن النذر المعلق على شيء كقول الإنسان: إن شفى الله مريضي أو قضى حاجتي فله عليّ نذر أن أتصدق بكذا، لا يسوق إلى العبد الناذر خيرًا لم يُقدّر له، ولا يدفع عنه شرًا قُدِّر له، وقوله: «ولكن النذر...إلخ» معناه أنه قد يحصل الغرض موافقةً لأن الله قدّر

حصوله، وقد لا يحصل لأنه لم يُقدّر حصوله، فإذا صادف المقدور كان ذلك سببًا في بذل المال المنذور، والذي لولا النذر ما كان يبذله الناذر تطوعًا منه لبخله، فأراد الله بالنذر أن يخرج من ماله ما أراد، والنذر ما أغنى عنه شيئًا، واختلف العلماء في هذا النذر فقيل: إنه قربة، وقيل: إنه مكروه، واستظهر بعضهم أنه قربة في نذر التبرر (٤) دون غيره، ومحل ذلك علم الفقه.

وروى الإمام أحمد بسند على شرط الشيخين: «إن النذر لا يُقدّم شيئًا، ولا يؤخر، وإنما يُستخرَج به من البخيل»(٥).

٢٢٩- «إن اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم».

رواه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه.

والمعنى أن عادتهم أنهم لا يصبغون شعور لحاهم ورءوسهم، فخالفوهم واصبغوا ندبًا لكن بغير السواد؛ فإنه لا يجوز إلا في الجهاد إرهابًا للعدو، وللفقهاء سلفًا وخلفًا في ذلك أقاويل تفاصيل محلها علم الفروع، وأما خضب اليدين والرجلين فلا يجوز للرجال إلا للتداوي.

٢٣٠- «إن إبراهيم حرم بيت الله وأمّنه، وإني حرمت المدينة ما بين لابتيها لا يُقلع عضاهها ولا يُصاد صيدها».

رواه مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

---

(٤) نذر التبرر: هو أن يلتزم قربة إن حدثت نعمة أو ذهبت نقمة. (المجلة).

(٥) رواه الإمام أحمد والحاكم عن ابن عمر رضي الله عنهما.

ومعنــى كون إبراهيم «حرم بيت الله» : أنه أظهر حرمته، ومعنى كونه «أمّنه» : أنه جعله مأمنًا بأمر الله، كما قال تعالى :

﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ﴾

(آل عمران : ٩٧)

وقولــه : «لابتيهــا» تثنيــة لابة، وهــي الحــرة أرض ذات حجارة سود، وللمدينة لابتان شرقية وغربية، وهي فيما بينهما، فحَرَمُها عَرضًــا ما بيــن اللابتين، وطولًا ما بين الجبليــن : عير وثور، بفتح أولهما اســما جبلين هناك، وقوله : «عضاهها» عضاها بكسر أوله وتخفيف الضاد المعجمة : كل شجر له شوك أي : لا يُقطع شجرها النابت بنفســه مطلقًــا، ولا ضمــان على قاطع شــجرها ولا صائد صيدها، وإلا كان آثمًا .

٢٣١- «إن إبراهيم ابني، وإنه مات في الثدي، وإن له ظئرين تكملان رضاعه في الجنة».

رواه الإمام أحمد ومسلم عن أنس رضي الله عنه .

قوله : «في الثدي» أي : في ســن الرضاع، وهو ابن ســتة عشر أو ثمانية عشــر شــهرًا، وقوله : «ظئرين» تثنية ظئر، بهمزة ســاكنة ويجــوز تخفيفهــا، وهــي الناقة تعطف علــى غير ولدها، شــبه به المرضع والحاضنة، كما يُقال للرجل الحاضن ظئر أيضًا .

٢٣٢- «إن إبليس يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه فأدناهم منه منزلةً أعظمهم فتنةً يجيء أحدهم فيقول فعلت

كذا وكذا. فيقول: ما صنعتَ شيئًا، ويجيء أحدهم فيقول: ما تركته، فرقت بينه وبين أهله؛ فيدنيه منه ويقول نعم أنت».

رواه الإمام أحمد ومسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

قوله: «يضع عرشه على الماء» أي: يضع سرير ملكه على الماء، ويجلس عليه، وقوله: «سراياه» جمع سرية وهي: القطعة من الجيش، والمراد جنوده وأعوانه، أي يرسلهم إلى بني آدم لإغوائهم وإيقاع البغضاء والشرور بينهم، وقوله: «فأدناهم» أي: أقربهم، وقوله: «أعظمهم فتنةً» أي: أشدهم فسادًا، وقوله: «كذا وكذا» كناية عن تعداد الشرور التي عملها كحمل الناس على سرقة أو قتل أو زنا أو شرب خمر، وقوله: «فيقول... إلخ» أي: يقول إبليس لبعض أولاده حين يجيء إليه ويخبره بما عمل في يومه من أنواع الفساد: ما صنعت شيئًا أصلًا، وقوله: «ما تركته» أي: الرجل المفهوم من السياق، وقوله: «فيدنيه منه» أي: يقرب إبليس ابنه ذلك الذي سعى في الفراق بين الزوجين. وقوله: «نعم أنت» بكسر النون وسكون العين: فِعل جامد يفيد المدح لما يليه، وفاعله محذوف، أي: نِعم الولد، ولفظ أنت هو المخصوص بالمدح يشكر فعله لإعجابه بصنيعه لبلوغه الغاية التي أرادها، والمقصود من الحديث: التحذير من هذا الفعل الشنيع الذي لا يصدر إلا من أشد أولاد إبليس فسادًا، ويفرح به إبليس أشد الفرح؛ لأن التفريق بين الزوجين فيه مفاسد كثيرة منها أنه يخشى بعده الوقوع في الزنا وانقطاع النسل ومما يحبه الشيطان وأيضًا من قبيح الأعمال، ويرسل إليه أقوى جنوده للحيلولة بين العبد وبين

إنفـاذ معروفه وصدقته، روى الطبرانـي مرفوعًا: «إن إبليس يبعث أشـد أصحابه وأقوى أصحابه إلى مَن يصنع المعروف في ماله»[٦]. أعاذنا الله من فتنة الشيطان وإغوائه.

٢٣٣- «إن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين»[٧].

وقولـه: «ابني» يشـير إلى الحسـن بـن علي رضـي الله عنهما - وقوله: «سـيد» أي: حليم كريم، وقوله: «ولعل... إلخ» تَرَجّي ﷺ وقـوع ذلك، وقد حقـق الله رجاءه، وقوله: «يصلح به» أي: بسـبب عمله الذي يعمله، وقد تنزه عن الإمارة وعزل نفسـه عنها، وتركها لمعاوية، وقوله: «من المسلمين» يرد قول مَن زعم أن الفرقتين ليستا من المسلمين، قبّح الله رأيهم، فأحسن السبل أن نسكت عما جرى بينهم ونكله إلى الله، أو نُئوله بما فيه ثواب لهم، وكان الحسن رضي الله عنه حليمًا فاضلًا وَرِعًا، أداه إلى ترك الإمارة رغبة فيما عند الله، ولم يكن تركهـا من قلة ولا مـن علة ولا من ذلة، بل لحقن دماء المسـلمين، فراعى أمر الدين ومصلحته، وتسكين الفتنة. وكانت وفاته رضي الله عنه سنة خمسـين أو تسع وأربعين، ودُفن بالبقيع إلى جانب أمه فاطمة رضي الله عنها، وظهر مصداق قول الرسول ﷺ «وسيصلح الله به... إلخ» فإنه ترك الأمر عن اختيار وحقن دماء المسلمين وأسكن الفتنة.

٢٣٤- «إن أبواب الجنة تحت ظلال السيوف».

رواه مسلم عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

---

(٦) رواه الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٧) رواه البخاري عن أبي بكرة رقم ٢٧٠٤.

والمقصود: الحث على الجهاد وأنه سبب لدخول الجنة بسرعة إذا استشهد أو استحقاق دخولها إن لم يستشهد.

٢٣٥- «إن أتقاكم وأعلمكم بالله أنا».

رواه البخاري عن عائشة رضي الله عنها.

قوله: «أتقاكم» أي: لله، يعني أشدكم تقوى وخشية واجتهادًا فيما يرضيه، وتنزهًا عن مناهيه، وقوله: «وأعلمكم» أي: أكثركم علمًا وأعرفكم بالله، وكلما كان العبد أعلم وأعرف كان أتقى وأخوف، وسبب الحديث: كما جاء في البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا أمرهم من الأعمال بما يطيقون قالوا: إنا لسنا كهيئتك يا رسول الله، إن الله قد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، فيغضب حتى يُعرف الغضب في وجهه، ثم يقول: «إن أتقاكم... إلخ» ومعناه: أنه كان إذا أمرهم بما يسهل عليهم دون ما يشق خشية أن يعجزوا عن المداومة عليه مع مداومته على الأعمال الشاقة، طلبوا منه أن يكلفهم بما يشق عليهم لاعتقادهم أنهم محتاجون للمبالغة في العمل لرفع درجاتهم، وأنه غني عن ذلك بما أكرمه الله تعالى، فرد عليهم بأنهم ليسوا مثله في تحمل الأعمال الشاقة، وبأن ما أعطي من الكرامة ورفع الدجات لا يوجب قلة العمل، بل يقتضي الازدياد منه شكرًا للمنعم كما قال في حديث آخر: «أفلا أكون عبدًا شكورًا»[٨].

٢٣٦- «إن أحب أسمائكم إلى الله عز وجل عبد الله وعبد الرحمن».

---

(٨) جزء من حديث متفق عليه عن عائشة رضي الله عنها.

رواه مسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما.

قولـه: «إن أحب أسـمائكم.. .إلخ» هذا بالنسـبة لمـن أراد أن يتسمى بالعبودية، فلا ينافي أن أحب الأسماء محمد وأحمد؛ ولذا اختاره الله لأحب خلقه، أو المعنى أنه من أحب الأسماء».

٢٣٧- «إن أحدكم إذا قام في صلاته، فإنه يناجي ربه. أو إن ربه بينه وبين القبلة...».

رواه البخاري عن أنس رضي الله عنه.

قولـه: «بينه وبين القبلة» المقصود: تعظيم أمر القبلة، وأن الله مطلـع على ما بينه وبين القبلة المأمـور بالتوجه إليها في الصلاة، وأن المرء في حالة قُرب ومناجاة كأنما وقف أمام سـلطانه فليعمل مـا جرت العادة أن يعمـل مع العظيم حال مناجاتـه؛ فهو من باب التمثيل المقصود به التقريب من الأفهام.

٢٣٨- «إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا نطفةً، ثم يكون علقةً مثل ذلك، ثم يكون مضغةً مثل ذلك، ثم يبعث الله ملكًا ويؤمر بأربع كلمات، ويُقال له: اكتب عمله ورِزقه وأجَلَه، وشقي أو سعيد، ثم ينفخ فيه الروح، فإن الرجل منكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى لا يكون بينه وبينها ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخل النار، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخل الجنة».

رواه الشيخان عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

قولـه : «إن أحدكـم» أي : الواحـد منكـم فصـح اسـتعماله في الإثبات ، وقوله : «خلقه» بفتح الخاء المعجمة وسـكون اللام ، أي المني الذي يخلق منه بعد انتشاره في البدن كله ، وقوله : «في بطن أمـه» أي : فـي رحمها ، وقوله : «أربعين يومًا نطفـةً» أي : إن النطفة تمكث هذه المدة لتتخمر في الرحم حتى تتهيأ للتصوير ؛ لأن ماء الرجـل إذا لاقى ماء المـرأة بالجِمـاع ، وأراد الله أن يخلق من ذلك جنينًـا هيّأ أسـباب ذلك ؛ لأن في رحـم المرأة قوتين قوة انبسـاط عنـد ورود مني الرجل حتى ينتشـر في جلد المـرأة ، وقوة انقباض بحيث لا يسـيل مـن الفرج من كونه منكوسًـا ، ومع كـون المني ثقيلًا بطبعه ، ومني الرجل أبيض ثخين فيه قوة الفعل ، ومني المرأة أصفر رقيق ، وفيه قوة الانفعال ، فعند امتزاجهما يكون مني الرجل بمنزلة المنفحة للبن ، فكما لا يصلح اللبن أن يكون جبنًا أو زبدًا بـدون منفحة ، كذلك مني المـرأة لا يصلح أن يتخلق منه الولد إلا إذا انضـم إليه مني الرجل ، وقوله : «ثم يكون علقةً مثل ذلك» أي : إنه بعد مضي الأربعين الأولى يصير قطعة دم غليظ جامد ، ويمكث كذلك حتـى يمضي أربعون يومًا ، وقوله : «ثـم يكون مضغةً» أي : قطعـة لحم قَدْر مـا يُمضغ ، وقوله : «مثل ذلـك» أي تمكث مضغة مثل الزمن الذي مكثته علقة وهو أربعون يومًا ، وقوله : «ثم يرسـل الملـك» أي : بعد مضـي الأربعين الثالثة علـى المضغة يبعث الله ، وفي رواية : يرسـل الله ملـكًا ، وهو الموكل بالنفـوس ، فينفخ فيه الـروح وهي ما به الحياة ، والإرسـال ظاهر إن كان هذا الملك غير المـوكل بالرحم ، فإن كان هو معنى الإرسـال أمره بذلك ، وقوله :

«ويؤمر بأربع كلمات» أي: أربع جُمل وقضايا مركبة تركيبًا إسناديًا كما قال:

وكلمة بها كلام قد يؤم.

وقوله: «ويُقال له اكتب» أي: بين عينيه كما رواه البزار. وقوله: «عمله» أي: ويكتب هو شقي أو هو سعيد بالرفع خبر لمحذوف، والشقي مَن استوجب النار، والسعيد مَن استوجب الجنة، أي: إن الملك يكتب واحدة منهما، فيقول هو شقي أو هو سعيد، والمراد بكتابة هذه الأمور كلها أن الله يظهرها للملك ويطلعه عليها، ويأمره بكتابتها، وإلا فقضاء الله بذلك سابق أزلًا، جف القلم بما أنت لاقٍ، والمراد بسعادته وشقاوته ما يختم الله به من خير أو شر، كما يدل عليه باقي الحديث، وقوله: «ثم ينفخ فيه الروح» أي: بعد تمام صورته، وأصل النفخ إخراج النفَس بفتح الفاء من جوف النافخ إلى جوف المنفوخ، وليس ذلك مرادًا، إنما المراد أنه يكون حيًا بكلمة كن فيكون، ووقع في رواية مسلم: «ثم يرسل الله إليه الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات» فظاهره أن النفخ قبل الكتابة، وما هنا في هذه الرواية بخلافه، وطريق الجمع بينهما أن يقال: إن الرواية الأولى صريحة في تأخير النفخ للتعبير فيها بثم، والرواية الأخرى محتملة فترد على الصريحة لأن الواو لا تقتضي ترتيبًا، ومعنى إسناد النفخ للملك أنه يفعله بأمر الله تعالى، وإسناده إلى الله تعالى أن يدخل الروح في الجسد بقدرته. قال ابن العربي: الحكمة في كون الملك يكتب ذلك كونه قابلًا للنسخ والمحو بخلاف ما كتبه الله تعالى، فإنه لا

يتغير، وقوله: «فإن الرجل منكم» المراد بالرجل مطلق الإنسان، وقوله: «ليعمل بعمل أهل الجنة» أي: من الطاعات الاعتقادية والقولية والفعلية، وقوله: «حتى لا يكون» قال ابن حجر في شرح الأربعين: هو بالرفع، قوله: «إلا ذراع» تصوير لقربه من الجنة، وقوله: «فيسبق عليه الكتاب» أي: يغلب عليه ما كُتِب من الشقاوة والعياذ بالله تعالى، وقوله: «فيعمل بعمل أهل النار» الباء زائدة، والأصل: فيعمل عمل أهل النار ظاهره أنه يعمل المعاصي التي تؤدي إلى دخول النار فيختم له بها، وقيل إن المعنى أنه لا عبرة بظواهر الأعمال السابقة بحسب الحقيقة، وإن كانت معتبرة من حيث كونها علامة فينفذ فيه ما كتب له لا مقتضى عمله، وقوله: «فيدخل النار» أي: يوم القيامة، وقوله: «وإن الرجل...إلخ» يُقال فيه نظير ما قيل فيما قبله مما يناسبه فتدبر.

٢٣٩- «إن أمتي يدعون يوم القيامة غرًا محجلين من آثار الوضوء، فمَن استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل».

رواه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه.

قوله: «إن أمتي» أي: أمة الإجابة أي: الذين كانوا يتوضئون في الدنيا، وقوله: «يُدعون» بالبناء للمفعول أي: يسمون أو ينادون بذلك، كأن يُقال لهم: يا أيها الغر المحجلون، أو إنهم يكونون كذلك عند دعائهم وإن لم ينادوا بذلك العنوان والإنصاف بذلك أو النداء به: إما في موقف الحساب أو عند الميزان أو الصراط أو الورود على الحوض، أو دخول الجنة أو غير ذلك، وقوله: «غرًا» بضم الغين المعجمة وتشديد الراء جمع أغر، وهو مَن له غُرة

بضم الغين، وهي في الأصل بياض بجبهة الفرس فوق الدرهم، ثم استعملت في الجمال والشهرة وطيب الذكر، والمراد بها هنا النور الذي يكون في وجوه أمة محمد ﷺ، وقوله: «محجلين» بصيغة جمع اسم المفعول من التحجيل، وهو بياض يكون بثلاث قوائم من قوائم الفرس، والمراد هنا أيضًا النور الذي يكون بأيدي وأرجل المتوضئين من هذه الأمة، وقوله: «من آثار الوضوء» يعني: أنهم اختصوا بالغرة والتحجيل في أعضاء الوضوء وإن لم يكن الوضوء خاصًا بهم؛ لأنه كان مشروعًا للأمم قبلهم كما صرحت به الأحاديث الصحيحة، وقوله: «فمن استطاع منكم أن يطيل غرته» أي: وتحجيله فهو من باب الاكتفاء أو أردا بالغرة ما يشمل التحجيل، وقوله: «فليفعل» أي: ندبًا بأن يغسل مع وجهه من مقدم رأسه وعنقه ما يزيد على الوجه، ومع يديه مما فوق المرفقين، ومع رجليه مما فوق الكعبين كذلك، كذا قال الشافعية، وحمله على إدامة الطهارة، والله أعلم.

٢٤٠- «إن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون ولا يتفلون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يمتخطون، ولكن طعامهم ذلك جشاء ورشح كرشح المسك يلهمون التسبيح والتحميد كما تُلهمون أنتم النفس».

رواه الإمام أحمد ومسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

قوله: «جشاء» بجيم وشين معجمة وبالمد بوزن غراب: صوت مع ريح يخرج من الفم عند الشبع، وقوله: «ورشح» أي: عرق،

وقولـه: «يُلهمـون» بالبناء للمفعـول، ومثله: «تُلهمـون» وقوله: «النَّفس» بفتح الفاء.

٢٤١- «إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تراءون الكوكب الدري الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم».

رواه الإمام أحمد والشيخان عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

قولـه: «الغـرف» بضم ففتح: جمع غرفة بضم فسـكون: وهي بيـت صغير فوق الدار، والمراد القصـور العالية، وقوله: «الدري» أي: الشـديد الإضاءة، نسـبةً إلى الدر لصفـاء لونه وخلوص نوره، وقوله: «الغابر» بالباء الموحدة أي: الباقي بعد انتشار الفجر؛ لأنه حينئذ يرى أشد ضوءًا.

٢٤٢- «إن أول الآيات خروجًا طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضحًى، فأيتهما ما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على أثرها قريبًا».

رواه الإمام أحمد ومسلم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

قوله: «ما كانت» روي بإسقاط لفظ: «ما».

٢٤٣- «إن بين يدي الساعة كذابين فاحذروهم».

رواه الإمام أحمد ومسلم عن جابر بن سمرة رضي الله عنه.

قولـه: «كذابيـن» بصيغـة جمـع المذكـر السـالم؛ قيـل: هم الذين ينقلـون الأخبار الموضوعـة وأهل العقائـد الزائغة، وقوله: «فاحذروهم» أي: خافوا شَـرَّ فتنتهم، واكشـفوا عوراتهم، وبينوا للناس ما خفي من مفاسدهم.

٢٤٤- «إن بين يدي الساعة أيامًا ينزل فيها الجهل، ويُرفع فيها العلم، ويكثر فيها الهرج، والهرج القتل».

رواه الإمام أحمد والشيخان عن ابن مسعود رضي الله عنه، وأبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

قوله: «ينزل فيها الجهل» أي: الأمور الشاغلة عن العلم، فهي أسباب الجهل.

وقوله: «ويُرفع فيها العلم» أي: بموت العلماء، وقوله: «الهرج» هو بسكون الراء، وقوله: «والهرج القتل» قِيل هذا التفسير لأبي موسى الأشعري رضي الله عنه، وفي رواية: والهرج بلسان الحبشة القتل.

٢٤٥- «إن خياركم أحسنكم قضاءً».

رواه الإمام أحمد والبخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه.

والمراد بالقضاء: وفاء الدين.

٢٤٦- «إن رجالًا يتخوضون في مال الله بغير حق فلهم النار يوم القيامة».

رواه البخاري عن خولة الأنصارية رضي الله عنها.

«يتخوضون» أي: يتصرفون، والمراد ذم الولاة الذين يتصرفون في بيت المال بغير حق وتوعدهم بالنار على ذلك.

٢٤٧- «إن ساقي القوم آخرهم شربًا».

رواه الإمام أحمد ومسلم عن أبي قتادة الأنصاري رضي الله عنه.

قوله: «ساقي القوم» أي: الذي يسقيهم ماءً أو لبنًا، وألحق به مفرق نحو الفاكهة واللحم، وقوله: «آخرهم شربًا» أي: وكذلك هو آخرهم تناولًا فيما لا شرب كالفاكهة، وهذا أدب من آداب

شــرب المــاء واللبن ونحوهمــا، وللحديث قصة رواها مســلم في صحيحه.

٢٤٨- «إن شر الرعاء الحطمة».

رواه الإمام أحمد ومسلم عن عائذ بن عمرو رضي الله عنه.

قوله: «الرعاء» بكسر أوله وبالمد: جمع راع، والمراد به الذي يظلم الرعية ولا يرحمهم، أو هو الأكول الحريص.

٢٤٩- «إن شر الناس منزلةً يوم القيامة مَن تركه الناس اتقاء فحشه».

رواه الشيخان عن عائشة رضي الله عنها.

أي: تركوا مخاطبته وتجنبوا معاشــرته خوفًا من صدور القبيح منه قولًا أو فعلًا.

٢٥٠- «إن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام».

رواه الإمام أحمد والشيخان عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

والمراد بالنساء المفضل عليهن: زوجاته اللاتي في زمنها، فلا يرد أن خديجة ونحو فاطمة من أولاده ﷺ أفضل منها.

٢٥١- «إن في الجمعة لساعةً لا يوافقها مسلم قائم يصلي يسأل الله خيرًا إلا أعطاه إياه».

رواه مالك في الموطأ، والإمام أحمد ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه.

قوله: «لســاعةً» أي: جزء من الزمان يســير، وقوله: «يوافقها» أي: يصادفها ويقع دعاؤه فيها، وقوله: «يسأل الله» تفسير لقوله:

«يصلــي» فالمراد الصــلاة اللغوية: وهي الدعاء، وفــي تعيين هذه الساعة أقوال شتى، والله أعلم.

٢٥٢- «إن في الجنة بابًا يُقال له الريان، يدخل منه الصائمون يوم القيامة، لا يدخل منه أحد غيرهم يُقال: أين الصائمون؟ فيقومون، فيدخلون منه، فإذا دخلوا أُغلِق، فلم يدخل منه أحد».

رواه الإمام أحمد والشيخان عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه.

والمراد بالصائمين: مَن أكثروا الصوم في الدنيا.

٢٥٣- «إن في الجنة لشجرةً يسير الراكب الجواد المضمر السريع في ظلها مئة عام ما يقطعها».

رواه الإمام أحمد والشيخان، عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري وسهل بن سعد الساعدي رضي الله عنهم.

قوله: «لشــجرةً» هي طوبى المُسماة بســدرة المنتهى، وقوله: «الجــواد» بالتخفيــف: الجيد من الخيــل، و«المضمّر» بتشــديد الميم المفتوحة اســم مفعول هو الــذي يُقلّلون علفه ويمنعونه من الهواء حتى يخف لحمه، و«الســريع» شــديد الجــري ويتجوز في الأوصــاف الثلاثة نصبها على المفعولية للراكب، وجرها بإضافته لمفعوله ولا تمنع اللام منها كما هو مقرر في مثله.

٢٥٤- «إن في ثقيف كذابًا ومبيرًا».

رواه الإمــام أحمد ومســلم عن أســماء بنت أبي بكــر رضي الله عنها.

معناه: ســيظهر في بني ثقيف وهم قوم الحجاج الثقفي رجلان أحدهما شــديد الكذب كثيره، وقد تحقق ذلك في المختار بن أبي

عبيد؛ كان كذوبًا، ومن أقبح كذبه دعواه النبوة، وثانيهما: مبير: أي: مهلك سفاك للدماء، وقد ظهر مصداقه في الحجاج بن يوسف الثقفي عَامَله الله بعدله.

٢٥٥- «إن قدر حوضي كما بين أيلة وصنعاء من اليمن، وإن فيه من الأباريق، كعدد نجوم السماء».

رواه الشيخان عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

قوله: «أيلة» بفتح الهمزة وسكون المثناة التحتية بعدها لام فهاء تأنيث هي: مدينة بقرب العقبة بطرف بحر القلزم من طرف الشام يمر عليها الحاج المصري وهي الآن خراب، وقوله: «صنعاء» اليمن اسم مدينة باليمن، وأضافها إليه احترازًا من التي بالشام، وقوله: «الأباريق» وفي راوية: «وكيزانه» وقوله: «عدد نجوم السماء» إما حقيقة ولا مانع منه، وإما مبالغة في الكثرة، سقانا الله منه بفضله وكرمه.

٢٥٦- «إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث شاء».

رواه مسلم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

ومعناه: إن قلوب الآدميين كلها في قبضة قدرته سبحانه وتعالى يتصرف فيها ويقلبها كيف يشاء كقلب واحد، لا يمتنع عليه منها شيء، وضرب لذلك مثلًا بما اعتاده الناس من سهولة التصرف في الشيء اليسير الذي يكون بين الإصبعين.

٢٥٧- «إن كذبًا عليّ ليس ككذب على أحد، مَن كذب عليّ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار».

رواه الشيخان عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه.

قوله: «على أحد» أي: غيري، وقوله: «فليتبوأ» أي: فليتخذ له متبوأ ومسكنًا، وهو أمر بمعنى الخبر، أو هو بمعنى التحذير أو التهكم، أو هو دعاء على مَن يفعل ذلك، والله أعلم.

٢٥٨- «إن لله تسعةً وتسعين اسمًا مئةً إلا واحدًا، مَن أحصاها دخل الجنة».

رواه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه.

قوله: «تسعةً وتسعين اسمًا» أي: هذا العدد من ضمن أسمائه، وإلا فأسماؤه لا يحصيها غيره تعالى، وإن عدّها بعضهم ألفًا، وقوله: «مئةً إلا واحدًا» بنصب مئة على البداية، ورفعها على الخبرية لمبتدأ محذوف، وأما قوله: «إلا واحدًا» فيجوز نصبه على الاستثناء، ويجوز رفعه أيضًا على أن (إلا) اسم بمعنى (غير) فيكون صفة لمئة إلا واحدًا تقرير العدد في نفس السامع جمعًا بين الإجمال والتفصيل، وحذرًا من تصحيف تسعة وتسعين بالمثناة الفوقية أوله بسبعة وسبعين بالباء الموحدة بعد السين المهملة لقربهما في صورة الرسم، وقوله: «مَن أحصاها» أي: حفظها كما في رواية: «أو اعتقد معانيها» والراجح الاحتمال الأول.

٢٥٩- «إن لله تعالى ما أخذ وله ما أعطى وكل شيء عنده بأجل مسمى فلتصبر ولتحتسب».

رواه الشيخان عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما.

قال أسامة: أرسلت إلى النبي صلى الله عليه وسلم بعضُ بناته أن ابنًا لي قبض أي: قارب أن يقبض فأت إلينا، فأرسل يقرئ السلام ويقول: «إن

لله . . .إلخ» فأرسلت إليه تقسم عليه ليأتينها ، فقام ومعه سعد بن عبادة ومعاذ بن جبل وأبي بن كعب وزيد بن ثابت ورجال فرُفع إلى النبي ﷺ الصبي ونفسه تقعقع ففاضت عينا رسول الله ﷺ فقال : سعد : ما هذا ؟ فقال : «هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده ، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء» .

٢٦٠- «إن للمؤمن في الجنة لخيمةً من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها ستون ميلاً للمؤمن فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضًا».

رواه مسلم عن أبي موسى الأشعري ﷺ .

وفي بعض الروايات : ثلاثون ، وفي بعضها غير ذلك ، ويمكن أن يكون ذلك بحسب تفاوت درجات المؤمنين .

٢٦١- «إن لكل أمةٍ أمينًا ، وإن أمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح».

رواه البخاري عن أنس ﷺ .

قوله : «أمينًا» أي : ثِقةً مرضيًا ، وقوله : «وإن أمين هذه الأمة» أي : الزائد على غيره في الأمانة ، كما زاد عثمان في الحياء ، وعلي في القضاء ، فلكل خصوصية الزيادة على غيره من الأمة في صفته وإن شاركه غيره فيها ، وقوله : «أبو عبيدة» هذه كنية ، واسمه عامر ، وأبوه عبد الله بن الجراح بن أهيب بن ضبة بن الحارث بن فِهر ، وفيه يجتمع مع النبي ﷺ .

٢٦٢- «إن لكل نبيٍّ حواريًا ، وإن حواريي الزبير».

رواه البخاري عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما .

قوله: «حواريًا» هو: الوزير أو الناصر أو الخليل وخاصة الأصحاب، والزبير هو ابن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي، يجتمع مع النبي ﷺ في قصي، وعدد ما بينهما من الآباء سواء، وأمه صفية بنت عبد المطلب عمة النبي ﷺ، وكنيته أبو عبد الله رضي الله عنه، وللحديث سببٌ ذكره البخاري عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، قال النبي ﷺ: «مَن يأتيني بخبر القوم يوم الأحزاب؟ قال الزبير: أنا. فقال النبي ﷺ: إن لكل...إلخ» فذكره، وعند النسائي: لما اشتد الأمر يوم بني قريظة، قال رسول الله ﷺ: «مَن يأتينا بخبر القوم؟» وفيه أن الزبير توجه إلى ذلك ثلاث مرات، والمراد بالقوم يوم الأحزاب: هم قريش وغيرهم لما جاءوا إلى المدينة وحفر النبي ﷺ الخندق بلغ المسلمين أن بني قريظة من اليهود نقضوا العهد الذي كان بينهم وبين المسلمين، ووافقوا قريشًا على حرب المسلمين.

٢٦٣- «إن لي أسماءً: أنا محمد وأنا أحمد، وأنا الحاشر الذي يُحشر الناس على قدمي، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا العاقب الذي ليس بعده نبي».

رواه مسلم عن جبير بن مطعم رضي الله عنه.

قوله: «على قدمي» بكسر الميم وسكون الياء، ويجوز فتح الميم وتشديد الباء على أنه مُثنى، ومعنى يُحشر الناس يحشرون بعده، وعليه يكون حاشر بمعنى: المحشور أولًا مجازًا، ويُحتمل أن المراد أن الذي حشر الناس وجمعهم تحت دعوته؛ لأنه بُعِث إلى الناس كافة، وقوله: «يمحو الله بي الكفر» أي: أهله؛ ولعل المراد من جزيرة العرب فلا ينافي وجودهم في زمنه وبعد وفاته

إلـى الآن فمـا بعده على أن لفـظ الحديث ليس فيه مـا يفيد محو الجميـع، وعلـة التسـمية لا توجبها؛ فقـد مُحي كفـر بغيره من الأنبياء أيضًا فليُتدبر.

٢٦٤- «إن من أشراط الساعة أن يُرفع العلم، ويظهر الجهل، ويفشو الزنى، ويُشرب الخمر، ويذهب الرجال وتبقى النساء حتى يكون لخمسين امرأة قيّم واحد».

رواه الشيخان عن أنس رضي الله عنه.

قوله: «يُرفع العلـم» أي: تدريجيًا بموت أهله كما في حديث، وبذلك يظهر الجهل، وقوله: «ويفشـو الزنى» أي: يظهر كما هو في رواية مسـلم، «ويُشـرب الخمر» أي: يكثر شـرّابها ويتجاهر النـاس به، وقولـه: «ويذهب الرجال» أي: أكثرهـم فيُقتلون بقتل بعضهم بعضًا كما في حديث: أنه يكثر الهرج وهو القتل، ولا مانع من أن يكون أكثر حمل النسـاء بالإناث فهو سبب آخر لكثرتهن، وقوله: «لخمسـين امرأة» يحتمل أن يـراد حقيقة العدد المذكور، وأن يكون كناية عن الكثرة، وقوله: «القيم» أي: القائم بشـئونهن ومصلحتهـن، ويحتمل أن يطأ هذا العـدد الكثير لغلبة الجهل في ذلك الزمان بالأحكام الشرعية.

٢٦٥- «إن من أشراط الساعة أن يتدافع أهل المسجد لا يجدون إمامًا يصلي بهم»

رواه مسلم عن سلامة بنت الحر الفزارية رضي الله عنها.

قولـه: «يتدافع... إلخ» أي: يدفع بعضهـم بعضًا ليتقدم، فكلٌّ يريد التأخر عن الإمامة، وقوله: «لا يجدون... إلخ» أي: لقلة العلم وظهور الجهل حتى بأحكام الصلاة.

٢٦٦- «إن من أعظم الأمانة عند الله يوم القيامة الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه ثم ينشر سرها».

رواه مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

ومعناه: إن من أعظم خيانة الأمانة المعاقب عليها في الآخرة: خيانة الرجل الذي يجامع حليلته ثم يُحدث الناس بما جرى بينه وبينها وقت الاستمتاع بها مما يُستحى من ذكره ويقبح التحدث به وما أخسه رجلًا، وقوله: «الرجل» بالنصب اسم إن.

٢٦٧- «إن من أعظم الفرى أن يدعي الرجل إلى غير أبيه أو يري عينيه ما لم تريا، ويقول على رسول الله ما لم يقل».

رواه البخاري عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه.

قوله: «الفرى» بكسر الفاء وبراء مفتوحة: جمع فرية بكسر فسكون، أي: إن أشنع أنواع الكذب وأشدها عقوبة هذه الكذبات الثلاثة، وقوله: «يدعي» فتح الياء والدال مشددة، وكسر العين أي: ينتسب، وقوله: «يري» بضم المثناة التحتية وكسر الراء: يَدّعي أن عينيه رأتا في المنام شيئًا وهو لم يره، وأما تقوله على الرسول فهو كذب على الله، ودعوى أنه أوحى إليه بهذا مع أنه لم يوحه إليه؛ فيترتب على ذلك فساد في الدين، وأن يدخل فيه ما ليس منه.

٢٦٨- «إن هذا المال خضر حلو، فمَن أخذه بحقه بُورك له فيه، ومَن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه، وكان كالذي يأكل ولا يشبع، واليد العليا خير من اليد السفلى».

رواه الشيخان عن حكيم بن حزام رضي الله عنه.

قوله: «خضر حلو» بكسر الضاد المعجمة في الأول وضم الحاء المهملة في الثاني، وهو تشبيه للمال من حيث الرغبة فيه وشدة حرص النفوس عليه بالفاكهة الخضرة المستلذة، فإن كلًا من وصفها موجب للرغبة فيها على انفراد، فكيف إذا اجتمعا؟! وقوله: «بحقه» في رواية البخاري: «بسخاوة نفس» أي: بغير شر ولا إلحاح من الآخذ أو برضا نفس المعطي، وقوله: «بورك له فيه» أي: فيستعين به على الطاعة ويصرفه في وجوه الخير، وقوله: «بإشراف نفس» بالهمزة وسكون الشين المعجمة أي: طمعها وحرصها عليه، وقوله: «كالذي يأكل ولا يشبع» أي: إن البركة تنزع منه، وصاحبه لا يقنع به، بل كلما نال من المال شيئًا ازداد حرصًا، فكان مثل من ابتلي بداء الجوع الكاذب، كلما أكل ازداد شرهًا، وقوله: «اليد العليا» هي: المعطية، وقيل: المتعففة، وقوله: «السفلى» هي: الآخذة أو السائلة لغير احتياج.

٢٦٩- «إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب الشهر هكذا وهكذا وهكذا، وعقد الإبهام في الثالثة، والشهر هكذا وهكذا يعني تمام ثلاثين».

رواه مسلم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

قوله: «أمة أمية» أي: قومًا أميين نِسبةً إلى الأم لبقاء الإنسان على حال الأم من عدم معرفة الكتابة والحساب، بمعنى العد أي: لا نعرف حساب النجوم وسيرها، فلا نعول إلا على رؤية الهلال في مواقيتنا الشرعية، فإنا نراه مرة بعد تسع وعشرين،

ومرة بعد ثلاثين ؛ فالشهر تارة يكون ثلاثين يومًا ، وتارة يكون تسعًا وعشرين ، وبرؤية الهلال يُعرف نقص الشهر وتمامه» .

٢٧٠- «إنا لن نستعمل على عملنا مَن أراده».

رواه الشيخان عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه .

أي : لا نولي على عملنا مَن طلب أن يكون عاملاً ، قاله النبي حين طُلب منه ذلك .

٢٧١- «إنكم ستلقون بعدي أثرةً حتى تلقوني غدًا على الحوض».

رواه الشيخان عن أسيد بن حضير رضي الله عنه .

قوله : «أثرةً» بفتحات أو بفتح فكسر ، أو سكون المراد بها : استئثار ولاة الأمور بأموال الفيء ، فيصرفونها لغير المستحق ، وقيل المراد بها : الشدة ، وقيل : إنه إشارة إلى صيرورة الأمور إلى غيرهم فيختصون بالأموال ، وكان الأمر كما قال ، وحكى بعضهم في ضبطها الفتحات وضم الهمزة مع سكون الثاء المثلثة وبفتح فسكون ، وقوله : «حتى تلقوني» أي : حتى تموتوا فيكون اللقي عند الحوض ، فيومئذ تنتصفون ممن ظلمكم .

٢٧٢- «إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها فافعلوا».

رواه الشيخان عن جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه .

قوله : «كما ترون هذا القمر» التشبيه في مجرد وضوح الرؤية وعدم الارتياب فيها ، وقوله : «لا تضامون» إما من التضام

فيكــون فيه حــذف إحدى التاءيــن تخفيفًا ، والأصــل تتضامّون بتشــديد الميــم المضمومة ، وإمــا الضم فتُضم تــاؤه وتخفيف ميمــه ، فيكون المعنــى على الأول لا ينضــم بعضكم إلى بعض مــن ضيق ، كما يحصل عند محاولة رؤية الشــيء الخفي ، وعلى الثانــي لا ينالكــم ضيــم في رؤيتــه أي : لا يظلــم بعضكم بعضًا بالمزاحمــة حتى يراه البعــض دون البعض لســهولة النظر لكل أحد ، وقولــه : «فإن اســتطعتم . . .إلخ» يفيــد أن المحافظة على صلاتي الصبح والعصر من أقوى أســباب الرؤية ، ولعله خصهما لاجتمــاع الملائكــة ورفع الأعمــال عندهما ، والمشــقة الأولى بميل النفس عند دخول وقتها للاســتراحة بالتمادي على النوم ، ومشــقة الثانية باشــتغال النــاس بمعاملاتهم ، فمَــن حافظ على أدائهمــا كان لغيرهما أحفظ ، فكأنه أشــار إلى أن الأحق بالرؤية مَن حافظ على أداء الصلوات في أوقاتها ، والله ورسوله أعلم .

٢٧٣- «إنكم ستحرصون على الإمـارة، وإنها ستكون يوم القيامة حسرةً وندامةً، فنعمت المرضعة وبئست الفاطمة».

رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه .

قال : قلت : يا رسول الله ألا تستعملني فذكر الحديث .

قوله : «ستحرصون» بكســر الراء ويجوز فتحها ، وقوله : «على الإمارة» بكسر الهمزة أي : الولاية العامة أو الخاصة ببعض الجهات والبلــدان ، ونحو القضــاء والفتوى ، وقوله : «ســتكون يوم القيامة حســرةً وندامةً» أي : ســيندم ويتحســر يوم القيامة مَن تولاها بغير أهليــة لها ولم يعدل فيها ، وإن كان فيها جاه ونفاذ كلمة وحصول

لذات حسية ووهمية، فشبهها في حصول لذاتها ابتداءً بالمرأة المرضعة بجامع تحصيل اللذات، وشبه انقطاع لذاتها وحصول الندامة بعد ذلك بفطم المرأة ولدها في صعوبة ذلك عليه، كفانا الله شرورها وهمومها بمنه وكرمه.

٢٧٤- «إنما الربا في النسيئة».

رواه مسلم عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما.

قال النووي: إنه منسوخ، وقد أجمع المسلمون على ترك العمل بظاهره، وهذا يدل على نسخه، وتأوله المتأخرون تأويلين: أحدهما: أنه محمول على غير الربويات، وهو كبيع الدَّين بالدَّين مؤجلًا كأن يكون له عنده ثوب موصوف فيبيعه بعبد موصوف مؤجلًا، فإن باعه به حالًا جاز، الثاني: أنه محمول على الأجناس المختلفة، وأن لا ربا فيها من حيث التفاضل، بل يجوز تفاضلها يدًا بيد اهـ.

أي: فليس المراد أن الربا إنما هو النسيئة دون التفاضل كما قد يتوهم، ومَن قال بالنسخ مراده نسخ مفهومه، وهو عدم الربا في التفاضل مع أنه أشد تحريمًا، وأما منطوقه فمعمول به لا نسخ فيه؛ فإن ربا النسيئة حرام كربا التفاضل.

٢٧٥- «إنما الطاعة في المعروف».

رواه البخاري عن علي رضي الله عنه.

قال: بعث النبي ﷺ سريةً وأمّر عليها رجلًا من الأنصار، وأمرهم أن يطيعوه فغضب عليهم وقال: أليس النبي ﷺ أمر أن تطيعوني؟! قالوا: بلى. قال: عزمت عليكم لما جمعتم حطبًا

وأوقدتـم نـارًا ثم دخلتم فيهـا ، فجمعوا حطبًا وأوقـدوا نارًا ، فلما همـوا بالدخول قام بعضهم ينظر إلى بعـض ، قال بعضهم لبعض ، إنمـا بُعِث النبي ﷺ فرارًا من النـار أفندخلها ؟ ! فبينما هم كذلك إذ أخمـدت النار فسـكن غضبه فذكر ذلك للنبـي ﷺ فقال : «لو دخلوها ما خرجوا منها أبدًا ، إنما الطاعة في المعروف» فذكره .

٢٧٦- «إنما الماء من الماء».

رواه مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

ومعناه : إنما يجب الغسـل بالماء من خروج الماء وهو المني ، وهو محمول على الرؤية في النوم ، أو هو منسوخ بخبر الصحيحين : «إذا جلس بين شعبها الأربع ثم أجهدها وجب الغسل» . زاد مسلم : «وإن لم يُنزل» .

٢٧٧- «إنما المدينة كالكير تنفي خبثها وتنصع طينها».

رواه الشيخان عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما .

قوله : «كالكير» بالياء المثناة تحت ، وهو : رق ينفخ به الحداد ، وقولـه : «تنفـي» بفـاء مخففة مـن النفـي ، ورُوي : «تنقـي» بقاف مشددة من التنقية ، وقوله : «خبثها» بفتحتين أو بضم فسكون ضد الطيـب ، وقوله : «وتنصع» فتح التاء المثناة فوق ، وسـكون النون وفتـح الصـاد المهملة آخره عين مهملة أي : تنفـي لأنها إذا أنفت الخبيـث بقي الطيب وتميز ، قال ﷺ لما بايـع أعرابيًا فحصل له مرض فرجع وقال : أقلني من هذه البيعة . فلم يرض ﷺ ، فكرر ثانيًا وثالثًا فلم يرض ، فخرج من المدينة بنفسـه فذكر الحديث إشـارة إلـى أنه خبيث أخرجتـه المدينة ، وقوله «أقلنـي» يحتمل أن مراده

أقلنـي من المبايعـة على الإسـلام، أو من الإقامة معـك بالمدينة، وهـذه صفة المدينة في زمنه ﷺ، وكـذا عند نزول الدجّال يخرج منها أقوام إليها، أما الآن ففيها الطيب والخبيث، وهذا ما لم يكن الخروج لنحو حج وغزو وطلب علم.

٢٧٨- «إنما الناس كإبل مئة لا تكاد تجد فيها راحلةً».

رواه الشيخان عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

ومعنـاه: أن المستحســن المرضـي عنه مـن الناس عزيـز جدًّا كعزة الراحلة أي: النجيبة القادرة على الأحمال والأسفار من الإبل الكثيـرة، والراحلة تُطلـق على الذكر والأنثـى، وقوله: «إبل مئة» بتنوينهما.

٢٧٩- «إنما الولاء لمن أعتق».

رواه البخاري عن عائشة رضي الله عنها.

ومعناه: أن الولاء الذي هو لحمة كلحمة النسب يرث به السيد عتيقتـه بعد عصمة النسـب، إنما يثبـت لمن أعتـق العبد، وكذا عصبـة المعتـق الذكر دون باقـي الناس، فلو شـرطه المعتق لغيره أو باعـه أو وهبـه لـم يصح ذلك، كمـا لا يصح فـي القرابة، وهذا قاله لعائشة لما أرادت شراء بريرة وشرط مواليها الولاء لأنفسهم، فبيّن بُطلان شرطهم، فذكر الحديث.

٢٨٠- «إنما أنا بشر، وإنكم تختصمون، فلعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض، فأقضي له على نحو ما أسمع، فمَن قضيت له بحق مسلم فإنما هو قطعة من النار فليأخذها أو ليتركها».

رواه الإمـام مالك في موطئه، والإمام أحمد والشـيخان، عن أم سلمة رضي الله عنها.

قولـه: «ألحن بحجته» أي: أفطن وأبلغ وأقدر على بيان ما يدل علـى دعواه بحيث يظـن صدقه، وقوله: «فإنما هـو قطعة» تأنيث الضميـر لمراعاة الخبر؛ أي: إن ما قضيت له به ظاهرًا، وهو يعلم أنـه حق لغيره لو بقـي على حيازته ولم يرده على صاحبه اسـتحق عقـاب النار، فـإن حكم الحاكـم لا يُحل حرامًـا ولا يُحرّم حلالًا، فليتـق الله عنـد ظلم أخيـه، ولا يأكل أمـوال النـاس بالباطل، ولو حكم له به الحاكم، وقوله: «فليأخذها أو ليتركها» ليس المراد به التخيير، وإنما المراد به التهديد.

٢٨١- «إنما أجلكم فيما خلا من الأمم كما بين صلاة العصر إلى مغارب الشمس، وإنما مثلكم ومثل اليهود والنصارى كمثل رجل استأجر أجراء فقال من يعمل من غدوة إلى نصف النهار إلى صلاة العصر على قيراط قيراط؟ فعملت النصارى، ثم قال: مَن يعمل من العصر إلى أن تغيب الشمس على قيراطين قيراطين؟ فأنتم هم، فغضبت اليهود والنصارى وقالوا: ما لنا أكثر عملًا وأقل عطاءً؟! قال هل ظلمتكم من حقكم شيئًا؟ قالوا لا. قال: فذلك فضلي أوتيه من أشاء».

رواه الإمام مالك في موطئه، والإمام أحمد والبخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

قوله: «فيما خلا» أي: بالنسـبة إلى آجال الأمم السابقة، وقوله: «مغـارب» رُوي بالجمـع والإفـراد، وجمعهـا باعتبـار تعـدد أزمان

الغـروب بتعدد الأيام، وقوله: «وإنما مثلكم» أي: مع نبيكم، ومثل اليهود والنصـارى مع أنبيائهم، وقوله: «أجـراء» بوزن علماء جمع أجير، فالمثـل مضروب للأمم مع أنبيائهم، والممثل به الأجراء مع من اسـتأجرهم للعمل، وقوله: «قيراط قيراط» بالتكرير مرتين أي: نصيب من الأجر، وهو في الأصل نصف دانق، والدانق سدس درهم، وتكريـره للدلالة على أن لـكل واحد قيراطًا، لا أن الكل لهم قيراط واحد، وقوله: «فعملت اليهود» أي: مَن مات منهم قبل نسخ دينهم وهو مؤمن بنبيه، ومثله يُقال في النصارى، وقوله: «فأنتم هم» أي إن الذين مثلوا بمن اسـتؤجروا بقيراطين هم أنتم يا معشر المسلمين، وهـذا الحديث رواه البخاري في صحيحه بلفظ: «إنما بقاؤكم فيما سـلف قبلكم من الأمم، كما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس، أعطـي أهـل التـوراة التـوراة، فعملوا بها حتـى انتصـف النهار، ثم عجـزوا، فأعطوا قيراطًـا قيراطًا، ثم أعطي أهـل الإنجيل الإنجيل، فعملوا به حتى صلاة العصر، ثم عجزوا، فأعطوا قيراطًا قيراطًا، ثم أعطيتـم القرآن فعملتم به حتى غروب الشـمس، فأعطيتم قيراطين قيراطين، قال أهل التوراة: ربنا هؤلاء أقل عملاً وأكثر أجرًا. قال هل ظلمتكم من أجركم من شـيء؟ قالوا: لا. فقـال فذلك فضلي أوتيه مَن أشاء». وخلاصة معنى الحديث أن هذه الأمة مع قِصر آجالها وقلة أعمالها أكثر أجرًا ممن قبلهم من اليهود والنصارى بسبب مضاعفة أجورهم فضلًا من الله وإحسانًا ببركة نبيهم ﷺ.

٢٨٢- «إنما أنا بشر، وإني اشترطت على ربي -عز وجل- أي عبد من المسلمين شتمته أو سببته أن يكون ذلك له زكاةً وأجرًا».

رواه الإمام أحمد ومسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما

قوله: «اشترطت على ربي» أي: سألته فأجابني، وقوله: «زكاةً» أي: زيادة في الخير، وقد رُوي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما حديث لفظه: سألت الله عز وجل أن لا يستجيب دعاء حبيب على حبيبه[٩]. وما ألطف اعتذار الرءوف الرحيم ﷺ بقوله: «إنما أنا بشر» أي: أغضب كما يغضب البشر حسبما تقتضيه الطبيعة البشرية، وربما بدرت مني كلمة سب أو شتم وقت الغضب، لكن رأفتي بأمتي اقتضت أن أسأل ربي ألا يستجيب دعوتي على مَن سببته أو شتمته، بل لم يكفني ذلك حتى طلبت من ربي أن يبدل ذلك بما هو خير لي فأعطاني ما سألت، جزاه الله عن أمته أحسن الجزاء، فقد جعله لهم رحمة ونعمة.

٢٨٣- «إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد».

رواه الإمام أحمد والشيخان عن عائشة رضي الله عنها.

والمراد بالشريف: الوجيه وذو العشيرة، وقوله: «تركوه» أي: لم يقيموا عليه حد السرقة، كما يُفهم من المقابل، وفي رواية: «إنما هلك الذين من قبلكم...إلخ» والمراد بالهالكين قبلهم ناس

(٩) رواه الديلمي، انظر فيض القدير للمناوي.

مــن بني إســرائيل كانوا يداهنــون في الأحكام والحدود، وســبب الحديث كما في البخاري: أن قريشًــا أهمتهــم المرأة المخذومية التي ســرقت وأراد ﷺ قطع يدها فقالوا: مَن يكلم رســول الله ﷺ ومن يجترئ عليه إلا أســامة حِبُّ رســول الله ﷺ؟! فلما كلمه قال لــه: «أتشــفع في حد من حدود الله؟!» ثم قــام فخطب فقال: «أيها النــاس، إنمــا أهلك...إلخ» ثم قال: «وأيــم الله، لو أن فاطمة بنت محمد لقطعت يدها».

٢٨٤- «إنما جُعِل الاستئذان من أجل البصر».

رواه الشيخان والإمام أحمد عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه.

ومعنــاه: إنما شُــرِع طلب الإذن فــي الدخول علــى غير كراهة أن يقــع بصر الداخل على مــا يكره المدخول عليــه أن يطلع على غيره؛ وســبب الحديث كما في البخــاري أن رجلًا اطلع في حجرة رسول الله ﷺ وكان معه ﷺ مدرًى يحك به رأسه، فقال: «لو أعلم أنــك تنظرني لطعنت به في عينك إنما جعل الاســتئذان...إلخ».

والمِدرى: بكســر الميم وسكون الدال المهملة قيل: هي مشط له أسنان يسيرة، وقيل: عود يشبه المسلة، وقيل غير ذلك.

٢٨٥- «إنما سمي الخضر لأنه جلس على فروة بيضاء فإذا هي تهتز تحته خضراء»

رواه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه.

و«الخَضِر» بفتح فكســر أو ســكون، ويجوز بكســر فســكون قيل: هو لقبه، وأما اسمه فهو (بَلْيَا) بموحدة مفتوحة فلام ساكنة فمثناة تحتية مفتوحة فألف مقصورة، وكنيته أبو العباس، واختُلِف

في حياته ونبوته، وقال بعض العلماء: إنه ليس بنبي، إنما هو عبدٌ صالح من أولياء الله، والفروة البيضاء أرض لا نبات فيها، وقيل: حشيش أبيض، وقيل: الفروة وجه الأرض، وقيل: الهشيم من النبات، وقوله: «تهتز» أي: تتحرك وقوله: «خضراء» فتح فسكون منونًا أي: نباتًا أخضر، ورُوي خضراء كحمراء، واختُلِف: هل كان في زمن الخليل أو بعده بقليل أو كثير.

٢٨٦- «إنما مثل الذي يصلي ورأسه معقوص مثل الذي يصلي وهو مكفوف».

رواه مسلم والإمام أحمد عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

وحاصل معناه: تشبيه المصلي الذي يجمع شعره تحت عمامته أو نحو ذلك بمشدود اليدين إلى الكتفين في الكراهة التنزيهية، ومثله في ذلك تشمير الثياب، والجمهور على كراهة ذلك للمصلي سواء تعمد للصلاة أو كان قبلها لسبب آخر، وهو ظاهر المنقول عن الصحابة -رضي الله عنهم- وخص بعضهم النهي بمن فعله للصلاة، لا إن كان قبلها لمعنى آخر.

٢٨٧- «إنما هلك مَن كان قبلكم باختلافهم في الكتاب».

رواه مسلم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

وسببه؛ ما قاله عبد الله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما- قال: هجرت إلى رسول الله ﷺ يومًا قال فسمع أصوات رجلين اختلفا في آية، فخرج علينا رسول الله ﷺ يعرف في وجهه الغضب، فقال: «إنما هلك... إلخ».

والمـراد بـ «الكتاب» : الكتـب المنزلة علـى أنبيائهم، فكفر بعضهم بكتاب بعضهم، فهلاكهم عبارة عن كفرهم، فحذر الناس أن يفعلـوا مثلهـم، والاختـلاف المنهي عنـه ما أوقع في شـك أو فتنـة، أما الاختلاف بقصد إظهار الحق واسـتنباط فروع الدين منه فممـدوح مأمور به، أجمع عليه المسـلمون من عهد الصحابة إلى الآن.

٢٨٨- «إنما يخرج الدجال من غضبة يغضبها».

رواه مسلم والإمام أحمد عن حفصة رضي الله عنها.

ومعنـاه: أن مبـدأ ظهوره أنـه يغضب غضبة شـديدة يقطع بها سلاسله التي شُدت عليه، والمقصود الإعلام بشدة غضبه.

٢٨٩- «إنما يلبس الحرير في الدنيا مَن لا خلاق له في الآخرة».

رواه الشيخان والإمام أحمد عن عمر رضي الله عنه.

قولـه: «يلبس» بفتح الباء، و«خـلاق» -بفتح الخاء المعجمة- النصيب، ومعناه أنه لا ينبغي لبسه إلا لمن حُرِم نعيم الآخرة، وهم الكفار، فليس لمؤمن أن يتشبه بهم، واعلم أن تحريم لبس الحرير وفرشـه على الرجال دون النساء ذهب إليه جماهير الأمة، وحكى القاضـي عياض عن قوم إباحته، ونسـب في البحـر إباحته إلى ابن عُليَّة، وقال: إن الإجماع انعقد بعده على التحريم، لكن قال الحافظ ابـن حجر في الفتح: قد ثبت لبس الحرير عن جماعة من الصحابة وغيرهم. قال أبو داود: لَبِسـه عشرون من الصحابة وأكثر، ورواه ابن أبي شـيبة عن جمع منهم قال: أخرج ابن أبي شـيبة من طريق

عمار بن أبي عمار قال: أتت مروان بن الحكم مطارف خز كساها أصحاب رسول الله ﷺ قال: والأصح في تفسير الخز أنه ثياب سداها من حرير وصوف أو نحوه، وقيل: أصله اسم دابة يُقال لها: الخُزَز، كصُرَد وهو ذكر الأرانب، فيسمى الثوب المتخذ من وبره خزًّا لنعومته، ثم أطلق على ما خلط بحرير لنعومة الحرير، إذا علمت هذا فيحتمل أن الذي لبسه الصحابة كما في رواية أبي داود كان خزًا، وأما القز بالقاف بدل الخاء فهو عند الأئمة من الحرير، فحرَّموه على الرجال أيضًا، والقول بحله وحل الحرير للنساء قول الجماهير إلا ابن الزبير، فإنه أخرج مسلم عنه: أنه خطب فقال: لا تلبسوا نساءكم الحرير، فإني سمعت عمر بن الخطاب يقول: قال رسول الله ﷺ: «لا تلبسوا الحرير».

فأخذ بالعموم إلا أنه قد انعقد الإجماع على حل الحرير للنساء، ومستند الإجماع ما رواه الإمام أحمد وأخرجه أصحاب السنن، وصححه الحاكم وابن حبان من حديث علي رضي الله عنه أن النبي ﷺ: أخذ حريرًا وذهبًا وقال: «إن هذين حرام على ذكور أمتي حل لإناثهم»[10]، وفيه أحاديث أخر بمعناه، وأما الجلوس على الحرير فحكمه حكم لبسه يحل للنساء ويحرم على الرجال؛ لحديث حذيفة رضي الله عنه قال: نهى رسول الله ﷺ أن نشرب في آنية الذهب، وأن نأكل فيها، وعن لبس الحرير والديباج وأن يجلس عليه. رواه البخاري، والنهي ظاهر في التحريم وحرمة الجلوس

---

(١٠) رواه أحمد وأصحاب السنن عن علي، وابن ماجه عن ابن عمر.

عليــه للرجال مذهب الجمهور خلافًا لابن الماجشــون والكوفيين وبعض الشــافعية، ولا حجة لمن قال بحرمة افتراشه للنساء فأدلته واهية، كقــول: إن الأحاديث صحّت في اللبــس والافتراش لا يُعد لبسًــا، ورُدَّ بأن اللبس في كل شــيء بحســبه، بدليل قول أنس في الصحيــح: فقمــت إلى حصير لنا قد اســود من طول مــا لُبِس أي: اســتُعمل بافتراشــه، وكقوله في حديث حذيفة السابق يحتمل أن النهــي عن مجموع الأمريــن اللبس والافتــراش لا الجلوس وحده، ونحــو ذلك مــن التعســفات وإخــراج النصوص عــن ظواهرها بلا حجــة، واختُلــف في علــة تحريــم الحرير علــى الرجــال؛ فقيل: الخُيلاء، وقيل: كونه لباس رفاهية وزينة يليق بالنســاء دون شهامة الرجــال، ورُخّــص للرجال في علم الثوب من حريــر إذا لم يتجاوز عرضــه أربــع أصابع ســواء كان منســوجًا أو مُلصقًــا، وهو مذهب الجمهور، ويُقاس ما في الفرش على ما في الثوب الملبوس، ودليل ذلك ما رواه النســائي أنه ﷺ لم يرخص في الديباج إلا في مواضع أربع أصابع، وما رواه مسلم عن عمر رضي الله عنه قال: «نهى رسول الله ﷺ عــن لبس الحرير إلا موضع إصبعيــن أو ثلاث أو أربع» وهو حديث متفــق عليــه، وما رواه ابن أبي شــيبة بلفــظ: «إن الحرير لا يصلح إلا هكــذا أو هكذا» يعنــي: إصبعين أو ثلاثًا أو أربعًا، ورخص أيضًا عنــد بعــض العلماء في لبس قميــص من حرير على البشــرة لأجل حكــة، وهي نوع من الجرب، لما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه: أن النبي ﷺ رخــص لعبد الرحمن بن عوف والزبير فــي قميص الحرير في ســفر من حكــة كانت بهما، وهــو متفق عليه، وفــي رواية: أنهما

شكوا إلى رسول الله ﷺ القمل فرخص لهما في قميص الحرير في غزاة لهما . ويمكن الجمع بأن الحكة نشأت من القمل ، فجعلت علة الرخصة مرة السبب ومرة سبب السبب ، وذكر السفر والغزو بيان لحالهما وقت الترخيص لهما ، وليس قيدًا في الترخيص عند القائلين به ، وخصه به بعض الشافعية ، والرخصة لا تختص بابن عوف والزبير ومدعي الخصوصية التي الأصل عدمها عليه البيان ، وقال الطبري : « حيث رُخص في لبس الحرير دفع القمل الذي تنشأ عنه الحكة فلدغ غيره مما هو أشد منه أذى أولى » وممن قال بجواز اللبس للحكة الإمام الشافعي رضي الله عنه ومنعه مالك وأبو حنيفة مطلقًا ، ويجعلان الرخصة قاصرة على الزبير وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما .

٢٩٠- « إني أوعك كما يوعك رجلان منكم ».

رواه مسلم والإمام أحمد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

الوعك : فتح الواو وسكون العين ، وقد تُفتح وهو : الحُمّى أو ألمها ، أو إرعادها ، وقيل : هو الحر ، وسميت الحمى وعكا لحرارتها ، ومعناه : أنه يصيبني ألم الوجع ويشتد حتى يكون قدر ألم أحدكم مرتين ليتأسى بي غيري ، ويصبر وليضاعف لي الأجر ، ومثله في ذلك سائر الأنبياء ، وسببه أن ابن مسعود رضي الله عنه قال : دخلت على النبي ﷺ وهو يوعك ، فقلت : يا رسول الله ، إنك لتوعك وعكًا شديدًا ، قال : أجل -أي نعم- « إني أوعك كما يوعك رجلان منكم » .

٢٩١- « إني لم أُبعث لعّانًا ، وإنما بعثت رحمةً ».

رواه مسلم والإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه.

معناه: لست كثير اللعن، وليس ذلك من خلقي، وإن كان قد يقع مني أحيانًا فأدعو على بعض الناس فيهلكه الله، وإنما دأبي الدعاء بالهداية، كما قال: «اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون»(١١)، فهو يلعن مَن يستحق ذلك ممن لا يُرجى منه الإيمان إذا أُمر بذلك ويدعو لغيره بالهداية إذا كان ممن يُرجى إيمانه، ويترك الدعاء بالهلاك على مَن أراد الله أن يخرج من صلبه من يعبد الله تعالى ولا يشرك به شيئًا.

٢٩٢- «إني لم أؤمر أن أنقب على قلوب الناس ولا أشق بطونهم».

رواه البخاري والإمام أحمد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

قوله: «أنقب» بضم أوله وتشديد القاف المكسورة، وقوله: «أشق» بالنصب معطوف عليه، أي: لم يأمرني ربي باستكشاف، إنما أُمرت أن آخذ بظواهرهم وأترك بواطنهم إلى الله، وسبب الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم جاءه مال فقسمه فاعترضه رجل، فأراد خالد بن الوليد أن يضرب عنقه، فنهاه صلى الله عليه وسلم وقال: «لعله يُصلي» فقال خالد: وكم من يصلي يقول بلسانه ما ليس في قلبه، فقال: «إني لم أؤمر... إلخ».

٢٩٣- «إني لا أشهد على جور».

رواه الشيخان عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما.

(١١) (ضعيف) رواه البيهقي عن عبد الله بن عمير مرسلًا.

الجور: ضد العدل، وسبب الحديث؛ أن أم النعمان بن بشير الأنصاري -رضي الله عنهما- سألت أباه أن يخصه ببعض ماله ففعل، فقالت: لا أرضى حتى يشهد النبي ﷺ فأخبره بذلك فقال: «ألك ولد سواه؟» قال: نعم. فقال: «إني لا أشهد على جور» وأخذ بظاهره الإمام أحمد فقال بتحريم تفضيل بعض الأولاد على البعض في نحو الهبة، وكرهه الجمهور، وقالوا: إن تسميته جورًا للتنفير عنه، بدليل رواية: «أَشْهِد على هذا غيري» فإنه لا يأمر بمحرم، وامتناعه من الشهادة عليه تورع، فينبغي مراعاة ذلك، فإن التفضيل قد يؤدي إلى التنافر وقطع الرحم، وربما أدى إلى العقوق، فما أحكم الشرع! فطوبى لمن اتبعه، وويل لمن خالفه.

٢٩٤- «إني لأعرف حجرًا بمكة كان يُسلّم عليّ قبل أن أُبعث».

رواه مسلم والإمام أحمد، عن جابر بن سمرة رضي الله عنه.

يعني: كان يسلّم عليّ بعنوان النبوة، قيل: هو الحجر الأسود الذي بركن البيت الحرام، قيل: هو الحجر البارز برقاق مكة الذي يُقال له: زقاق المرفق، وهذا التسليم من باب نطق الجمادات حقيقةً على الصحيح، فيخلق الله تعالى النطق فيها كتسبيح الحصى والطعام بكفه، وإخبار ذراع الشاة بأنها مسمومة، وحنين الجذع، وإنما خص هذا الحجر لأجل قوله: «قبل أن أُبعث» وأما بعدُ فكان التسليم من الأحجار مُطلقًا.

٢٩٥- «إن كان في شيء من أدويتكم خير ففي شرطة محجم أو شربة من عسل أو لذعة بنار توافق داءً، وما أحب أن أكتوي».

رواه الشيخان والإمام أحمد عن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنهما.

قوله: «إن كان.. .إلخ» التعبير بإِن للتأكيد كقوله: إن كان لك صديق فهو زيد أي إن صداقته لا ريب فيها، فهذه الثلاثة فيها خير محقق، وقوله: «شرطة» بفتح الشين بوزن ضربة، ومعناها أي: الضرب بالمشرط، في المِحجم بكسر الميم وسكون الحاء المهملة وفتح الجيم، وهو موضع الحجامة، وقد يطلق على الآلة التي يحجم بها كالموسى، وعلى القرن الذي يخرج فيه الدم، والمراد إخراج الدم من البدن بأي كيفية، وإنما قيّده بشرطة المحجم؛ لأن عادة العرب إخراج الدم بالحجامة، وقوله: «أو شربة من عسل» المراد تعاطي عسل النحل على حدته، أو إدخاله في دواء مركب، وقوله: «أو لذعة بنار» هو بفتح اللام وسكون الذال المعجمة بعدها عين مهملة، المراد بها الكي بالنار، وقوله: «توافق داءً» صفة للذعة أي: تصادف الداء وتوافقه أشار به إلى أن الكي إنما يشرع إذا تعين طريقًا للتداوي، فلا يُستعمل إلا بعد التحقق، ويصح أن يُراد موافقة القدر، وقوله: «وما أحب أن أكتوي» أشار به إلى كراهة الكي شرعًا حتى يتعين طريقة للتداوي؛ ولذا يُقال آخر الطب الكي.

٢٩٦- «أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب».

رواه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه.

قاله يوم حنين لما انهزم أصحابه، ونزل عن بغلته، ورمى الأعداء بكفٍّ من الحصى، قوله: «لا كذب» أي: فيما أخبرت

بــه مــن نصر الله لي ، فأنــا على يقين أن الله ينجز لــي ما وعدني من النصر ، وإنما نســب نفســه إلى جده دون أبيه لشــهرته عند الناس دون أبيــه ، فإنه مات صغيــرًا ؛ ولذا كان كثيرًا مــن العرب يدعونه بابن عبد المطلب ، فليس ذكره لذلك مقصودًا به الفخر ، فإنه كان يكــره ذلــك ، وهذا الكلام صادف أنه بيت مــن الرجز ، ولكنه جاء موزونًا بلا قصد لا ينافي أنه ليس شاعرًا ، ولا ينبغي له الشعر .

٢٩٧- «أنا أكثر الأنبياء تبعًا يوم القيامة، وأنا أول مَن يقرع باب الجنة».

رواه مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه .

معنــاه : أتباعي ومَن آمن بي كثيرون ، فإذا قيســوا على أتباع أي نبي مُرســل بــل على جميع أتباع الرســل كانوا أكثــر منهم عددًا ، وإنمــا يظهر ذلك يــوم القيامة حين يجمــع الله الأولين والآخرين ، فقد ورد أنهم ثلثا مَن يدخل الجنة ، وقوله : «يقرع» أي يدق فينفتح له فيدخل ، فهو أول مَن يدخلها . روى ابن النجار مرفوعًا : «أنا أول مَن يدق باب الجنة فلم تســمع الآذان أحســن من طنين الحلق على تلك المصاريع»[١٢] .

٢٩٨- «أنا أوّل الناس خروجًا إذا بُعِثوا، وأنا خطيبهم إذا وفدوا، وأنا مبشرهم إذا أيسوا، لواء الحمد يومئذ بيدي، وأنا أكرم ولد آدم على ربي ولا فخر».

رواه الترمذي عن أنس بن مالك رضي الله عنه .

---

(١٢) رواه ابن النجار عن أنس بن مالك.

قــال الواعظ : حديث صحيح . قولــه : «خروجًا» أي : من القبر ، فهــو كقوله : «أنا أول مَن تنشــق عنــه الأرض» . وقوله : «خطيبهم» أي : بين يدي الله عند الشــفاعة حين يقوم المقام المحمود فيحمد ربــه بمحامد يفتح بها عليه لم يســبق لــه مثلها ، وعند ذلك يغبطه الأولــون والآخرون ، وقولــه : «وَفَدوا» بفتح الفــاء أي : قدموا على ربهم للحساب وفصل القضاء ، وقوله : «إذا أيسوا» أي : من الشفاعة حين يتبرأ منها الرســل ويقول لمَن يســألونه إياها : نفسي نفسي . وقولــه : «لواء الحمد يومئذ بيدي» قيل : هو المقام المحمود الذي هو الشفاعة العظمى ، وقيل : هو غير ذلك ، أو هو كناية عن شهرته بالحمــد يومئــذ ، وانفراده بتلــك المحامــد حين يغبطــه الأولون والآخــرون ، فإن عــادة العرب أن يكون اللواء بيــد الرئيس ليعرف مكانه .

٢٩٩- «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول مَن تنشق عنه الأرض، وأول شافع وأول مشفع».

رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه .

معناه : أنا سيد البشر ، فيدخل آدم فيهم كما نص على ذلك في الحديث الذي بعد هذا ، وقيّد السيادة بيوم القيامة لظهورها يومئذ للأولين والآخرين ، فلا يبقى منازع ولا معارض ، وقوله : «أول شافع» أي : فلا يشفع أحد قبلي ، بل شفاعة الشافعين تكون بعد شفاعتي ، وأما الشفاعة العظمى فخاصة به ، وقوله : «وأول مشفع» بفتح الفاء المشــددة على صيغة اســم المفعول ، أي : مقبول الشفاعة ، وإنما ذكره بعد قوله : «أول شــافع» ؛ لأن الشــفاعة ســؤال الخير للغير ،

ولا يلزم من كونه أول سائل أن يكون أول مجاب فيما سأل؛ فلذا نص عليه فبتقدمه سؤالًا وإجابة يظهر علو مرتبته، زاده الله رِفعةً وكمالًا، وأكرمنا بتبعيته حالًا ومآلًا.

٣٠٠- «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وبيدي لواء الحمد ولا فخر، وما من نبي يومئذ آدم فمَن سواه إلا تحت لوائي، وأنا أول شافع، وأول مشفع ولا فخر».

رواه الإمام أحمد والترمذي، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وقال الواعظي: حديث صحيح.

قوله: «ولا فخر» المذكور في الحديث أربع مرات يحتمل أن يكون معناه ولا فخر فوق ذلك، ويحتمل أن يكون المراد لا أقول ذلك تفاخرًا بل شكرًا لله، وتحدثًا بنعمته كما أُمرت بذلك، وروى الدارمي بسند صحيح عن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنهما: «أنا قائد المرسلين ولا فخر، وأنا خاتم النبيين ولا فخر، وأنا أول شافع مشفع ولا فخر».

٣٠١- «أنا فرطكم على الحوض».

رواه الشيخان عن جندب رضي الله عنه، ورواه مسلم أيضًا عن جابر بن سمرة رضي الله عنه.

قوله: «أنا فرطكم» أي: سابقكم، والفرط بفتح الراء هو السابق على الركب ليهيىء لهم ما يصلحهم، فمعناه: أنا سابقكم على الحوض أهيئ لكم ما يليق بكم عند الورود عليه، وأسقي مَن يرد عليه دون مَن يذاد عنه، كما ورد أن أقوامًا يذادون عنه وأنه يقول: «أصحابي أصحابي»، فيُقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فيقول:

«سُحقًا سُحقًا». نعوذ بالله من ذلك، اللهم أوردنا حوضه، واسقنا من يده الشريفة شربةً هنيئةً مريئةً لا نظمأ بعدها أبدًا يا أرحم الراحمين.

٣٠٢- «أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة، ليس بيني وبينه نبي، والأنبياء أولاد علات أمهاتهم شتى ودينهم واحد».

رواه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه.

معناه: أنا أقرب الناس من عيسى وأَخَصُّ الناس به؛ لأنه بَشَّر بي، ولأن شريعته كالتمهيد لشريعتي، ولأنه ليس بيني وبينه نبي، فهذه الجملة كالتعليل للأولوية المذكورة، وهذا الحديث المجزوم بصحته يُضعِّف ما ورد من أن رسل عيسى إلى أصحاب القرية المذكورة قصتهم في سورة يس كانوا من أتباع عيسى، وأن جرجيس وخالد بن سنان كانا نبيين، وكانا بعد عيسى، إلا أن يقال: إن المراد أنه لم يبعث بينه وبين عيسى نبي بشريعة مستقلة، وإنما كان من بعده مقررًا لشريعته، وقوله: «أولاد علات» بفتح العين المهملة وتشديد اللام هم في الأصل: أولاد الضرائر، من أب واحد، كأن أباهم بتزوجه واحدة بعد الأخرى عل منها العلل، وهو الشرب بعد الشرب، فشبه اختلاف أديان الأنبياء مع اتحاد الأصل وهو التوحيد باختلاف الأمهات مع اتحاد الأب، وكأن هذا التشبيه أريد به كشف ما قبله أي: إننا كلنا إخوة في أصل الدين، وإن اختلفت فروع شرائعنا، وتباعدت الأزمنة بيننا إلا أن عيسى له مزيد قرب واختصاص لقرب زمنه من زمن بعثتي، والله أعلم بمراد رسوله صلى الله عليه وسلم.

٣٠٣- «أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فمن توفي من المؤمنين فترك دينًا فعلي قضاؤه، ومَن ترك مالًا فهو لورثته».

هذا الحديث قاله ﷺ لما نزلت الآية، والمعنى: أنا أحب إليهم من أنفسهم لا أرضى لهم ولا آمرهم إلا بما فيه صلاحهم في الدنيا والآخرة، وأنهاهم عن كل ما يعود ضرره عليهم في الدنيا أو الآخرة، بخلاف نفوسهم فإنها تأمرهم بالسوء وما يعود عليهم ضرره، حتى وصل اهتمامي بشأنهم وسعيي في مصالحهم إلى أن أقضي عنهم الديون إذا ماتوا معسرين وجوبًا علي بأمر الله تعالى، ومع هذا لو تركوا ميراثًا فهو لورثتهم لا آخذ منه شيئًا، وقضاء ديونهم كان من مال المصالح العامة، وقيده بعضهم بما إذا اتسع المال، واختُلف: هل هذا من خصوصياته دون الخلفاء من بعده؟ وهو الراجح، وهذا الحديث ناسخ لتركه الصلاة على مَن مات وعليه دين ولم يترك ما يوفي منه الدين، وفي رواية البخاري: «فلترثه عصبته من كانوا» والمراد بالعصبة في هذه الرواية الورثة أيا كانوا ولو غير عصبة.

٣٠٤- «أنا بريء ممن حلق وسلق وخرق».

رواه مسلم عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

قوله: «أنا بريء» معناه: الزجر والتخويف من عاقبة هذه الأعمال بالتبري من عهدة النهي عنها، أي: لقد نهيتكم وأخبرتكم بقبحها ووبالها، وخرجت من العهدة، فمن فعل شيئًا من ذلك فوباله على نفسه، أو المعنى: أنا بريء من فعلها؛ لأنها

مــن الكبائــر أو من عقوبتهــا ، ولا مانــع أن يراد التبــري من نفس فاعلها كما هو ظاهر العبارة ، وقوله : «حلق» باللام أي : أزال شعره عند مصيبة إظهارًا للجزع ، وقوله : «ســلق» بالســين أو الصاد أوله بعدهــا لام مفتوحة أي : رفع صوته بالبكاء عند المصيبة ، أو ضرب وجهه عندها . وقوله : «خرق» بخاء فراء فقاف مفتوحات أي : شــق ثوبــه عند المصيبة ، وســواء في ذلك الذّكــر والأنثى وما في معنى هذه الأفعال حكمه حكمها كصبغ وكالتسخيم وتغيير لون الثوب وضــرب الصدر ، وكل ما جرت به العادات من القبائح التي يعملها الناس اتباعًا للجاهلية إظهارًا لشــدة الجزع وعدم الرضا والتسليم لله تعالى .

٣٠٥- «أنـزل عليّ آيـات لم ير مثلهن قـط: قل أعـوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب النـاس».

رواه مسلم عن عقبة بن عامر ﷺ .

قوله : «لــم ير» يروى بالنــون في أوله مبينًــا للفاعل ، وبالياء مبينًــا للمفعول ، أي : لــم يُعلم ما يماثلهن فــي فضلهن ، وقوله : «قل أعوذ . . .إلخ» أي : الســورتين بتمامهما ، فإنهما عدة آيات ، والغــرض بيان عِظَم فضل هاتين الســورتين بتمامهما ، وأنهما لا يماثلهمــا في التعوذ الجامع غيرهما ، و«الفلق» : الصبح لانفلاق الليل عنه .

٣٠٦- «أنزلوا الناس منازلهم».

رواه مسلم وأبو داود عن عائشة –رضي الله عنها– .

ومعناه: عاملوا الناس بما يلائم حالهم ومراتبهم، في الدين والشرف، ولفظ مسلم عنها قالت: «أمرنا رسول الله ﷺ أن نُنزل الناس منازلهم» روي أن عائشة رضي الله عنها مرّ بها سائل فأعطته كِسرةً، ومر بها رجل عليه ثياب واهية، فأقعدته، فأكل، فقيل لها في ذلك، فقالت: قال رسول الله ﷺ: أنزلوا الناس منازلهم».

فينبغي لمن أراد العمل بالسنة أن يراعي في المعاملة مقامات الناس، فيعامل كلا بما يليق به، وإياك وما يفعله بعض المتنطعين، ويزعم أنه من الورِع والتمسك بالدين والاعتماد على الله، وما يدري أنه مخالف لله ولرسوله، وتحدثه نفسه أن ذلك ممدوح؛ لأنه صلابة في الدين، وعدم مبالاة بلوم اللائمين.

٣٠٧- «انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا. قيل: كيف أنصره ظالمًا؟ قال: تحجزه عن الظلم فإن ذلك نصره».

رواه البخاري عن أنس رضي الله عنه.

لما تعورف النصر في تخليص المظلوم المغلوب المُعتدى عليه من يد الظالم الغالب المعتدي، خَفي على المخاطب وهو أنس رضي الله عنه الأمر بنصر الظالم، فسأل عن المراد بنصره، فأجابه ببيانه، فقوله: قيل، القائل هو أنس رضي الله عنه، وقوله: «فإِن ذلك نصره» من إضافة المصدر لمفعوله أي: نصرك إياه على نفسه وهواه وشيطانه، لا على المظلوم، كما يتبادر للذهن جريًا على المتعارف، وقوله: «تحجزه» بضم الجيم أي: تمنعه، وقوله: «ظالمًا» حال في الموضعين، وروى الدارمي الحديث عن جابر

مرفوعًا بلفظ: «انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا؛ إن يك ظالمًا فاردده عن ظُلمه، وإن يك مظلومًا فانصره»[13] أي: أعنه على خصمه كما هو المتعارف في معنى النصر.

٣٠٨- «انظروا إلى مَن هو أسفل منكم، ولا تنظروا إلى مَن هو فوقكم فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم».

رواه مسلم والإمام أحمد عن أبي هريرة ﵁.

والمـراد بالأسـفلية والفوقية فـي أمور الدنيـا، وقوله: «أجدر» أي: ألحق وأدعى، وقوله: «تزدروا» أي: لا تحتقروا، وأما في أمور الديـن فالأمـر بالعكس، فـإذا رأى مَن فوقه في الديـن ازدرى عمل نفسه، وربما حمَله ذلك على أن يعمل مثله، وأما إذا رأى مَن دونه فربمـا احتقر عمل غيره، وأعجب بعمل نفسـه، وربما تقاعد عن بعض العمل برؤيته أكثر من عمل غيره، وهذا الحديث من جوامع الحكم.

٣٠٩- «انظرن من إخوانكن فإنما الرضاعة من المجاعة».

رواه الشيخان عن عائشة رضي الله عنها.

والخطاب في قوله: «انظرن» لعائشـة حين دخل عليها وعندها رجـل فتغيـر وجهه وقال: يا عائشـة مَـن هذا؟ قالت إنـه أخي من الرضاعـة. فقـال: «انظرن.. .إلـخ» أي: تأمَّلنَّ وتفكّرنّ يا معشـر النسـاء في شأن إخوانكن من الرضاعة، فليست كل رضاعة تنعقد بهـا أخوة الرضـاع، وتثبت بها المحرمية، وتحـل بها الخلوة، بل

(١٣) وكذلك ابن عساكر.

الرضاعة المعتبرة شرعًا في ذلك هي ما كانت في زمن يكون الرضيع فيه طفلًا يسد اللبن جوعته وينبت به لحمه، فإذا جاوزه فلا تأثير لها في المحرمية، وحل الخلوة، وزاد الشافعية على كون الرضاع في أوانه وهو مدة الحولين أن يكون خمس رضعات معلومات يشبع من كل واحدة وأمارة شبعه إعراضه عن الثدي أخذًا بما ورد من التقييد بهذا العدد بهذا الشرط، واكتفى مالك بالمصة والقطرة ولو في إناء ما دامت في الحولين وما في حكمهما كشهر بعدهما، وهو أحوط المذاهب في هذه المسألة كما ترى، فينبغي مراعاته استبراءً للعرض والدين، واحتياطًا في الفروج، وخروجًا من الخلاف.

٣١٠- «أنفقي ولا تحصي، فيحصي الله عليك، ولا توعي فيوعي الله عليك».

رواه الشيخان عن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها.

ومعناه: تصدقي يا أسماء فإن صدقتك مجلبة للبركة والكثرة، لقول الله تعالى:

﴿وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ﴾

(سبأ: ٣٩)

وقوله: «ولا تُحصي» بضم المثناة الفوقية وكسر الصاد، من الإحصاء، وهو معرفة مقدار الشيء كيلًا أو وزنًا أو عددًا، أي: لا تضبطي ما تنفقيه لئلا تستكثريه، وقيل: المراد بالإحصاء هنا عد الشيء لادخاره وعدم الإنفاق منه فيكون مقابل قوله: أنفقي

فيكــون ما بعده تأكيدًا، وقوله: «فيحصــي» بالنصب جوابًا للنهي وكذا ما بعده، ومعنى إحصائه عليها نزع البركة من الرزق أو حبس مادتــه، وقولــه: «ولا توعي» أي: لا تجمعي مــا فضل من مالك في الوعــاء، وتبخلي بالإنفاق منــه، وقوله: «فيوعــي الله عليك» أي: يمنع عنك مزيد نعمته.

٣١١- «أنهى عن كل مسكر أسكر عن الصلاة».

رواه مسلم عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

ومعنــاه: إنــي أحرم عليكــم تعاطي كل ما غيــب العقل حتى لا تعلموا ما تقولون، وإن اتخذ من غير عصير العنب، وسبب الحديث أن أبا موسى ومعاذًا لمّا بعثهما النبي ﷺ إلى اليمن، وقال: «بشرا ولا تنفرا» فقال أبو موســى: أفتنا في شرابين كنا نصنعهما باليمن البِتع - بكســر الموحدة وســكون المثناة الفوقيــة: وهو من نبيذ العســل يشتد ويشــربه أهل اليمن، والمِذر بكســر الميم وسكون الــذال المعجمة وهو ما يشــتد به من نبيذ الذرة والشــعير. فقال: أنهى... إلى آخره.

٣١٢- «أهون أهل النار عذابًا أبو طالب وهو منتعل بنعلين من نار يغلي منهما دماغه».

رواه مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وهــذا الحديث يدل صراحة على موتــه كافرًا، وأن عذابه أخف من عذاب غيره من الكفار حيث اختص بقدميه ولم يعم جميع بدنه جــزاءً لصنعه مع رســول الله ﷺ فمحبته ﷺ وإكرامــه والمدافعة عنــه قد نفعــت الكافر وخففت عنــه العذاب فكيــف بالمؤمن؟!

ففي الحديث : «ما اختلط حبي بقلب عبد إلا حرم الله جسـده على النار»[١٤].

٣١٣- «أَوْلِم ولو بشاة».

رواه مالك في الموطأ والشيخان عن أنس بن مالك ﵁.

معناه : اصنع وليمة لتزوجك ، وبما تيسـر لك من الطعام ، ولو كان ما تصنعه شـاة واحدة تذبحها وتطعمها إخوانك ؛ فهي كافية فـي تحصيل الوليمـة المندوبة ، وإنما جعل الشـاة غايـة في القلة لأنها كانت ميسورة للمخاطب وأمثاله ، وإلا فقد أجمعوا أنه لا حد لأقلهـا ولا لأكثرها ، ويؤخذ من الحديـث أنه يطلب تكثير الطعام فـي الوليمة للموسـر ، والخطاب لعبد الرحمـن بن عوف ، وقصته أنـه لما هاجـر إلى المدينة كان نزيلًا عند بعـض الأنصار ، فقال له الأنصاري : إني نزلت لك عن شطر مالي وإحدى زوجتي . أي : التي تعجبـك منهما أطلقها لتتزوجها ، وذلك من مكارم الأخلاق . فقال لـه ابن عوف : بارك الله لك في مالك ونسـائك ، وذهب إلى سـوق المدينة واتجر فربح سـمنًا وإقطًـا ، وأراد أن يتزوج بذلك فقال له النبي ﷺ : «أولم ولو بشاة» أي : بعد أن تتزوج .

٣١٤- «أول جيش من أمتي يركبون البحر قد أوجبوا، وأول جيش من أمتي يغزون مدينة قيصر مغفور لهم».

رواه مسلم[١٥] عن أم حرام بنت ملحان رضي الله عنها .

---

(١٤) رواه أبو نعيم في الحلية.

(١٥) الذي رواه هو البخاري وليس مسلم.

قولـه: «قد أوجبـوا» أي: حصلوا وحققوا لأنفســهم من العمل الصالح ما يكون سـببًا في غفران ذنوبهــم ودخولهم الجنة، لقوله تعالـى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ﴾ (التوبة: ١١١)

وفيــه منقبــة لســيدنا معاوية ﷺ فإنــه أول مَن غزا فــي البحر، وقوله: «مدينة قيصر» هي القســطنطينية أو حِمص؛ لأنها المدينة التي كان فيها يومئذ وكانت دار ملكه.

٣١٥- «أول ما يُقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء».

رواه الشيخان عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما.

والمــراد أن أول مــا يحكم فيه بيــن المتخاصمين يــوم القيامة سفك الدماء لعظم مفسدته، والظاهر أن الأولية هنا على الإطلاق، وأما حديث: «إن أول ما يحاســب به العبــد يوم القيامة الصلاة... إلــخ». فعلــى تقديــر أول في بابــه مــن أول كل واحد أولــى بابه، فالدماء أول ما يقضى فيه بالنســبة لحقوق الخلق، والحساب على الصــلاة أول بالنســبة لحقوق الله تعالى؛ لأن الصــلاة عماد الدين، روى الحاكــم أبو عبد الله عن ابن عمر مرفوعًا: «أول ما افترض الله على أمتي الصلوات الخمس، وأول ما يُرفع من أعمالهم الصلوات الخمس، وأول ما يُســألون عنه الصلوات الخمس، فمن كان ضيّع شــيئًا منها يقول الله -تبارك وتعالى-: انظــروا هل تجدون لعبدي نافلةً من صلــوات تتمون بها ما نقص من الفريضة، وانظروا صيام عبدي شــهر رمضان، فإن كان ضيّع شــيئًا منه فانظروا هل تجدون

لعبــدي نافلةً من صيام تتمون بها ما نقص من الصيام، وانظروا في زكاة عبدي، فإن كان ضيّع شــيئًا فانظروا هل تجدون لعبدي نافلةً من صدقة تتمون بها ما نقص من الزكاة، فيؤخذ ذلك على فرائض الله، وذلــك برحمة الله وعدله، فإن وجد له فضل وضع في ميزانه، وقيل له ادخل الجنة مسرورًا، وإن لم يوجد له شيء من ذلك أمرت الزبانيــة فأخــذت بيديه ورجليه ثــم قُذف في النــار»[١٦] أعاذنا الله والمسلمين منها بمنه وكرمه.

٣١٦- «ألا أحدثكم حديثًا عن الدجال ما حدث به نبي قبلي قومه؛ إنه أعور وإنه يجيء معه تمثال الجنة والنار، فالتي يقول إنها الجنة النار وإني أنذركم كما أنذر به نوح قومه».

رواه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه.

قولــه: «أعور» قيــل: اليُمنى وقيل اليســرى، وجمع بأن إحدى عينيــه ذاهبــة بالكليــة والأخرى معيبــة فأطلق العور علــى ذهابها تــارة وعلى عيبها تارة أخرى، وقولــه: «تمثال» أي: مثال وصورة، وقوله: «فالتي يقول... إلخ» الراجح أن الله تعالى يجعل الجنة التي ســخّرها له نارًا وباطن النار جنة، ويحتمل أنه كناية عن تسبب نار الآخرة عن طاعته التي أدخل بها مطيعه جنته وتســبب جنة الآخرة عــن تكذيبه وعصيانه الذي كان ترتب عليه دخول ناره في الدنيا،

(١٦) رواه ابن ماجه.

وقوله: «كما أنذر به نوح» خص نوحًا لأنه أول نبي أنذر قومه، أي: خوّفهم، وبهذا المعنى قيل: إنه أول رسول.

٣١٧- «ألا أخبركم بأهل الجنة كل ضعيف مستضعف لو أقسم على الله لأبره، ألا أخبركم بأهل النار كل عتل جواظ جعظري مستكبر».

رواه الشيخان عن حارثة بن وهب ﷺ.

المراد بالضعيف: المتواضع المسكين وضعيف الحال في أمر الدنيا، والمستضعف: بفتح العين على المشهور المرجح، ويفسره ما ورد بلفظ المستضعف أي: عند الناس، وقوله: «ولو أقسم...إلخ» معناه: أنه من أهل الدلال على الله والقرب منه بحيث لو حلف عليه ليفعلن له كذا أو لا يفعله لأجابه بعين ما طلب إكرامًا له لمزيد قربه ومحبته، وقوله: «عُتل» بضم المهملة والمثناة الفوقية وتشديد اللام أي: شديد الخصومة أو الجموع المنوع أو الأكول الشروب، وقوله: «جعظري» وزن الجعفري أي: فظ غليظ، وقوله: «جواظ» بجيم مفتوحة فواو مشددة بعدها ألف وآخره ظاء أي: ضخم مختال، وقوله: «مستكبر» بكسر الباء أي: ذو كبر وتعاظم يرى نفسه فوق غيره، وروى ابن ماجه عن معاذ ﷺ: «ألا أخبرك عن ملوك الجنة رجل ضعيف مستضعف ذو طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله تعالى لأبره»(١٧).

والطمر: بكسر الطاء وسكون الميم الثوب الخلق، فالطمران الإزار والرداء الخلقان، ومعنى «لا يؤبه»: لا يحتفل ولا يعتنى به

---

(١٧) رواه ابن ماجه.

لحقارتــه عند الناس، وروى الطبرانــي عن أبي الدرداء: «ألا أخبرك بأهل النار كل جواظ مســتكبر جماع منوع، ألا أخبرك بأهل الجنة كل مســكين لو أقسم على الله تعالى لأبره»[18]، وحسبك ما ورد: «اللهــم أحينــي مســكينًا، وأمتني مســكينًا، واحشــرني في زمرة المساكين»[19] أي: المتواضعين المنكسرين الذي قال الله فيهم: «أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلي»[20].

٣١٨- «أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ الْشُّهَدَاءِ، الَّذي يَأتِي بِشَهَادَتِهِ قَبْلَ أَنْ يُسْأَلَهَا».

رواه مالك وأحمد والشيخان عن زيد بن خالد الجهني ﵁

أصــح ما قيل في تأويله مــا قاله مالك وأصحاب الشــافعي: إنه محمول على من عنده شــهادة لإنســان بحق وهو لا يعلم به فيأتي إليــه فيخبره بأني شــاهد فاطلبني للشــهادة، وحمله بعضُهم على شــاهد الحســبة، وذلك في غير حق الآدمــي المختص به كالطلاق والعتق والوقف والوصايا العامة والحدود ونحو ذلك.

٣١٩- «ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات: إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط».

رواه مالك في الموطأ وأحمد ومسلم عن أبي هريرة ﵁.

---

(١٨) عزاه صاحب فيض القدير للبخاري في التاريخ عن بعض أزواج النبي.

(١٩) رواه ابن ماجه وغيره عن أبي سعيد.

(٢٠) عزاه صاحب فيض القدير للبخاري في التاريخ عن بعض أزاوج النبي ﷺ.

قوله: «يَمْحُو» كناية عن غفرانها وعدم المؤاخذة عليها، والمراد بالخطايا: صغائر الذنوب، وإسباغ الوضوء إتمامه بفروضه أو مع مندوباته وقوله: «عَلَى المَكَارِه» أي: في الحالات التي تكرهها النفوس كشدة برد أو تألم جسد أو عجلة لِمُهِم، والخُطَا: بالضم مقصورًا جمع خطوة بالضم ما بين القدمين وبالفتح للمرة من الخطو، وقوله: «انْتِظَار الصَّلاةِ بَعدَ الصَّلاةِ» قيل: ولو أداها منفردًا أو في بيته، وقيل: المراد به الاعتكاف في المساجد، وقوله: «فذَلِكُمُ الرِّبَاط» المعنى والله أعلم: أن هذا لمشقته على النفوس وعظم شأنه، رباط وأي رباط كأنه لا رباط غيره، والقصد المبالغة في تشبيهه بالرباط والإقامة في الثغور لجهاد العدو، وذكره ثلاثًا لتفخيم شأنه والترغيب فيه.

٣٢٠- «إياكم والجلوس على الطرقات فإن أبيتم إلا المجالس فأعطوا الطريق حقها: غض البصر وكف الأذى ورد السلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر».

رواه الشيخان عن أبي سعيد الخدري ﵁

المعنى: احذروا -ندبًا- قعودكم على الطرقات بضمتين جمع طريق أي: الشوارع المسلوكة، فإن الجالس عليها قلّمَا يسلم من سماع ما يكره أو رؤية ما لا يحل أو التقصير فيما يُطلب منه عمله، فشكوا إليه أنه لا غنى لهم عنها، فقال: «فَإِنْ أَبَيْتُمْ إلاَّ المَجَالِسَ» ويُروى فإن: أتيتم إلى المجالس أي: إذا أصررتم على الجلوس فيها فقوموا بما هو مطلوب من الجالس من الحقوق، قالوا: وما هي؟ فقال: «غَضّ البَصَرِ» أي: كفه عن النظر إلى محرم، «وَكَفّ

الأَذَى» أي: منع وصوله إلى المارين، «وَرَدّ السَّلام» أي: على من سلم من المارين، «وَالأَمْر بِالْمَعْرُوفِ» وهو ما عُرف حسنه شرعًا، «وَالنَّهْي عَنِ المُنْكَرِ» وهو ما أنكره الشرع ونهى عن فعله، فيأمر الجالس على الطريق بالمعروف وينهى عن المنكر وإن ظن عدم الإفادة، بشرط سلامة العاقبة، والمراد: فعل جميع ما يُشرع وترك جميع ما يمنع.

٣٢١- «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث، ولا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا ولا يخطب الرجل على خطبة أخيه حتى ينكح أو يترك».

رواه مالك والإمام أحمد والشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه

معناه: احذروا اتباع الظن أو إساءة الظن بمن لا يُساء الظن به من الأتقياء فإن الظن تهمة قلبية بلا دليل، منشؤها إلقاء الشيطان، وهو حرام إن صحبه جزم، وقوله: «أَكْذَبُ الْحَدِيثِ» جعَلَ الظن حديثًا تجوُّزًا إلا أن الحديث الكذب ينشأ عنه، وإلا فهو خاطر قلبي أي: لا تغتابوا أحدًا بريئًا بمجرد الظن، ولا تجزموا بما وقع في نفوسكم من إلقاء الشيطان فإن الغالب كذبه، وقوله: «وَلاَ تَجَسَّسُوا» بحذف إحدى التاءين وكذا ما بعده أي: تتحيلوا على معرفة أحوال الناس كما يفعل الجاسوس، ويُستثنى من التجسس المنهي عنه ما لو تعيّن طريقًا إلى درء مفسدة، كإنقاذ نفس من هلاك، أو امرأة من زنا، وقوله: «وَلاَ تَحَسَّسُوا» أي: لا تطلبوا الاطلاع بالحاسة على ما خفي من أحوال الناس، كاستراق

السـمع والنظر بالعين في خفية، وقوله: «ولا تنافسوا» بفاء وسين مهملة من المنافسـة وهي: الرغبة في التفرد بالشيء، وقوله: «وَلاَ تَحَاسَـدُوا» أي: لا يتمنـى أحدُكـم زوال نعمة غيـره، وقوله: «وَلاَ تَبَاغَضُـوا» أي: لا تتعاطـوا أسـباب البغض لأن البغـض لا يحدث ابتداءً، وقوله: «وَلاَ تَدَابَرُوا» أي: لا تهاجروا فيهجر أحدكم أخاه، وسُـمِّي ذلك تدابـرًا لأن المتهاجرين إذا رأى أحدهمـا الآخر ولَّاه دُبُـرَهُ وَأَعْرضَ عنـه، وقوله: «وَكُونُوا عِبَـادَ اللهِ إِخْوَانًا» أي: كونوا متآخين متحابين متعاونين متراحمين كإخوة النسـب في الشـفقة والرحمـة والتعاون، وقوله: عباد الله منادى مضاف منصوب أقحم بين اسم كان وخبرها، وقوله: «وَلَا يَخْطُبُ...إلخ» أي: يُحرم على المكلف أن يطلب التزوج بامرأة خطبها غيره وركنت هي أو وليها إليه حتى ينتهي غرض الأول من نكاحها أو الإعراض عنها، فإن تمَّ نكاحـه فليطلب غيرها، وإن أعرض عنهـا أو أعرض عنه من أجابه جازت خطبتها ومثل ذلك في الحرمة أن يبيع على بيعته أو يشتري على شرائه فإن ذلك إيذاء لأخيه والسعي في تفويت غرضه.

٣٢٢- «إياكم والوصال إنكم لستم في ذلك مثلي إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني فاكلفوا من العمل ما تطيقون».

رواه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه.

معنـاه: اجتنبـوا تتابع الصوم مـن غير تعاطـي المفطرات ليلًا عمـدًا فإن ذلـك تنطع فـي الدين وتشـديد على النفـوس، مبتدع مخالف للمأمور به، موجـب للضعف عن العمل الديني والدنيوي فقالـوا: إنـك تواصل، أي: فنحن نقتدي بك ومـا نريد إلا الخير،

فأبــان لهم أن ذلك من خصائصه وأنه لا يســوغ لغيــره للفرق بينه وبين ســواه بأن الله يجعل فيه قوة الطاعم الشارب من غير أكل ولا شــرب فهو يقوى على الوصال بتلك القوة ويذوق جوعًا وعطشًــا وقيل: يُخلق فيه الشــبع والري فلا يــذوق ألم الجوع والعطش وإن لم يتناول الطعام والشراب والأول هو المرجح، وقوله: «فَاكْلَفُوا» بهمــزة الوصــل وفتــح اللام أي: تحملوا من مشــقة العمــل قدر ما تطيقون احتماله بلا مشقة فادحة.

٣٢٣- «إِيَّاكُمْ وَكَثْرَةَ الحَلِفِ فِي الْبَيْعِ فَإِنَّهُ يُنَفِّقُ ثُمَّ يَمْحَقُ».

رواه مسلم عن أبي قتادة رضي الله عنه

ومعنــاه: اجتنبوا الإكثــار من الحلف على صفة الســلع أو على قيمتها بالأيمان الصادقة فإن الإكثار منها مظنة الوقوع في الكذب فيضــر بالدين، وفيه أيضًا ضرر دنيــوي، وهو أنه وإن أوجب نفاق الســلعة وزورًا ظاهــرًا إلا أنــه يمحق البركــة ويزيلها إمــا بتلف أو صــرف فيمــا لا ينفــع، وقوله: «يُنَفِّــقُ» بضم التحتيــة وفتح النون وتشــديد الفــاء المكســورة أي: يُوجــب النفاق بفتــح النون وهو الرواج، وقوله: «يَمْحَقُ» بفتح المثناة التحتية وسكون الميم وفتح الحــاء وآخره قاف، أي: يُذهب ويُزيل، فمــن الورع تقليل الحلف ما اســتطاع فــإن التحذير عن الإكثار منه مــع وجود المقتضى وهو ترويج الســلعة فبالأولى إذا كان بــلا داعٍ، فالإكثار منه مجازفة في الدين.

٣٢٤- «أَيَّامُ التَّشْرِيقِ أَيَّامُ أَكْلٍ وَشُرْبٍ وَذِكْرِ الله».

رواه مسلم والإمام أحمد عن نُبَيْشة رضي الله عنه

المعنى: الأيام التي شـأنها تشـقيق لحم الهدايا والضحايا فيها ونشره وتسويته وهي ثلاثة أيام بعد يوم النحر الأول عند الجمهور، وقيل: إنه منها أنهاكم عن صومها تحريمًا لأنها أيام ضيافة من الله لعباده، فليقبلوا ضيافته، ولما كان شأن الاهتمام بالأكل والشرب أن يلهـي عن الذكر والعبادة تمـم الكلام بقوله: «وَذْكِر الله» عطفًا على ما قبله وبإضافة ذكر إلى الاسم الكريم، فلو نوى الصوم فيها لم ينعقد عند الشـافعي، وقـال أبو حنيفة ينعقد مـع الإثم، وعند مالـك اليوم الأول يحرم صومـه مطلقًا ولا ينعقد والرابع ينعقد مع الكراهـة، وأمـا الثاني والثالث فـكالأول إلا لمـن كان عليه هدي تمتـع أو قران ولـم يجده ولم يكن صام الثلاثة من العشـرة قبل يوم النحر فيجب عليه صوم أيام منى.

٣٢٥- «أَيُّكُمْ خَلَفَ الْخَارِجَ فِي أَهْلِهِ وَمَالِهِ بِخَيْرٍ كَانَ لَهُ مِثْلُ نِصْفِ أَجْرِ الْخَارِجِ».

رواه مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

معنـاه: أي رجل منكم قـام مقام الخارج نحو حـج أو جهاد في إصلاح شـأن أهلـه وماله بنحو نفقة أو حفـظ أو قضاء حاجة كتب الله لـه ثوابًـا مثل نصف ثـواب الخارج من غيـر أن ينتقص من أجر الخارج شـيء، وقوله: «خَلَفَ» فعل ماض وفاعله مستتر يعود على أيكم والخارج بالنصب مفعوله.

٣٢٦- «أيما امرئ قال لأخيه: يا كافر، فقد باء بها أحدهما، إن كان كما قال وإلا رجعت عليه».

رواه مسلم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

قوله: «قَالَ لأَخِيهِ» أي: في الإسلام، وقوله: «كَافِر» بالرفع والتنوين خبر مبتدأ محذوف أي: أنت كافر، أو بالضم بلا تنوين منادى مبني على الضم؛ لأنه نكرة مقصودة، وقوله: «فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا» أي: رجع بها وأصابته فإن كان المقول له كذلك فقد صادفت محلها وإلا يكن كذلك فقد كفر القائل؛ لأن من كفَّرَ مُسلمًا بغير حق بأن اعتقد أن إسلامه الحق الذي هو عليه كُفْرٌ فقد كَفَرَ والعياذ بالله تعالى.

٣٢٧- «أيما امرأة وضعت ثيابها في غير بيت زوجها فقد هتكت ستر ما بينها وبين الله عز وجل».

رواه مسلم [٢١] عن عائشة رضي الله عنها

أما وضع ثيابها: فكناية عن تكشّفها للأجانب، وأما هتك الستر الذي بينها وبين الله: فمعناه أنّها لما عصت الله وخانته وطرحت لباس التقوى والخوف منه استحقت أنَّ الله يهتك سترها ويفضحها كما هتكت ستر نفسها وخانت زوجها جزاءً وفاقًا.

٣٢٨- «أَيُّمَا امْرَأَةٍ أَصَابَتْ بخُورًا فَلاَ تَشْهَدْ مَعَنَا الْعِشَاءَ الآخِرَةَ».

رَوَاهُ مُسْلِم عَنْ أَبِي هُرَيْرَة رضي الله عنه.

البخور: بوزن صبور: ما يتبخر به كالعود والمصطكى[٢٢]، والمراد هنا كل شيء يظهر ريحُه وإن لم يكن بخور، فالمعنى: إيما امرأة تطيبت بحيث يُشم منها رائحة الطيب. وقوله: «فَلاَ تَشْهَدْ... إلخ»؛ أي: لا تحضر لصلاة العشاء الأخيرة مع الناس؛ لأنَّ الليل مظنة

---

(٢١) الحديث رواه أحمد وابن ماجه والحاكم عن عائشة رضي الله عنها.

(٢٢) شجر بري تستخرج منه مادة صمغية لزجة وهو نوعان أبيض ناعم طيب الرائحة، وأسود مائل إلى الحمرة، يكثر في سواحل الشام. (المجلة).

الفتنة والتقيد بالآخرة لإخراج المغرب فإنَّها قد تسمى عشاءً فإذا أُريد التخصيص قيل لها العشاء الأولى وقيل للثانية العشاء الآخرة، ولعل التقييد بها لمزيد الاهتمام وإلَّا فقد ورد أنَّها إذا تطيّبت لا تحضر الجماعة مُطلقًا؛ أي: بحالتها هذه حتى تُزيل الطيب بغسل أو خلع ثوب.

وروى ابن ماجه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ: «أَيُّمَا امْرَأَةٍ تَطَيَّبَتْ ثُمَّ خَرَجَتْ إِلَى الْمَسْجِدِ لَمْ تُقْبَلْ لَهَا صَلاَةٌ حَتَّى تَغْتَسِلَ»؛ أي: تزيل الطيب بأي وجه كان.

٣٢٩- «أَيُّمَا عَبْدٍ أَبَقَ مِنْ مَوَالِيهِ فَقَدْ كَفَرَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْهِمْ».

رَوَاهُ مُسْلِمٌ عَنْ جرير بن عبد الله ﷺ.

قوله: «أَبَقَ» كهرب وزنًا ومعنًى. قوله: «مَوَالِيه»؛ أي: المالك لرقبته ولو واحدًا وقوله: «فَقَدْ كَفَرَ»؛ أي: نعمة سيده أو فَعَلَ فعل الكفار، والقصد تغليظ خطيئة الإبَاق إذا كان بلا عذر ليحذرها العبيد.

٣٣٠- «أَيُّمَا مُسْلِمٍ شَهِدَ لَهُ أَرْبَعَةٌ بِخَيْرٍ أَدْخَلَهُ الله الجَنَّةَ أَوْ ثَلاثَةٌ أو اثْنَانِ».

رَوَاهُ البُخَارِيُّ عَنْ عُمر بن الخطاب ﷺ

يعني المسلم إذا مات فشهد له بحُسن عمله أربعةٌ عدول ولم تكن شهادتهم لغرض نفساني كصحبة؛ فإن الله -تعالى- يقبل شهادتهم ويعفو عنه ويدخله الجنة مع السابقين بغير عذاب، وإلَّا فكل من مات مؤمنًا لا بد من دخوله الجنة ولو مآلًا وإن لم يشهد له أحد، قال راوي الحديث: قلنا أو ثلاثة؟ قال: «أَوْ ثلاثَةٌ». قلنا:

أو اثنان ؟ قال : «أَوِ اثْنَانِ» . قال العُلماء : فإذا شهد للمسلم العدول بخير كانت شهادتهم سببًا للغُفران لأنَّهم لا يشهدون إلا بما ظهر لهم من أعمال الخير ؛ وإن لم يوافق الواقع .

٣٣١- «أيما امرأة مات لها ثلاثة من الولد كن لها حجابا من النار».

رَوَاهُ البُخَارِيُّ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدَرِيِّ ﷺ

قوله : «ثَلاَثَةٌ» في رواية ثلاث ؛ فإثبات التاء على اعتبار الأشخاص وحذفها على اعتبار النفوس . قوله : «مِنَ الولدِ» يشمل الذكر والأُنثى . وقوله : «كُنَّ» بنون النسوة أي : الثلاثة . وفي رواية : كانوا . وقوله : «حِجَابًا» ؛ أي : سببًا مانعًا من دخول النار لما أصابتها من ألم الفراق مع شدة الحنان والرحمة حتى قال بعضهم : وإن لم يقارن ذلك صبرًا كما جاء مُصرّحًا به في حديث رواه الطبراني ، بل المُراد على أن لا يقع منها ما يقتضي الكفر والعياذ بالله تعالى ، والرجل مثل المرأة في ذلك ، وإنما خصّ المرأة بالذكر لأن الخطاب كان مع النساء ، فإنَّهن قُلْن يا رسول الله ﷺ : اجعل لنا يومًا تعظنا فيه فأجابهن لما طلبن ووعظهن فذكر لهن الحديث ، وخصّ الثلاثة لأنَّها أول مراتب الكثرة فتعظم المصيبة فيكثر الأجر ، وفي بعض الروايات التقييد بعدم بلوغ الحنث لشدة محبة الصغير ، وبعضهم نظر إلى أن عِظَم المصيبة تابع للمنفعة والكبير وإن نفع فيكون ذلك فيه بالأولى وجعل التقييد بعدم بلوغ الحنث تنبيهًا بالأدنى على الأعلى ، وتمام الحديث عند البخاري :

قَالَــتْ امْــرَأَةٌ : وَاثْنَانِ ؟ قَــالَ : «وَاثْنَــانِ» ا.هـ ؛ أي : ولم يُســئل عن الواحد، والله أعلم.

٣٣٢- «الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر كله خيره وشره».

رَوَاهُ مُسلِم عَنْ عمر بن الخطاب رضي الله عنه

معناه : أن التصديق الواجب شــرعًا الذي ينجو به المكلف عند الله -تعالــى- هــو أن يصدق بوجــود الله ووحدانيته ذاتــه وصفاته وأفعالــه، وبوجــود الملائكة وعصمتهــم وهم أجســام روحانية لا يُوصفون بذكورة ولا أنوثة، لا يأكلون ولا يشــربون يُسبِّحون الليل والنهــار لا يفترون، لا يعصون الله ما أمرهــم ويفعلون ما يؤمرون، ويصــدق بأن جميع كتب الأنبيــاء مُنزَّلة عليهم من عند الله تعالى، وكل مــا فيهــا حــق، وبأنَّ لله تعالى رســلًا مــن بنــي آدم اصطفاهم وعصمهــم وهداهــم وأنزل عليهم شــرائع أمرهــم أن يعبدوه بها، ويعملــوا بما فيهــا ويبلغونها النــاس، ويأمروهــم أن يعلموا بها، ويصدق أيضًا بأنَّ الله تعالى قدَّر الأشــياء كلها أزلًا خيرها وشرها، فما من شيء كان أن يكون من جميع الحوادث الدنيوية والأخروية إلَّا تعلّــق به العلــم القديم على ما هو عليه، وخصصته إرادة الله بما هو عليه، وأمَّا تفاصيل العقائد الإلهــيّات والنبويات والســمعيات فتنــدرج فــي الإيمان بالكتــب لتضمنها لها وبيانهــا فيها، وظاهر الحديث أن النطق اللساني والعمل بالأركان ليس جزءًا من مسمى الإيمــان فيكون ما ورد مما يفيد أن الإيمان تصديق بالجنان ونطق باللســان وعمل بالأركان، بيانًا لكمالــه لا لحقيقته، وبه قيل نعم

لا يحكم على المكلف ظاهرًا بأحكام المسلمين إلَّا إذا نطق بالشهادتين أو ذلك في غير من ولد على الإسلام، أما هو فليس شرطًا فيه والمبحث طويل الذي تكفلت ببسطه كتب الكلام.

٣٣٣- «الإيمان بضع وسبعون شعبة؛ فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان».

رَوَاهُ مُسْلِم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه

معناه: أن ثمرات الإيمان وفروعه ولوازمه وخصال أهله المتمسكين بآدابه تزيد على سبعين خصلة، زيادة ما بين الثلاث إلى التسع، فإنَّ ذلك معنى البِضع بكسر الباء، والشُّعْبة بضم الشين وسكون العين هي الخصلة مجازًا وأصلها غُصن الشجرة استُعيرت للخصلة، وهذا العدد يُحتمل أن يُراد به التحديد، ويُحتمل أن يُراد به التكثير، وقد نصَّ في الحديث على أعلاها وأدناها، ولم يذكر ما بينهما، وقد تعرض ناسٌ لعدها بالاجتهاد، ومن المُجازفة الحكم بأنَّ ما عدوه هو المُراد، ومع ذلك لم يجروا فيما عدوه على نمط واحد، قال الحافظ ابن حجر: «وأقربها إلى الصواب طريق ابن حبّان فإنه عد كل طائفة عدّها الله في كتابه أو النبي ﷺ في سُنَّته». قال الحافظ: «وقد رأيتها تتفرع عن أعمال القلب وأعمال اللسان وأعمال البدن؛ فأعمال القلب فيها المعتقدات والنيّات وتشمل على أربع وعشرين خصلةً؛ الإيمان بالله ويدخل فيه الإيمان بذاته وصفاته وتوحيده وبأنَّه ليس كمثله شيء واعتقاد حدوث ما سواه، والإيمان بملائكته وكُتبه ورسله

والقـدر خيره وشـره، والإيمـان باليوم الآخر؛ ويدخل فيه سـؤال القبر والبعث والنشور والحساب والميزان والصراط والجنة والنار والحـب فـي الله والبُغض فيه ومحبة النبـي ﷺ وتعظيمه؛ ويدخل فيه الصلاة عليه، واتباع سُنَّته، والإخلاص؛ ويدخل فيه ترك الريّاء والنفاق والتوبة والخوف والرجاء والشكر والوفاء والصبر والرضا بالقضاء والتوكل والتواضع والرحمة، ويدخل فيه التواضع وتوقير الكبير ورحمة الصغير وترك التكبر والعجب وترك الحسـد وترك الحقد والغضب، وأعمال اللسـان تشـمل سـبع خصـال؛ التلفظ بالتوحيد وتلاوة القـرآن وتعلُّم العلم، وتعليمه، والدعاء، والذكر ويدخل فيه الاسـتغفار واجتناب اللغوّ، وأعمال البدن تشمل ثمانٍ وثلاثيـن خصلـة؛ منها ما يختـص بالأعيـان وهي التطهير حسًّـا وحكمًا؛ ويدخل فيه اجتناب النجاسـات، وسـتر العورة والصلاة فرضًـا ونفلًا، والزكاة كذلك، وفك الرقـاب والجود، ويدخل فيه إطعـام الطعام وإكرام الضيف والصيام فرضًا ونفلًا والحج والعمرة والطـواف والاعتكاف والتمـاس ليلة القـدر، والفـرار بالدِّينِ من الفتـن ويدخل فيه الهجرة من بلاد الكفـر والوفاء بالنذر والتحري فـي اليميـن وأداء الكفارات؛ ومنها ما يتعلق بالاتباع، وهى سـت خصال: التعفف بالنكاح والقيام بحقوق العيال وبرّ الوالدين ومنه اجتناب العقوق وتربية الأولاد وصلة الرحم وطاعة المملوك سيده ورفق السـيد به، ومنها ما يتعلق بالعادة وهي سـبع عشرة خصلة: القيـام بالإمارة مع العـدل ومُتابعة وطاعة أولي الأمر والإصلاح بين الناس؛ ويدخل فيه قتال البُغاة والمعاونة على البر ويدخل فيه الأمر

بالمعروف والنهي عن المنكر وإقامة الحدود والجهاد ومنه الرباط وأداء الأمانة، ومنه أداء الخُمس مع وفائه وإكرام الجار وحسن المعاملة، وفيه اكتساب المال من وجه الحلال وإنفاقه في وجهه ومنه ترك التبذير والإسراف ورد السلام وتشميت العاطس وكف الضرر عن الناس واجتناب اللهو وإماطة الأذى عن الطريق فهذه تسعة وستون خصلة ويمكن عدّها تسعًا وسبعين خصلة باعتبار ما ضم بعضه إلى بعض أو ببعض تصرف وقد سبق احتمال أن العدد للتكثير لا للتحديد»؛ وقوله: «فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللّٰه» إن أُريد به الشهادتان اللتان يدخل بهما الإسلام عند من لا يعتد بمجرد التصديق القلبي فظاهر، وعند من يعتد به بدونها فالأفضلية من حيث إن هذا القول يترتب عليه حفظ الدماء والأموال وجريان أحكام المسلمين على قائله وإلا فمجرد هذا الذكر لا يكون أكبر أجرًا من الصلاة والزكاة والصيام والحج، ومن تقرير الحافظ المُتقدِّم يظهر أن المُراد بقولها أصل الإيمان، وبالجملة ففي المقام دقة تحتاج لإمعان النظر. وقوله: «وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ»؛ أي: إزالة ما يُؤذي المارين بها من نحو شوك وحجر. وقوله: «وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ» الحياء بالمد بوزن سحاب، عبارة عن ملكة تحمل صاحبها على فعل الحسن وترك القبيح، فيبنى عليه جميع الشعب: ولذا خصّه بالتنبيه عليه، فقد ورد: «الْحَيَاءُ خَيْرٌ كُلُّهُ». رَوَاهُ مُسْلِمُ وأبو داود عَنْ عمران بن حصين ﵁. وروى الشيخان عنه أيضًا: «الحَيَاءُ لا يَأْتِي إِلَّا بِخَيْرٍ». وروى الطبراني في الأوسط عن أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ ﵁ مرفوعًا: «الحياءُ

والإِيمانُ مَقْرُونَانِ لا يَفْتَرِقَانِ إِلَّا جَمِيعًا»؛ أي إذا فارق أحدهما تبعه الآخـر، وروى الطبراني أيضًا عن قرة بن إيـاس: «الحَيَاءُ هُوَ الدِّينُ كُلُّـهُ». ورَوَى مُسْـلِمُ عَـنْ ابن عمر رضـي الله عنهمـا: «الحَيَاءُ مِنَ الإِيمَانِ». ورَوَى الترمذي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁: «الحَيَاءُ مِنَ الإِيمَانِ، والإِيمَانُ في الجَنَّةِ، والبَذاءُ مِنَ الجَفَاءِ، والجَفَاءُ في النَّارِ»[٢٣].

وقوله: «والبَذَاءُ» أي: الفحش في القول، والجفاء، الهجر وترك الصلـة. وقوله: «فِـي النَّارِ» أي: أصحابه بسـببه، كما ورد: «وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ في النَّارِ على وُجُوهِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ»[٢٤]. اللهم ارزقنا الحياء منك ومن خلقك بمنّك وكرمك يا أرْحم الراحمين.

---

(٢٣) رواه الترمذي وغيره عن أبي هريرة.

(٢٤) أخرجه الترمذي وابن ماجه وغيرهما بنحوه عن مُعاذ.

باب حرف الباء الموحّدة

٣٣٤- «بَادِرُوا الصُّبْحَ بِالْوِتْرِ».

رَوَاهُ مُسْلِمُ عَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ عُمَرَ رضي الله عنهما

معناه: سابقوا وتعجّلوا بصلاة الوِتْر بعد العشاء إلى طلوع الفجر ولا تُهمِلُوا حتى يطلع الفجر لئلَّا يخرج الوِتْر عن وقته فيصير قضاءً.

٣٣٥- «بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ المُظْلِم يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، وَيُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ أَحَدُهُمْ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا قَلِيلٍ».

رَوَاهُ مُسْلِمُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه

قوله: «فِتَنًا» جمع فتنة وهي: الداهية العظيمة، أي: بادروا بصالح الأعمال قبل وقوعها. قوله: «كَقِطَعِ اللَّيْلِ» هو ظلمة آخره، شبَّه الفتن به لعدم الوصول والاهتداء إلى المقصود في كُلٍّ، أي إن الفتن والمفاسد إذا وقعت شغلتكم عن الطاعات وأفعال الخير فعجِّلوا بها قبل تعذُّرِها. قوله: «يُصْبِحُ... إلخ» يُريد أن نوعًا من عظائم الفتن يتقلب المرء عند وقوعه من الإيمان إلى الكفر وعكسه في اليوم الواحد. قوله: «يَبِيعُ» المراد البيع اللغوي وهو مُقابلة شيء بشيء. قوله: «بِعَرَضٍ» بفتح الراء؛ أي: متاع دنيوي مرغوب فيه يعرض ويحدث ثم يذهب.

٣٣٦- «بادروا بالأعمال ستا طلوع الشمس من مغربها والدخان ودابة الأرض والدجال وخويصة أحدكم وأمر العامة».

رَوَاهُ مُسْلِمُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه

قوله: «طُلُوعَ الشَّـمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا» ذلك هو أوَّل ظهور علامات الساعة الكُبرى، وحينئذ لا ينفع عصيًّا توبته إذا لم يكن تائبًا من قبل، فلهذا أمر بالمبادرة بصالح الأعمال قبل ذلك. قوله: «وَالدُّخَان» بتخفيف الخاء المُعجمة: هو الذي يظهر قرب الساعة. قوله: «ودَابَّة الأَرْضِ والدَّجَّالَ» أي: خروجهما فإنَّهما من أكبر أمارات الساعة. قوله: «وَخَوَيصة أَحَدِكُمْ» تصغير خاصة وهو بسكون الياء وتشديد الصاد واغْتُفِرَ فيه التقاء الساكنين لأنه على حدِّه. والمُراد بها: حادثة الموت التي تخصُّ كل أحد فتنزل به عند انقضاء أجله، وتصغيرها لتحقيرها بالنسبة لما بعدها من البعث والعرض والحساب وغير ذلك من أهوال القيامة، المرادة بقوله: «وأَمْر الْعَامَّةِ» لأنها تعمُّ جميع الناس، ويصح أن يُراد بالخويصة فتنة المرء الخاصة به، وبأمر العامة الفتن التي تعمّ الناس؛ نعوذ بالله من الفتن.

٣٣٧- «بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئا، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوا في معروف، فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب في الدنيا فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئا ثم ستره الله، فهو إلى الله إن شاء عفا عنه، وإن شاء عاقبه فبايعناه على ذلك».

رَوَاهُ البُخَارِيُّ عن عُبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ رضي الله عنه

قوله: «عَلَى أَنْ لاَ تُشْرِكُوا» أي: لا تكفروا كفرًا حقيقيًّا أو ما يعم كفران النِعَم أو المراد بعدم الشرك أن لا يعبدوا مع الله غيره،

وأن لا يــراءون في العمل، قوله: «وَلاَ تَسْــرِقُوا» أي: لا تأخذوا مال المعصــوم خفيّة من حــرز. مثله قوله: «وَلاَ تَزْنُــوا» أي: لا تدخلوا حشــفة أو قدرهــا ممن لا حشــفة له في فــرج مُحَرّم لذاته مشــتهى طبعًا عمدًا اختيارًا. وقوله: «وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلاَدَكُمْ» أي: ذكورًا كانوا أو إناثًــا، فقد كان أهــل الجاهلية يقتلونهم خشــية الفقر بالإنفاق عليهــم وكانــوا يَئِــدُونَ البنــات؛ أي: يدفنونهــن بالحيــاة خوف العــار، وخــصّ الأولاد بالذكــر وإن كان قتــل النفــس مُطلقًا بغير الحــق مــن أكبر الكبائر لزيــادة الاهتمام بهم فــإن كان قتلهم لإثم القتل وقطيعة الرحم ولإبطال تلك العادة الفاشية فيهم ولأنهم في حيازتهم ضعافًا لا يقدرون أن يدافعوا عن أنفسهم. قوله: «بِبُهْتَانٍ» هــو الكذب الذي يُبهــت أي: يُدهش ويُوقع فــي الفضيحة. قوله: «تَفْتَرُونَــهُ» أي: تختلقونــه من عند أنفســكم ولا أصــل له. قوله: «بَيْــنَ أَيْدِيكُــمْ وَأَرْجُلِكُــمْ» كناية عن النفس لأنَّ معظــم البدن بين الأيــدي والأرجل أو عــن القلب لأنَّه بين ذلك. قولــه: «وَلاَ تَعْصُوا فِي مَعْرُوفٍ» أعمّ مما قبله، والمعروف ما عُرف حُسْــنَهُ شرعًا أمرًا كان أو نهيًــا، وإنمــا قيَّد عــدم العصيان وإن كان هــو لا يأمر إلا به إيذانًا بأنَّ لا طاعــة لمخلوق في معصيّة الخالق. قوله: «فَمَنْ وَفَى» يُرْوَى بِتَشدِيدِ الفَاءِ وتخفيفها أي أدَّى ما بايع عليه. وقوله: «وَمَنْ أَصَابَ» أي: ارتكب شــيئًا من تلك المنهيّات ســوى الإشراك إذ لا كفارة له بالحد في الدنيا ولا يغفر في الآخرة حتمًا.

قولــه: «شَــيْئًا» نكرة في ســياق النفــي فتعمّ كل واحــد. قوله: «فَعُوقِــبَ فِــي الدُّنْيَــا» أي: بإقامــة الحدّ عليــه. قولــه: «فَهُوَ» أي:

العقـاب المفهوم من عوقب. قوله: «كَفَّارَةٌ لَهُ» أي: سـاتر ومانع له مـن العقوبة الأخروية، فيؤخذ منه أنَّ الحـدود جوابر. قوله: «وَمَنْ أَصَابَ» أي: ارتكب شيئًا من تلك المنهيات، وتذكير اسم الإشارة وإفراده في قوله: «مِنْ ذَلِكَ» لتأويله بالمذكور من المنهيّات. قوله: «ثُـمَّ سَـتَرَهُ اللهُ» أي: لم يُطلـع أحدًا، زاد في روايـة: «عَلَيْه». قوله: «فَهُـوَ إِلَـى اللهِ... إلخ» بيان لجواز كل مـن الأمرين في حقّه تعالى، وأمـا الـوارد في غير مـا هنا من أنَّه لا عقاب عليـه فذلك لبيان عدم الوقوع وإنْ كان ممكنًا إذ لا يلزم من الإمكان الوقوع. والله أعلم.

٣٣٨- «بئس ما لأحدهم أن يقول نسيت آية كيت وكيت بل نُسّي، واستذكروا القرآن فإنه أشد تفصيا من صدور الرجال من النعم».

رَوَاهُ البُخَارِيُّ عن ابن مسعود رضي الله عنه

قولـه: «بِئْـسَ مَا» أي: شـيئًا كائنًا لأحدكم فيكـون فاعل بئس مسـتترًا، والنكرة الموصوفة تمييزًا له والمخصوص بالذم المصدر من قوله: «أَنْ يَقُولَ» ويصحّ أن تكون ما موصولة فاعل بئس. قوله: «نَسِيتُ» بفتح النون وكسر السين آخره ياء ماض من النسيان فاعله ضمير المُتكلِّم. قوله: «كَيْتَ وَكَيْتَ» كقوله: كذا وكذا عبارة عما تُعـرف به الآيـة، وإنما ذم هذا التعبير لإشـعاره بالإعـراض والترك والتسـاهل فـي مُذاكـرة القرآن، والغفلـة عن تعاهده حتى نسـيه، ولقبح التعبير به فإن فيه تشبيهًا بالذي يقول الله له من الكفار:

﴿قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾

(طه: ١٢٦)

فخُلاصته كراهة ذلك لقُبح التعبير به، وقد كان ﷺ يتخيّر الألفاظ ويُغير الأسماء القبيحة بالأسماء الجميلة، وما هنا نظير نهيه عن قول المرء: خبثت نفسي. قوله: «بَلْ نُسِّيَ» بضم النون وتشديد السين المهملة المكسورة وفتح الياء المُثنّاة التحتية آخره، صيغة ماض مجهول أي أنساه الله قهرًا عنه لا باختياره، فيقول: نُسِّيتُ أو أُنْسِيَتُ بصيغتي المجهول دون نَسِيتُ بصيغة المعلوم. قوله: «وَاسْتَذْكِرُوا الْقُرْآنَ» أي: اطلبوا حضوره في الذاكرة بكثرة التلاوة حتى لا ينسى، ففي الصحيحين: «تَعاهَدُوا القُرْآنَ فوالَّذي نَفْسِي بِيَدِهِ لَهُوَ أَشَدُّ تَفَصِّيًا مِنْ قُلُوبِ الرِّجَالِ مِنَ الإِبِلِ مِنْ عُقُلِها». قوله: «تَفَصِّيًا» بكسر الصاد المشددة أي: تَفَلُّتًا وذهابًا. قوله: «مِنْ النَّعَم» بفتح العين أي: الإبل المعقولة إذا حُلَّ عِقالها، كما ورد مصرحًا به في حديثٍ أو المعنى لا يقل ذلك اللفظ فيكون اللفظ المشعر بأن النسيان حصل له باختياره فيكون كذبًا؛ لأنَّه ليس من فعله وإن تسبب عن إهماله بل هو أُنْسِيَ عقوبةً له على التفريط وترك التلاوة، وقال عياض: أولى ما يتأول عليه الحديث ذم الحال لا ذم القول. أي: لا ينبغي للإنسان أن يتساهل ويتغافل حتى يَنْسَى بسبب تفريطه. والله أعلم.

٣٣٩- «بعثت أنا والساعة كهاتين».

رَوَاهُ البُخَارِيُّ[٢٥] عَنْ سَهلِ بن سَعد رضي الله عنه

(٢٥) وكذلك رواه مسلم عن سهل، وكلاهما رواه عن أنس أيضًا.

والإشارة بقوله: «كَهَاتَيْنِ» للإصبعين: السبابة والوسطى، أي: ليس بيني وبينها نبي كما أنه ليس بين الإصبعين آخر. قوله: «والسَّاعَةُ» مرفوع بالعطف على الضمير المُستتر لوجود التأكيد بالمنفصل، والنصب على أنه مفعول معه ضعيف.

٣٤٠- «بعثت بجوامع الكلم ونصرت بالرعب وبينا أنا نائم رأيتني أتيت بمفاتيح خزائن الأرض فوضعت في يدى».

رَوَاهُ الشَّيْخَانِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁

قوله: «بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ» من إضافة الصفة للموصوف ومفرده جامعة أي: بعثت بالقرآن الذي يجمع المعاني الكثيرة في الألفاظ الوجيزة. قوله: «بِمَفَاتِيحِ خَزَائِنِ الأَرْضِ» جمع مفتاح، ووضع المفاتيح في يده إما حقيقة أو كناية عن تملكها، وخزائن الأرض هو ما فتح على أمّته من خزائن كسرى الذهبية، وخزائن قيصر الفضية. قوله: «فِي يَدَيَّ» يُروى بالإفراد والتثنيّة.

٣٤١- «بعثت من خير قرون بني آدم قرنا فقرنا، حتى كنت من القرن الذي كنت فيه».

رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁

قوله: «قُرُون» جمع قرن وهو: الجيل والطبقة من الناس المجتمعين في عصر واحد، وَحَدَّ بعضُهم القرن بمئة سنة وبعضهم بتسعين. وقوله: «قَرْنًا فَقَرْنًا» منصوب على الحال أي: حال كون قرون بني آدم متعاقبة قرنًا بعد قرن، وجيلًا بعد جيل، ففي كل قرن يكون أصْلي إذ ذاك من خياره. وقوله: «حَتَّى كُنْتُ» وفي رواية «حَتَّى بُعِثْت». يقول إن الله تخيّر أصولي الذين كانت

نُطْفَتِـي تتنقل فيهم من أصلاب الرجال إلى أرحام النســاء فلم أزل أتنقــل من صلب طيب إلى رحم طاهر إلى أن خرجت من بين أبوي وهما من أرفع بيت وأشرف قبيلة، كما قال القائل:

قـــريـــش خـــيـــار بـــنـــي آدم
وخـــيـــر قـــريـــش بـــنـــو هـــاشـــم

وخـــيـــر بـــنـــي هـــاشـــم أحـــمـــد
رســـــول الإلـــــه إلـــــى الـــعـــالـــم

٣٤٢- «بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار».

رَوَاهُ البُخَارِيُّ والإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ عَبْدِ الله بنِ عُمَرَ رضي الله عنهما.

قوله: «بَلِّغُوا... إلـخ» معناه: انقلوا عني إلى أُمتي ما يمكنكم نقله مما وعيتمُوه عني لينتشر بين الناس ما جئت به، فهو كقوله: «ليبلغ الشـاهد منكم الغائب» وإنَّما بالغ بقوله: «وَلَوْ آيَةً» دون أن يقــول: «ولو حديثًـا» لأن تبليغ القرآن واجــب، ولأن الأمر بتبليغ الحديث يُعلم من هذا بطريق الأولى، فإن آيات القرآن مع انتشارها وكثرة حملتها تكفَّل الله بحفظها وصونها عن الضياع والتحريف، فإذا وجــب تبليغها وهي بهذه المثابــة فالحديث الذي ليس مثلها في ذلك أولى بالتبليغ منها. قوله: «وَحَدِّثُوا... إلخ» معناه لا ضِيْقَ عليكــم ولا إثم في ذكــر ما بلغكم عن بني إســرائيل من العجائب ليكون عبرة وموعظة ويُستثنى من ذلك ما يُعلم كذبه، أو المعنى: حدِّثــوا إن شــئتم ولا حــرج عليكم إذا لــم تُحدثوا فالمــراد بالأمر

بالتحديث الإذن والإباحة. قوله: «وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا... إلخ» أي: بأن تَقَوَّل عليَّ ما لم أقُل أو نَسَبَ إليَّ أَمرًا غير منسوب إليَّ كأن يقول كذبًا عمدًا أنني قلت كذا أو فعلته أو أقررته. وقوله: «فَلْيَتَبَوَّأْ» أي: فليتخذ له مُتبوأ ومسكنًا من النار مع الكاذبين لأنَّه كذبٌ على الله في دينه فإني مُشَرِّع مُبَلِّغ عن الله تعالى، والمقصود من صيغة الأمر الإخبار أي فهو مُتَبَوِّئٌ مقعده الذي يستحقه في النار.

٣٤٣- «بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان».

رَوَاهُ الشَّيْخَانِ عَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ عُمَرَ رضي الله عنهما.

قوله: «بُنِيَ الإِسْلَامُ... إلخ» معنى الحديث: أن الإسلام بمعنى الانقياد يتحقق بفعل هذه الخمس وخصَّها لأنَّها معالم الأعمال الدينية وأصولها، ويصح أن يُراد بالإسلام مجموع الأعمال الدينية، ومعنى بنائه على هذه الخمس تركّبه منها، فإن المجموع يتركب من أجزائه، وخصّها مع كثرة شعب الإيمان لما ذُكر وحينئذ تكون على بمعنى من وكأنَّه يقول: إن مواد الإسلام وأجزاءه التي يتحقق بها ليست إلَّا هذه مبالغة في أهميتها وعلوّ شأنها. قوله: «شَهَادَة» إلى آخر المعطوفات بالجر على البدلية من خمس، ويجوز رفعها على الخبرية، والشهادة إقرار باللسان يُطابق ما يعتقده الجنان «وَإِقَامُ الصَّلاةِ»: تأدية الصلوات الخمس في كل يوم وليلة وهو مصدر كالإقامة وحُذفت منه تاء التعويض لمُشاكلة ما بعده دون

مـا قبله، «وإِيتَاء الزَّكَاةِ»: إعطاء ما وجب في مال بلغ نصابًا وحال عليــه الحول وهو مملــوك ملكًا تامًّا لمن يســتحقه مــن الأصناف الثمانية المذكورة في آية:

﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴾

(التوبة: ٦٠)

«وَالحَجُّ»: أفعال مخصوصة تجب في العمر مرة على المستطيع.

«وَصَوْم رَمَضَان»: إمســاك عن المُفطرات بنيّة، في جميع أيامه من طلــوع الفجر إلى غروب الشــمس، وإنما اقتصر على الشــهادتين مع أنَّــه يجب الإيمان بجميع الأنبيــاء والملائكة والكتب المنزّلة واليوم الآخر وغير ذلك مما عُلِمَ من الدين بالضرورة لاندراج ذلك في الإيمان بالرســول ﷺ فإن المُراد من الشهادة برسالته تصديقه في كل ما جاء به، والله أعلم.

٣٤٤- «بَيْنَ كُلِّ أَذَانَيْنِ صَلاَةٌ لِمَنْ شَاءَ».

رَوَاهُ الشَّيْخَانِ عَنْ عَبْدِ الله بنِ مغفل رضي الله عنه

قولــه: «أَذَانَيْــنِ» تثنية أذان والمراد بهمــا: الأذان والإقامة، إما تغليبًا للأشرف منهما أو أن الإقامة أذان حقيقة لأنَّها إعلام بحضور فعل الصلاة، كما أن الأذان إعلام بحضور وقتها، والمراد بالصلاة: النافلــة القبليــة وتنكيرها لتتنــاول كل عدد نية المتنفــل، أفاد به أن هــذه الصــلاة غير واجبــة، ودخل في عمومه التنفــل بين الأذان

والإِقامة للمغرب وهو الأصح عند الشافعية، وأما حديث: «بَيْنَ كُلِّ أَذَانَيْنِ صلاةٌ إِلَّا المَغْرِبَ»[٢٦] فضعيف لا يُعارض الصحيح وكره المالكية الصلاة بين الأذانين والإقامة لمن يقتدى به لئلَّا يعتقد الجاهل الذي يراه أنها واجبة.

٣٤٥- «بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكُ الصَّلاَةِ».

رَوَاهُ مُسْلِمُ عَنْ جَابِرَ بن عَبْدِ الله الأنصَاريّ رضي الله عنهما

المراد بالرجل: الإِنسان مطلقًا، والشرك: عبادة غير الله، وعطف الكفر عليه عطف عام على خاص. قوله: «تَرْكُ الصَّلاَةِ» مبتدأ مؤخّر خبره الظرف قبله ومتعلقه محذوف والتقدير وصلة بين الرجل والشرك، أي إن تركها يصيّر المسلمُ شبيهًا بالمشرك؛ لأن فعلها هو المُميِّز بينهما، ففيه الحثّ الشديد على المُحافظة على الصَّلاة.

٣٤٦- «اَلْبِرُّ: حُسْنُ اَلْخُلُقِ، وَالْإِثْمُ: مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ، وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ اَلنَّاسُ».

رَوَاهُ مُسْلِمُ عَنْ النَّواس بن سَمْعَانَ رضي الله عنه

قوله: «الْبِرُّ... إلخ» أي: إن معظم أفعال الطاعة أن يتخلق العبد بالأخلاق الحسنة مع الحق والخلق، وعلامة الإِثم أن تكون النفس في قلق من الأمر وتردد وخوف من أن يكون ذنبًا وأن يستحي من اطلاع من له قدر من الناس على فاعله. قوله: «حَاكَ» بحاء مهملة أي: تحرك وتردد ولم ينشرح له الصدر، وقد رواه الإِمام أحمد عن أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه بلفظ: «الْبِرُّ مَا سَكَنَتْ إِلَيْهِ النّفْسُ،

---

(٢٦) رواه البزار عن بريدة.

وَاطْمَـأَنّ إِلَيْه الْقَلْبُ، وَالْإِثْمُ مَا لَمْ تَسْـكُنُ إِلَيْـهِ النّفْس ولَمْ يَطْمَئِنَّ إِلَيْهِ القَلْبُ، وَإِنْ أَفْتَاك الْمُفْتُونَ».

٣٤٧- «البيعان بالخيار ما لم يتفرقا فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما، وإن كتما وكذبا محقت بركة بيعهما».

رَوَاهُ الشَّيْخَانِ عَنْ حَكِيم بْنِ حِزَام ﷺ

قوله: «البَيِّعـان» بفتح الباء الموحدة وتشـديد المثناة التحتية المكسورة أي: المبايعان وهما البائع والمشتري. قوله: «بالخِيَارِ» أي: خيار المجلس فإنه ثابت لهما بلا شـرط ما دام في المجلس، وبه أخذ الشـافعي فلكل منهمـا الخيار في فسـخ البيع وإمضائه. قولـه: «مَـا لَـمْ يَتَفَرَّقَـا» أي: مـدة عدم تفـرق أبدانهمـا ولو طال المجلـس، وقال مالك وأبو حنيفة -رضـي الله عنهما-: إن المراد التفـرق بالكلام فإذا اشـترطا خيـارًا أو أحدهما ثبـت الخيار لمن اشـترطه فإن تفرقـا أي: جعلا بيعهما لازمًا بتًّا ولم يشـترطا خيارًا لـزم البيع بمجرد البيع ولا خيار لواحد منهما ولو كانا بالمجلس. قولـه: «فَـإِنَّ صَدَقَـا» أي: صدق كل واحـد منهما فيمـا يبذله من سـلعته أو بمن في قدره وصفته. قولـه: «وبينا» أي: العيب الخفي الذي في السـلعة أو الثمن فالبيان غير الصدق، ويحتمل اتحادهما وأن الجمـع بينهما للتأكيد. قوله: «مُحِقَـتْ... إلخ» أي: ذهبت وزالت بركة الصفقة بسـبب الكذب أو الكتمان ولو من أحدهما، فيعود شـؤمه علـى صاحبه، ويحتمل اختصاص محـق البركة بمن كـذب أو كتم دون من صدق وبيّـن، فيُعامل كل منهما بعمله كما في الآخرة، والله أعلم.

حرف التاء المُثنّاة الفوقية

٣٤٨- «تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة وليس للحجة المبرورة ثواب إلا الجنة».

رَوَاهُ التِرمـذِيُّ والإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ عَبْدُ الله بن مَسْـعُود ﷺ، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح غريب.

قولـه: «تَابِعُوا... إلخ» أي: أكثروا مـن فعلهما ولا تطيلوا الفصـل بين الفعـل الأول والثاني منهما سـواء كانا حجين أو عمرتيـن أو حج وعمرة. قوله: «يَنْفِيَـانِ الفَقْرَ والذُّنُوبَ» أي: هما سـببان للغنى ولغفـران الذنوب إمَّا كونهما سـببًا للغنى، فلِمَـا وَرَدَ: «أنَّ الله يخلـف علـى الحجـاج والعمار مـا أنفقوه الدرهم ألف ألف أو أكثر»[٢٧]. وأمَّا كونهما سببًا للغفران فلأن الحسنات يُذْهِبْنَ السـيئات خصوصًا إذا كانت شاقة كالجهاد والحـج والعمرة، وأيضًا هما عبادتان بدنيتان ماليتان، وفيهما سـفر وغربـة ومفارقة الوطن والأهل والمـال، هذا ما ظهر لي، وللعبادات خصوصيات وأسـرار يعلمها الله ورسوله، وقد رواه الدارقطني عن جابر ﷺ: «أَدِيموا الحَجَّ والعُمْرَةَ فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الفَقْـرَ والذُنوبَ كَمَا يَنْفـي الِكيرُ خبْثَ الحَدِيـدِ»[٢٨]. قوله:

(٢٧) رواه البيهقـي عـن أنس بلفظ: «الحجـاج والعمار وفد الله يعطيهم ما سـألوه ويستجيب لهم ما دعوا ويخلف عليهم ما أنفقوا الدرهم ألف ألف».

(٢٨) رواه ابن ماجه.

«كَمَـا يَنْفِي . . .إلخ» تشـبيه يفيد أنهما لا يبقيـان من الذنوب شيئًا كما أن المعادن الثلاثة إذا نُفِخَ عليها بالكير خرجت نقية من الصدأ صافية لا خبث عليها . قوله : «وَلَيْسَ . . . إلخ» الحجة المـرة الواحدة من الحج ، والمبرورة المقبولـة أو التي برّ فيها فاعلها فلم يقترف فيها ذنبًا إلى أن فرغ منها فإذا كانت كذلك وفعلهـا علـى الوجه الأكمل لم يقف ثوابهـا عند تكفير ذنوبه فقط بل يستحق دخول الجنَّة مع السابقين ، بفضل الله وكرمه ، وروى الدارقطنـي والطبراني عن ابن عُمر مرفوعًا : «تابعوا بين الحـج والعمرة فـإن متابعة مـا بينهما تزيد فـي العمر والرزق وتنفي الذنوب من بني آدم كما ينفي الكير خبث الحديد» .

٣٤٩- «تَبْلُغُ الْحِلْيَةُ مِنَ الْمُؤْمِنِ حَيْثُ يَبْلُغُ الْوُضُوءُ».

رَوَاهُ مُسْلِمُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه

قولـه : «الْحِلْيَةُ» هـي : حلية الجنة التي يلبسـها أهلها كما قال تعالى : ﴿ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ ﴾ (الكهف : ٣١)

وقال : ﴿ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ ﴾

(الإنسان : ٢١)

وقال : ﴿ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ﴾

(الحج : ٢٣)

وقيل : المراد بالحلية الغرة والتحجيل ، والأول ظاهر الحديث .

قولـه : «حَيْـثُ يَبْلُغُ الوُضُـوءُ» أي : المحل الذي يصـل إليه الماء ،

فالوَضوء هنا بفتح الواو أي: الماء الذي يُتَوضَأُ به، وهل هذا خاص بالأيـدي والأرجل كحلية الدنيا أو في كل أعضاء الوضوء كما قال بعض العلماء؟. الله أعلم.

٣٥٠- «تجدون الناس معادن فخيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا وتجدون من خير الناس في هذا الشأن أشدهم له كراهية قبل أن يقع فيه وتجدون شر الناس يوم القيامة عند الله ذا الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه ويأتي هؤلاء بوجه».

رَوَاهُ الشَّيْخَانِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁

قوله: «مَعَادِنَ» أي: أصولا مختلفة كالمعادن؛ جمع معدن وهو الشيء المُستقر في الأرض؛ منه نفيس ومنه خسيس، وكذلك الناس. قوله: «فَخِيَارُهُمْ... إلخ» أي: فكل من عُرف بمحاسن الأخلاق وصفات الشرف والكمال؛ كالكرم والعفَّة والحلم، فكان له عزٌ وشأنٌ وعلوٌّ في الجاهلية؛ فهو كذلك في الإسلام، ولكن شرف الإسلام إنما يتم بالتفقّه في الدين، فإذا تمّ له شرف الإسلام بالعلم وانضم إلى شرف الحسب القديم فتلك الغاية القصوى، وإلَّا فشرف العلم بعد الإسلام يفوق شرف الأحساب القديمة المجرد عن العِلْم، وهذه الجملة كالبيان لوجه التشبيه بالمعادن، أي: فكما أن المعادَن إذا خرجت من مقرّها وظهرت بعد الخفاء لا تتغير صفاتها الذاتية ولكنها تزداد حُسنًا بالتصفية وحُسن الصياغة، فكذلك من كانت أصولهم عالية في الجاهلية، لم يزالوا فاضلين على غيرهم من الذين كانوا دونهم في الجاهلية ما لم يمتازوا عنهم بشرف العِلْم، فإن شرفه

بمجرده يفوق شـرف الحَسَب والنَسَب كذلك، ففيه الحثّ على نَهَم العِلْم والتفقّه في الدين، حيث يرفع الوضيع ويزداد به شـرف الرفيع، كما قيل: «العلم يرفع الوضيع ويزداد به شرف الرفيع». كما قيل:

العلمُ يَرفعُ بيتًا لا عِمادَ له
والجهلُ يهدِمُ بيتَ العزِّ والحَسَبِ

وقوله: «إِذَا فَقُهُوا» بكسر القاف أي: فَهِمُوا وعملوا وبضمها أي: صاروا فقهاء. قوله: «فِي هَذَا الشَّأنِ» يعني: الخلافة والإمارة، ويحتمل كما قال البيضاوي، أن يُراد به الإسلام. فعلى الأول يكون المعنى: تجدون خير الخُلفاء والأمراء من كانوا يكرهون أن يكونوا خلفاءَ أو أُمراءَ ورعًا منهم وصيانةً لدينهم مخافةَ أن لا يقوموا بالأمر حقّ القيام. وعلى الثاني: يكون المعنى تجدون خير الناس بعد الدخول فيه-الإسلام- كما تحقق ذلك في عمر بن الخطاب وخالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو ونحوهم ممن كانوا فيه أحبَّ وأخلصَ وجاهدوا فيه حق جهاده، لكن يُبْعِدُهُ التعبير بلفظ يقع مع عدم اطراده. قوله: «ذَا الوَجْهَيْنِ» أي: الجهتين بأن يدخل في كل طائفة مظهرًا أنه منهم فيأمنونه ويطّلع على أسرارهم وعوراتهم وينقلها للآخرين بقصد الإفساد وحصول الحظوة له عند الجميع، أمَّا من يأتي كل طائفة بما يُرضيها من قِبَلِ الأُخرى بقصد الإصلاح بينهم؛ فذلك ممدوح؛ ويسوغ له الكذب للمصلحة. والله يتولى السرائر.

٣٥١- «تَحَرَّوْا لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي الْعَشْرِ الأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ».

رَوَاهُ الشَّيْخَانِ والإِمَام أَحْمَدُ عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها

إِلَّا أنَّ البُخَـارِيّ زاد كلمة: الوتر، في حديثه، قوله: «تَحَرَّوْا... إلـخ» معناه: اجتهدوا في العمل رجـاء مصادفة ليلة القدر في أوتار الليالي العشـر الأواخر من شـهر رمضان، فإنَّها فيها غالبًا أو جَزْمًا علـى الخلاف، وأرجـى الأوتار ليلـة الحادي أو الثالث أو السـابع والعشرين، وسُمِّيَت ليلةُ القدر: لأنَّ لِمَنْ أحياها قَدْرٌ وشأنٌ عظيمٌ؛ أو لمـا تكتبه الملائكة فيهـا من المقادير، إذ فيهـا يُفْرَقُ كل أمرٍ حكيم، أو لأنَّ لها قدرًا عظيمًا لنزول القرآن، وتنزل الملائكة فيها، وحصول البركـة والمغفـرة، وإجابة الدعاء، وتسـليم الملائكة، ومضاعفة أجر العمل فيها أكثر من ألف شـهر ليسـت هي فيها أو التي حمل فيها السلاح للجهاد رجل من بني إسرائيل: وروى الإمام أَحْمَـدُ عن عَبْدُ الله بن عُمر رضي الله عنهمـا مرفوعًا: «تَحَرُّوْا لَيْلَةَ القَدْرِ فَمَنْ كَانَ مُتَحَرِّيها فَلْيَتَحَرَّها فِي لَيْلَةِ سَـبعٍ وَعِشْـرِينَ»[٢٩]. وروى مُسْلِم عن ابن عمر رضي الله عنهما أيضًا: «تَحَرَّوا لَيْلَة القَدْرِ في السَّـبْعِ الأواخِرِ مِنْ رَمَضَانِ»[٣٠]. وروى الطبراني بإسناد حسن عـن عبد الله بن أنيس: «تَحـرَّوْا لَيْلَةَ القَدْرِ لَيْلَةَ ثَلاثٍ وعِشْـرِينَ». وجمـع بعضهم بين الروايـات بأنَّها تنتقـل والصوفية يقولون هي ليلة سبع وعشرون وجزم به بعضهم إذا كانت ليلة جمعة، وتبتدئ تلـك الليلة مـن غروب الشـمس وتمتد إلـى طلـوع الفجر، وفي

(٢٩) رواه أحمد وكذلك أبو داود.

(٣٠) رواية مسلم ليس فيها: «مِنْ رَمَضَان».

صبيحتها تطلع الشمس مستوية ليس لها أشعة، بل تكون صافية كالقمر ليلة البدر، وللناس فيها كلام طويل أفردوه بالتَّأْلِيفِ.

٣٥٢- «تَسَحَّرُوا فَإِنَّ فِي السَّحُورِ بَرَكَةً».

رَوَاهُ الشَّيْخَانِ عَنْ أَنَس بنِ مَالِكٍ رضي الله عنه

قول: «تَسَحَّرُوا» أي: تناولوا طعامًا وقت السحر، -ندبًا- لتستعينوا به على صوم النهار، ويحصل بأقل ما يتناول من طعام أو شراب. قوله: «فَإِنَّ فِي السَّحُورِ بَرَكَةً» روي السَّحور بفتح السين للمأكول، وبضمها على أنَّه مصدر بمعنى التَّسَحُّرِ والبَرَكَةِ الَّتِي فيه؛ هي التقوى به على عبادة الصوم، وما يترتب على ذلك من الأجر، وربما تعبد في ذلك الوقت المُبارك بصلاة نافلة أو قراءة قرآن أو ذكر، وبقي مستيقظًا حتى يطلع الصبح في أول وقتها. وفي الحديث: «تسحروا ولو بجرعة من ماء»[٣١]. وروي: «تسحروا ولو بالماء»[٣٢]. وروي: «تسحروا ولو بشربة من ماء وأفطروا ولو على شربة من ماء»[٣٣]. وروي: «تسحروا من آخر الليل هذا الغذاء المبارك»[٣٤].

والمندوب إنما هو تعاطي الطعام في الوقت المخصوص الذي يدخل أوله بمضي نصف الليل الأول بنيّة السحور للصوم، فإن توقف عليه ترك الوصال كان واجبًا لأنَّ الوصال حرام.

(٣١) رواه ابن حبان في صحيحه عن عبد الله بن عمر-رضي الله عنهما.

(٣٢) رواه ابن عساكر عن عبد الله بن سراقة -رضي الله عنهما.

(٣٣) رواه ابن عدي عن علي -رضي الله عنهما.

(٣٤) رواه الطبراني عن عتبة بن عبد وأبي الدرداء -رضي الله عنهما.

٣٥٣- «تسموا باسمي ولا تكتنوا بكنيتي».

رَوَاُه الشَّيْخَانِ عَنْ أَنَس بنِ مَالِكٍ ﷺ

قوله: «تَسَمَّوْا» فعل أمر مفتوح الأول والميم المشددة، والأمر للندب، واسمه المشهور هو محمد وأحمد، قوله: «وَلَا تَكْتَنُوا» بفتح المثناة والكاف حُذف منه إحدى التائين تخفيفًا، ويجوز فيه سكون الكاف وضم النون؛ وهو مجزوم بلا الناهية. قوله: «بِكُنْيَتِي» أي: الخاصّة بي وهي: أبو القاسم، دون أبي عبد الله وأبي الطيِّب وأبي الطاهر وأبي إبراهيم، فلا بأس بالتكني بواحدة منها، والنهي عن التكني بأبي القاسم للتحريم مطلق على الأصح عند الشافعية، أي: سواء تسمى باسمه أم لا في زمنه وبعده وخصَّه بعضهم بمن تسمّى باسمه، وبعضهم بزمن حياته، لما ورد أن رجلًا نادى: يا أبا القاسم فالتفت النبي ﷺ. فقال: أعني غيرك يا رسول الله. فنهى ﷺ عن ذلك بوحي منه تعالى دفعًا لتأذّيه وعنائه ﷺ، والحكم يدور مع علّته وجودًا وعدمًا، والبعض حمل النهي على الكراهة، وعلم فروع الفقه كافل بجميع ما قاله العلماء في هذا المقام.

٣٥٤- «تصدقوا، فسيأتي عليكم زمان يمشي الرجل بصدقته فيقول الذي يأتيه بها لو جئت بها بالأمس لقبلتها، فأما الآن فلا حاجة لي فيها فلا يجد من يقبلها».

رَوَاهُ الشَّيْخَان عَنْ حَارِثَةَ بْنَ وَهْبٍ الْخُزَاعِيِّ ﷺ

قوله: «تَصَدَّقُوا» أي: بادروا بالصدقة في وقت إمكانها قبل أن تتعسر فلا يوجد من يأخذها، وذلك قرب قيام الساعة في زمن

المهدي ﷺ حين يكثر العدل ويستغني الناس عن أخذ الصدقات، وقيل: في زمن الدَّجال حيث يشتغل الناس بما دهمهم من الفتن، فلا يلتفتون إلى المال لشدّة الأهوال، ولعلمهم بقرب الساعة فتَقْصُر آمالهم. ففي الحديث الحثّ على الصدقة والأمر بتعجيلها قبل عروض الموانع، فيُحْرَمُ المرء من إدراك مزاياها، وقد ورد: «تَصَدَّقُوا فَإِنَّ الصَّدَقَةَ فكاكُكُمْ مِنَ النَّارِ»[٣٥]. وورد: «تَصَدَّقُوا وَلَوْ بِتَمْرَةٍ فَإِنَّهَا تَسُدُّ مِنَ الْجَائِعِ وَتُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ»[٣٦].

٣٥٥- «تعرض أعمال الناس في كل جمعة مرتين يوم الاثنين ويوم الخميس فيغفر لكل عبد مؤمن إلا عبدا بينه وبين أخيه شحناء فيقال اتركوا هذين حتى يفيئا».

رَوَاهُ مُسْلِمُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ

قوله: «تُعْرَضُ أَعْمَالُ النَّاسِ» أي: يعرضها الملائكة الموكّلون بأعمال المكلفين على الله -سبحانه وتعالى- في كل أسبوع مرتين؛ مرة يوم الاثنين، ومرة يوم الخميس، وهذا العرض غير الرفع فإنَّه في أوَّل كل يوم وآخره، فإذا عُرضت الأعمال عليه -سبحانه وتعالى- غفر للمذنبين من عباده المؤمنين، وقبل صالح أعمالهم إلَّا من كان بينه وبين مسلم مشاحنة فيأمر بتأخيرهما، حتى يصطلحا ويرجعا عما هما عليه من التخاصم والتقاطع. روى

(٣٥) رواه أبو نعيم في الحلية وغيره عن أنس ﷺ.

(٣٦) رواه ابن المُبارك عن عكرمة ﷺ.

الطبرانـــي عن أســامة بن زيــد مرفوعًــا: «تُعْرَضُ الأَعْمَــالُ عَلى اللهِ تعالــى يَوْمَ الاثْنَيْــنِ والخَمِيسِ فَيَغْفِرُ اللهُ إلَّا ما كانَ مِنْ مُتَشَــاحنَيْنِ أوْ قَاطِــعِ رَحِمٍ». وروى الحكيم الترمذي مرفوعًا: «تُعْرَضُ الأَعْمَال يَــوْمَ الاثْنَيْنِ وَالخَمِيس على الله تعالى، وَتُعْرَضُ على الأَنْبِيَاء وعَلى الآبَاء والأُمَّهات يَوْمَ الجُمُعَة فَيَفْرَحُونَ بِحَسَنَاتِهِم وَتَزْدَادُ وُجُوهُهُم بَيَاضًا وَإشْرَاقًا فاتَّقُوا اللهَ وَلَا تُؤْذُوا مُوْتَاكُمْ»[٣٧].

٣٥٦- «تعلموا القرآن واقرءوه، فإن مثل القرآن ومن تعلمه فقرأه وقام به كمثل جراب محشو مسكا يفوح ريحه في كل مكان، ومثل من تعلمه فيرقد وهو في جوفه كمثل جراب أوكئ على مسك»[٣٨].

رَوَاهُ الترمذي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ وقال الترمذي: حسن غريب

قولــه: «واقْرَءوهُ» أي: في التهجد وغيره ندبًــا. قوله: «كَمَثَلِ» بفتحتيــن بمعنــى: الصفــة والحال. قولــه: «قَامَ بِــهِ» أي: قرأه في تهجد، كما يقتضيه السياق، وإنْ قال بعضهم: إنَّ معناه عَمِلَ به. قوله: «جِرابٍ» بوزن كتاب ووعاء من جلد معروف. قوله: «مَحْشُو» بوزن معفو أي: مملوء. والمســك: بكســر الميم وسكون السين طيب معروف ورد فيه: أنَّه سيد الطيب. وقوله: «يَفُوحُ رِيحُهُ» أي: ينتشــر. قولــه: «فَيَرْقُدُ» أي: يترك القيام بــه. قوله: «أوكَئَ» ماضٍ مجهول أي: رَبِطَ فمه بالوكاء؛ أي: الرباط الذي يربط به فم القِربة

(٣٧) رواه الحكيم الترمذي عن عبد العزيز عن أبيه.

(٣٨) رواه الترمذي وكذلك النسائي وابن حبان وابن ماجه.

ونحوهـا ، والمسـك إذا ربط جرابه لا يفوح منـه ريح وإن فاح كان قليلًا ، وفي الحديث : الحث على الإكثار من تلاوة القرآن خصوصًا بالليل بحيث لا يوقظ نائمًا ولا يشـوش علـى مُصَلٍّ أو ذاكر ، كما قـرر الفقهاء ، وقـد ورد : «تَعَلَّمُوا كتَـابَ اللهِ وَتَعَاهَـدُوهُ وَتَغَنَّوا بِهِ فَوَالَّذِي نَفْسِـي بِيَدِهِ لَهُوَ أَشَـدُّ تَفَلُّتًا مِنَ المَخَـاضِ في العُقُلِ»[٣٩] . أراد بِتَعَاهده : إدامة تلاوته فلا يُهْمَلُ حَتَّى يُنْسَـى ، والمراد بالتَّغَنِي به : إحسان قراءته بالترقيق والتَّحَزُّنِ والتَّخَشُّعِ . وَالمخاض : النوق الحوامل ولعلّها أشـد تفلتًا ونفارًا . والعقـل : جمع عِقال ؛ ككتب وكتاب ، والأصل في نظائره أن يُضم أوله وثانيه وقد يُسـكّن ثانيه تخفيفًـا وهو الرواية هنا ، والعِقَال : هو الحَبل الذي يضم به سـاق البعير إلى فَخذِه .

٣٥٧- «تعوذوا بالله من جهد البلاء، ودرك الشقاء، وسوء القضاء، وشماتة الأعداء».

رَوَاهُ البُخَارِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه

قولـه : «تَعَوَّذُوا» أي : اسـتعينوا واطلبوا منـه تعالى أن يُعيذكم ويَحفظكـم . قوله : «مِنْ جَهْدِ البَلاءِ» بفتح الجيم وضمها ؛ والفتح أفصح ، وجَهد البلاء قيل : هي الحالة التي يمتحن الإنسان بها حتى يتمنّـى الموت ليخلص منها ، وقيل : هـو البلاء في المال والبنين ، وقيـل : هو قلة المال مع كثرة العيال ، وقيل : هو كل بلاء ومكروه يُبتلـى المـرء ويُمتحن به ، والإضافة على هـذا بيانية قوله : «ودَرْكِ

---

(٣٩) رواه أحمد بن عقبة بن عامر .

الشِّــقاءِ» بفتح الراء وتســكن، اســم مصدر بمعنــى الإدراك، أي: لحوق الهلاك الدنيوي أو الأخروي، وقيل: هو سوء الخاتمة والعياذ بالله -تعالى- نســأله حســن الخاتمة. قوله: «وسُوءِ القَضَاءِ» أي: المقتضى الســوء وهو الذي لا يلائم العبد، وأما قضاء الله وحكمه وتقديره فكله حســن لا سوء فيه، فالمطلوب هو الرضا بقضاء الله وحكمه وهو لا ينافي كراهة المقضي والتعوُّذ منه. قوله: «وشَمَاتَةِ الأَعْدَاءِ» بفتح الشين المُعجمة أي: فرحهم بالبلية النازلة بعدوهم، وما أصعبها على النفوس، وتأمل قول نبي الله ورسوله سيدنا هارون عليه السلام لأخيه سيدنا كليم الله موسى عليه السلام:

﴿فَلَا تُشْمِتْ بِيَ ٱلْأَعْدَآءَ﴾

(الأعراف: ١٥٠)

ويُقــال: أن نبــي الله أيــوب عليه السلام لمــا عُوفــي من بلائه سُــئِل ما كان أشــدّ عليك في بلائك؟ فقال: شــماتة الأعداء. وهي من أقبح الخصال وأخسها فإن المؤمن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، ويكره له ما يكرهه لنفســه، وكل إنســان عُرضة لنزول البلاء في أي وقت خصوصًــا المــوت، إذ لابد منــه ولا يــدري متى ينــزل، فما معنى الشماتة ممن هو بصدد أن يشمت به كما قيل:

فَــقُــلْ لــلــشَــامِــتِــيــنَ بِــنَــا أَفِــيــقُــوا

سَــيَــلْــقَــى الــشَــامِــتُــونَ كَــمَــا لَــقِــيــنَــا

وروى الترمذي عن واثلة بإسناد حسن مرفوعًا قال: «لاَ تُظْهِرَنَّ الشَّمَاتَةَ لِأَخِيكَ فَيُعَافِيَهُ اللهُ وَيَبْتَلِيكَ».

٣٥٨- «تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس، فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئا، إلا رجل كانت بينه وبين أخيه شحناء، فيقال: أنظروا هذين حتى يصطلحا».

رَوَاهُ مُسْلِمُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁.

قوله: «تُفْتَحُ أَبْوَابُ الجَنَّةِ... إلخ» الفتح إمَّا على حقيقته فيكون علامة على ما يقع من الغُفران، أو هو كناية عن الإكرام بالإحسان وإجابة الدعاء، والأولى بقاء اللفظ على ظاهره ومنه يُؤخذ أنَّ الجنة والنار موجودتان الآن خلافًا للمبتدعة، والغفران الذي يقع في اليومين المذكورين هو غفران الذنوب الصغائر بلا سبب يُكفِّرُها، فإنْ لم تكن صغائر أو كُفِّرت بسبب آخر، فلعل الله -تعالى- يُخفِّف من الكبائر أو يُكفِّرها، وفضل الله واسع، وعرض الأعمال على الله مع علمه المحيط بكل شيء لحكمة يعلمها. قوله: «إِلَّا رَجُلًا» بالنصب في الرواية الصحيحة، وفي أخرى: إِلَّا رَجُلٌ بالرفع بعد كلام تام موجب في تأويل النفي؛ كأنَّه قيل: فلا يُحرم من الغفران أحد إِلّا رجلٌ... إلخ... والمراد به: الإنسان مطلقًا، والنكرة هنا مستعملة في جميع الأفراد. قوله: «شَحْنَاءُ» بفتح الشين وسكون الحاء المُهملة بوزن حسناء؛ أي: بغض وعداوة. قوله: «أَنْظِرُوا» بهمزة قطع بوزن: أكرموا، أمر من الإنظار، بمعنى الإمهال والتأخير. قوله: «حَتَّى يَصْطَلِحَا» أي: يحصل منهما ما يُعد صُلحًا ولو تراسل الغائبان بالسلام فإن صالح أحدهما؛ وامتنع الآخر غُفِرَ للمُصالح وأخر الآخر.

٣٥٩- «تفتح اليمن فيأتي قوم يبسون فيتحملون بأهليهم ومن أطاعهم والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون وتفتح الشام فيأتي

قوم يبسون فيتحملون بأهليهم ومن أطاعهم والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون وتفتح العراق فيأتي قوم يبسون فيتحملون بأهليهم ومن أطاعهم والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون».

رَوَاهُ مالِك في الموطَأ والشَّيْخَان عَنْ سُفْيَانَ بْنِ أَبِي زُهَيْرٍ ﵁.

معناه: أن الأقطار الثلاثة سيفتحها المسلمون وتصير ديار إسلام فيعجب أقوامًا ما طيب عيشها؟! فيحملهم ذلك على أن يرجعوا إلى المدينة ليحملوا منها أهلهم ويهاجروا منها بأنفسهم وأهليهم ومن يوافقهم على ذلك، مع أنَّ المدينة النبوية التي يخرجون منها خيرٌ لهم في دينهم من عيش الدنيا الذي يذهبون إليه؛ لأنَّها حرم الرسول وجواره، ومهبط الوحي والبركات، ففيه إخبار بغيب وقع بعد ذلك، وبشارة باتساع نطاق الإسلام وترغيب في سكنى المدينة، ولو مع شظف العيش وضيق الحال إيثارًا للآخرة على الدنيا وصبرًا على قِلَّة متاع الدنيا، وتحذير عن رفض سكناها لغرض دنيوي. قوله: «يَبُسُّونَ» بفتح المثناة التحتية؛ وكسر الموحدة أو ضمّها؛ وتشديد السين المُهملة: من البَسِّ وهو: السوق بلين ورفق، وذلك بيان لحال خروجهم منها، وسُمِّيَ اليمنُ يَمَنًا: لأنَّه على يمين الكعبة أو مطلع الشمس، أو باسم يمن قطحان، كما سُمَّيَ الشَّامُ شَامًا: لكونه على شمال الكعبة. قوله: «والمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ» واوه للحال، قوله: «لَوْ كَانُوا يَعْلَمُون» إن كانت لو شرطية فجوابها محذوف للعلم به، أي: ما خرجوا منها وما رغبوا عنها وإنْ كانت للتّمني فلا جواب لها.

٣٦٠- «تَقُومُ السَّاعَةُ والرُّومُ أَكْثَرُ النَّاسِ».

رَوَاهُ مُسْلِمُ عَنْ المستورد بن شداد ﵁.

أي: تأتي القيامة والروم وهم الصنف المعروفون من الإقليم المعروف، أكثر الناس عددًا من المسلمين والعرب وغيرهم، والكفّار منهم أكثر من كفار غيرهم، فالمُراد بقيام الساعة قُرب قيامها وكأنِّي بمصداق هذا الحديث قد أخذ في التحقق والظهور وربَّما تمّ قريبًا.

٣٦١- «تنكح المرأة لأربع لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك».

رَوَاهُ الشَّيْخَانِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ .

معناه: أن داعي الرغبة في تزوج النساء في الواقع ونفس الأمر أحد هذه الأمور الأربعة، فليكن الداعي الديني هو المقصود بالذات سواء انفرد أو كان معه غيره وقليل من يرغب فيه أكثر من غيره، ولذا ختم به الأربعة تنبيهًا على كثرة توجّه النفوس لغيره، وقلة الناظرين إليه، وإنْ كان هو مرعى نظر العاقل والمُتدين. قوله: «فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ» أي: اغتنمها وفُز بتزوجها فهي البُغْيَة لمن له عقل سليم، ودين مستقيم. قوله: «تَربَتْ يَداكَ» أصل معناه: افتقرتا مأخوذ من المَتربة وليس الغرض منها الدعاء بذلك، يستعمل في الحث على الأمر الذي هو مظنّة الغفول عنه مع أهميته، ويجوز إرادة حقيقته بالنسبة لمن أهمل وتهاون في امتثال المأمور به، أي: أحوجك الله وقلل ذات يدك إنْ لم تفعل ما أمرتك. قوله: «لِحَسَبِهَا» بدل من قوله: «لأَرْبَع» بإعادة العامل وما بعده معطوف عليه، والحسب شرف الآباء والأَقارب والجمال حسن الصورة، وفي حديث الحاكم أبي عبد الله: «خَيْرُ النِّسَاءِ من

تَسُــرُّ إِذَا نَظَرَ وَتُطِيعُ إِذَا أَمَــرَ وَلاَ تُخَالِفُ فِي نَفْسِــهَا وَمَالِهَا»[٤٠].
ويُؤخَــذ اســتحباب تزوُّج الجميلــة ليقنع بها، ويعــفّ عن التطلع لســواها، لكنهم كرهوا البارعة في الجمــال لأنَّها تزهو بجمالها، وتُعجــب بــه، وتُحبُّ الإِطــلاعَ عليه، ونفوس الأجانــب تتعلق بها وتتطلع إليها، وربما غلب ذلك على تديّنها وعقلها، وربَّما عســر علــى الزوج المُحافظة عليها، والغالب أن تتيه عليه بجمالها، وأنْ يكون الزوج طــوع أمرها، وفي ذلك ما لا تُحمد عواقبه. اللّهمَ قِنَا شَرّ الفتن وهبنا من العقل والدِّين ما به نغلب شهوات أنفسنا.

٣٦٢- «توبوا إلى الله فإني أتوب إليه كل يوم مئة مرة».

رَوَاهُ مُسْــلِم والبُخَارِيُّ في كِتَاب الأدب لــه عَنْ ابن عُمَرَ -رضي الله عنهما-

معناه: الحثّ على كثرة التوبة والاســتغفار، وأكدّ ذلك بالحث على اتباعه والتأسي به ذلك اعترافًا بالعجز عن تأدية ما يليق بجلال المعبود جلَّ وعَلاَ وإرشادًا لأمته. وقوله: «تُوبُوا» خطاب لكل الناس عوامهــم وخواصهم وخواص خواصهم، أمَّــا توبة العوام فرجوعهم عــن العصيان وطلب العفو عنــه؛ وأمَّا توبة الخواص فرجوعهم عن الغفلة عن طاعة الله والاشتغال بلذَّات الدنيا، ولو مُباحة، وأمَّا توبة خــواص الخواص فرجوعهــم عن التفاتهم إلى ما ســوى الله تعالى، وطلب الفناء في شهوده، وعدم رؤية غيره، فإن خطور الغير بالبال بالنســبة إليهم كَدُورَةٌ أشــدّ من كبائر الأوزار بالنسبة إلى غيرهم، فإذا اســتيقظوا من فنائهم رأوْه في كل شــيء فلا يحجبهم الســوي

---

(٤٠) رواه الحاكم، وروى مثله الطبراني عن عبد الله بن ســلام بلفظ: «خَيْرُ النِّســاءِ مَنْ تُسِرُّكَ إِذا أَبْصَرْتَ وَتُطِيعكَ إِذا أَمَرْتَ وَتَحْفَظ غَيْبَتَكَ فِي نَفْسِها ومالِكَ».

عنه إذ يرون السوي إنَّما يرونه في كل شيء فليس المرئي سواه، وهذا مشهد ذوقي تقصر عنه العبارة، نسأل الله أن يذيقنا شربَة من كأس شرابهم، حتى نذوق حلاوة ذاك المورد الأصفى على يد سيد الشُّفعاء، وباب ربِّه الأعلى، والواسطة لكل داخل ممن اندرج تحت لوائه، صلوات الله وسلامة عليه. قوله: «مئَةَ مَرَّةٍ» كناية عن الكثرة لا تحديد للعدد، ومثله يقال في مثله.

٣٦٣- «التثاؤب من الشيطان، فإذا تثاءب أحدكم فليرده ما استطاع، فإن أحدكم إذا قال ها. ضحك الشيطان».

رواه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه.

قوله: «التَّثَاؤُبُ» هو فتح الفم عند تصاعد الأبخرة من امتلاء المعدة غالبًا، وقد يكون من البرد، قوله: «مِنَ الشَّيْطَانِ» ويحبه ويرضاه لما ينشأ عنه من الكسل والفتور عن العبادة؛ فلذا لا يقع من الأنبياء أصلًا، قوله: «فَلْيَرُدَّهُ» أي: يُندب له ولو في غير صلاة أن يأخذ في أسباب ردِّه، كأن يُمسك بيده على فيه قبل حصوله، قوله: «هَا» بالقصر حكاية لصوت التثاؤب، قوله: «ضَحِكَ الشَّيْطَانُ» أي: فرح بذلك الفعل الصادر منه لأنه يشوه صورته ويدلّ على تمكن الفتور منه، وفي الحديث: «إِذَا تَثَاءَبَ فَلْيَضَعْ يَدَهُ عَلَى فِيه، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَدْخُلُ مَعَ التَّثَاؤبِ»[٤١]. وفي حديث آخر: «إِذَا تَثَاءَبَ فَلْيَضَعْ يَدَهُ عَلَى فِيهِ، وَلاَ يَعْوِ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَضْحَكُ مِنْهُ»[٤٢].

---

(٤١) متفق عليه.

(٤٢) رواه ابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه.

٣٦٤- «التَّلْبِينَةُ مَجَمَّةٌ لِفُؤَادِ الْمَرِيْضِ (وَيُرْوَى الْحَزِينِ)[٤٣] تَذْهَبُ بِبَعْضِ الْحُزْنِ».

رواه الشيخان عن عائشة -رضي الله عنها -

قوله: «التَّلْبِينَةُ»: بمثناة فوقية ومفتوحة، فلام ساكنة، فموحدة مكسورة فمثناة تحتية ساكنة فنون هي: دقيق أو نُخالة يُعجن بعسل أو لبن أو بهما ويلعق، وقيل: هي أن تأخذ العجين غير خمير فيخرج ماؤه من غير أن يخالطه شيء فيكون حساء، وبعبارة هي حساء في قوام اللبن، وقوله: «مَجَمَّةٌ لِفُؤَادِ الْمَرِيْضِ» المجمة: بفتح الميم والجيم ويشديد الميم الثانية من الإجماء وهو الراحة، وفي رواية: مجمة بصيغة اسم الفاعل، وفي رواية: الحزين بدل المريض وعلى رواية المريض يُحتمل مرض الحمى، أو مُطلق المرض لكن بعد أن يشتهي المريض الطعام، قوله: «تَذْهَبُ بِبَعْضِ الْحُزْنِ» الباء فيه للتعدية أي: تذهب وتزيل بعض ضعف الفؤاد الناشئ من استيلاء اليبس على أعضائه ومعدته لقلة الغذاء فتربطها التلبينة وتغذيها وتقويها، وكانت عائشة تأمر بعملها لأهل الميت، وتستدل بهذا الحديث وهو من الطب النبوي.

---

(٤٣) لم أقف على هذه الرواية عن التلبينة، ولكن هناك أحاديث عن الحساء كحديث عائشة قال: كان رسول الله ﷺ: أمر بالحساء فصنع ثم أمرهم فحسوا منه وكان يقول: «إنه يرق فؤاد الحزين، ويسرو عن فؤاد السقيم كما تسرو إحداكن الوسخ بالماء عن وجهها» رواه الترمذي وابن ماجه والحاكم.

باب حرف الثـــاء المُثـلـثـة

٣٦٥- «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر، كما يكره أن يلقى في النار».

رواه الشيخان عن أنس بن مالك ﷺ

معناه : أن من تحققت فيه هذه الخصال الثلاث تلذذ بالطاعة وصبر على مشقة الطاعة طالبًا لرضا الله ورسوله لتمكن الإيمان من قلبه .

٣٦٦- «ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا طلوع الشمس من مغربها والدجال ودابة الأرض».

رواه مسلم عن أبي هريرة ﷺ

أي : إذا ظهرت هذه الآيات الثلاث التي هى من كبرى علامات الساعة ، وهـي : طلوع الشـمس مـن مغربهـا أي جهة المغـرب ، وظهور المسـيح الدجـال ، وظهور دابة الأرض لم ينفـع النفس الكافرة إيمانها بعد ظهورها إذا لم تكن آمنت قبل ذلك ، وكما لا ينفع النفس العاصية توبتها وطاعتها إذا لـك تكن فعلت ذلك قبل ظهورها ، وخلاصتـه : أن التوبة من الكفر أو المعاصـي لا ينفـع إحداثها بعد ذلك ، بل لا بد من سـبقها على ظهورها ، وقـد فهـم بعض النـاس أن ظهور كل واحـدة منها مانعة مـن القبول ، وقد اشتهر أن ذلك إنما يكون بعد طلوع الشمس من مغربها فتنبه .

٣٦٧- «**ثلاث جدهن جد وهزلهن جد النكاح والطلاق والرجعة**»[٤٤].

رواه أبو داود في سننه، والترمذي وقال: حسن غريب.

ومعناه: أن هذه الأمور الثلاثة تلزم ويترتب عليها أثر شرعًا سواء وقعت على سبيل الجد بكسر الجيم أو الهزل واللعب، وفي رواية ذكر العتق بدل الرجعة، فتندرج في النكاح؛ لأنها من معناه وما في الحديث متفق عليه، وقال الشافعية: كل تصرف يقع من نافذ التصرف فهو منعقد على الأصح فيكون تخصيص الثلاثة لتأكيد أمر الفروج، وعلى رواية العتق يزداد في التعليل فيقال ولتشوق الشارع للحرية وسبب الحديث ما رواه أبو الدرداء[٤٥] قال: كان الرجل يطلق في الجاهلية وينكح ويعتق ويقول إنما طلقت وأنا ألعب فأنزل الله تعالى

﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا﴾

(البقرة: ٢٣١)

فقال ﷺ: «ثَلاثٌ جِدُّهُنَّ جِدٌّ» الحديث، ومن هذا السبب يعلم أن معنى قوله تعالى:

﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا﴾

(٤٤) وكذلك رواه ابن ماجه.

(٤٥) عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: «كان الرجل يطلق ثم يقول: لعبت، ويعتق فيقول: لعبت، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا﴾ الآية، وقال رسول الله ﷺ: مَنْ طَلَّقَ، أَوْ عَتَقَ، فَقَالَ: لَعِبْتُ فَلَيْسَ قَوْلُهُ بِشَيءٍ يَقَعُ عَلَيْهِ وَيَلْزَمُهُ.

لا تتخذوا أحكام الله في سبيل الهزل فإنها جدّ كلها فمن هزل فيهـا لزمته وحكم عليه بمقتضاها فيه إبطال أمر الجاهلية وتقرير الأحكام الشرعية.

٣٦٨- «ثَلاثُ دَعَواتٍ مُسْتَجاباتٌ: دَعْوَةُ الوَالِدِ عَلَى وَلَدِهِ وَدَعْوَةُ المُسَافِرِ وَدَعْوَةُ المَظْلُومِ»(٤٦).

رواه الترمذي والإمام أحمد وقال الترمذي: حسن غريب

قوله: «مُسْتَجاباتٌ» أي: لا شك في استجابتها أو هي أقرب إلى الاستجابة من غيرها، قوله: «دَعْوَةُ الوَالِدِ عَلَى وَلَدِهِ» المراد بالوالد: الأصـل وإن علا وبالولد الفرع وإن سـفل ذكـرًا كان أو أنثى فيهما وهـو محمول على والد سـاخط على ولده لعقـوق ونحوه، بدليل حديث: سـألت الله -عز وجل- أن لا يسـتجيب دعاء حبيب على حبيبه(٤٧). قال بعض العلماء: والمعلم كالوالد أو أعظم حتى قيل: عقوق الوالد يُغفر بالتوبة منه، بخلاف عقوق المعلم، أما المسافر فلكونـه غريبًـا يُكرم ولأنـه كالمضطـر، وأما المظلـوم فمضطر عاجز اسـتغاث بربه في أخذ حقـه، وفي الحديث: «ثَلاثُ دَعَوَاتٍ مُسْـتَجَابَاتٍ: دَعْوَةُ الصَّائِمِ وَدَعْوَةُ المُسَافِرِ وَدَعْوَةُ المَظْلُومِ»، رواه البيهقي عن أبي هريرة بإسـناد حسن، وفي الحديث أيضًا: «ثَلاثُ دَعَوَاتٌ يُسْتَجَابُ لَهُنَّ لاَ شَكَّ فِيهِنَّ دَعْوَةُ المَظْلُومِ وَدَعْوَةُ المُسَافِرِ وَدَعْـوَةُ الوَلِدِ لِوَالِدِهِ» رواه ابن ماجـه عن أبي هريرة رضي الله عنه وفيه أيضًا:

(٤٦) أخرجه البخاري في الأدب المفرد وأحمد والترمذي وغيرهم عن أبي هريرة رضي الله عنه،

(٤٧) رواه الديلمي انظر فيض القدير للمناوي.

«ثَـلاَثُ دَعَواتٍ لاَ تُـرَدُّ دَعْوَةُ الوَلَـدِ لِوَالِدِهِ وَدَعوْةُ الصَّائِـمِ وَدَعْوَةُ المُسَـافِرِ» [٤٨] رواه المقدسـي عـن أنس ﷺ وروى أيضًـا: «ثَلاَثَةٌ لاَ تُـرَدُّ دَعْوَتُهُمْ: الإِمَامُ العَادِلُ وَالصَّائِمُ حِيْنَ يُفْطِرُ وَدَعْوَةُ المَظْلُوم يَرْفَعُهَـا الله تعالى فَوْقَ الغَمَامِ» [٤٩] رواه الترمذي عن أبي هريرة ﷺ وقال: حديث حسن.

٣٦٩- «ثَـلاَثٌ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ فَهَذَا صِيامُ الدَّهْرِ كُلِّهِ».

رواه مسلم عن أبي قتادة ﷺ.

زاد النسـائي في راويته من حديث جابـر بن عبد الله -رضي الله عنهمـا- «أَيَّامُ الْبِيْضِ صَبْيحَةُ ثَلاَثَ عَشْـرَةَ وَأَرْبَعَ عَشْـرَةَ وَخَمْسَ عَشْرَةَ».

قولـه: «صِيامُ الدَّهْـرِ كُلِّهِ» أي: مثله في حصـول الثواب، وفي الحديـث: «صَوْمُ ثَلاَثَـةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَـهْرٍ صَوْمُ الدَّهْـرِ كُلِّهِ» [٥٠]، فلعلَّ ذكر رمضان في هذا الحديث لبيان فضل كلٍّ على حدته أي: صوم رمضان كصيام الدهر، وصوم ثلاثة أيام من كل شـهر كصيام الدهر، وقوله: «إِلَى رَمَضَانَ» متعلق بمحذوف يُعلم من المقام أي: يُكَفِّـرُ ما بعده منتهيًـا إلى رمضان، ففيه فائـدة أخرى ولا دخل له في كونه كصوم الدهر وتوجيه التشـبيه بأن الحسـنة بعشر أمثالها

---

(٤٨) رواه الضياء عن أنس ﷺ.

(٤٩) رواه الترمذي وأحمد وابـن ماجه عن أبي هريرة ﷺ وتكملته: «وَتُفْتَحُ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَيَقُولُ الرَّبُ تَبَارَكَ وَتَعَالى: وَعِزَّتِي لأَنْصُرَنَّكَ وَلَوْ بَعْدَ حِيْنٍ».

(٥٠) متفق عليه.

على أقـل مراتب التضعيف، إنما يظهر في صـوم الثلاثة، وأما في رمضـان فلزيادة فضلـه، نعم يظهر في رمضان ومـا تبعه من النفل فـي حديث: «مَنْ صَـامَ رَمَضَانَ وَأَتْبَعَهُ سِـتًّا مِنْ شَـوَّالٍ كَانَ كَصَوْمِ الدَّهْرِ»(٥١) فتأمل.

٣٧٠- «ثلاثة على كثبان المسك يوم القيامة يغبطهم الأولون والآخرون: عبد أدى حق الله وحق مواليه، ورجل أم قوما وهم به راضون، ورجل ينادي بالصلوات الخمس في كل ليلة».

رواه الإمـام أحمـد والترمذي عـن عبد الله بن عمـر -رضي الله عنهما - وقال الترمذي: حسن غريب.

قوله: «كُثْبَانِ» بضم الكاف: جمع كثيب وهو الرمل المستطيل المُحْدَوْدِبُ، وقوله: «يَغْبِطُهُمْ» بفتح أوله وكسر ثالثه، من الغبطة وهـي: أن تشـتهي أن يكون لك مثل ما لغيرك مـع بقائه له، قوله: «عَبْـدٌ» المراد به: الرقيـق ذكرًا كان أو أنثى، وقوله: «يُنَادِي» أي: يـؤذن محتسـبًا، كما جاء في روايـة، ويحتمل العلـوم لكن الأول أفضل.

٣٧١- «ثلاثة لا تجاوز صلاتهم آذانهم العبد الآبق حتى يرجع وامرأة باتت وزوجها عليها ساخط وإمام قوم وهم له كارهون».

رواه الترمذي عن أبي أمامة ﷺ وقال: حسن غريب.

---

(٥١) رواه مسلم وسيأتي في حرف الميم.

قولــه : «لاَ تُجَاوِزُ . . .إلــخ» أي : لا تُرفــع إلــى الســماء ، كما في حديــث ابن عباس عند ابن ماجه : «لاَ تُرْفَعُ صَلاَتُهُمْ فَوْقَ رءوسِــهِمْ شِــبْرًا» . وهو كناية عن عدم القبول كما في حديث ابن عباس عند الطبرانــي : «لاَ يَقْبَــلُ اللهُ لَهُمْ صَلاَةً . . .» [٥٢] ، قولــه : «الْعَبْدُ» مثله الأمة ، قوله : «الآبِقُ» أي : الهارب من سيده بلا عذر ، وبدأ به تغليظًا لشــأن الإباق قوله : «سَــاخِطٌ» أي : لنحو نشــوز أو ســوء خُلق ، أما لو ســخط عليها لكونها لم تمكنه من فعل محرم فصلاتها مقبولة وسخطه لا يُعبأ به ، قوله : «وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ» أي : لا تصادفه بمذموم شــرعًا ؛ لأن الإمامة شفاعة ولا يستشفع العبد إلا بمن يحبه ، اللهم اجعلنا من المحبوبين عندك ، وعند عبادك يا كريم ، وفي الحديث : «ثَلاثَةٌ لاَ تُرْفَعُ صَلاتُهُمْ فَوْقَ رُءُوسِــهِمْ شِــبْرًا : رَجُلٌ أَمَّ قَوْمًا وَهُمْ لَهُ كَارِهُــونَ وَامْرَأَةٌ بَاتَتْ وَزَوْجُهَا عَلَيْهَا سَــاخِطٌ وَأَخَوَانِ مُتَصَارِمَانِ» . رواه ابن ماجه بسند حسن عن ابن عباس -رضي الله عنهما - .

٣٧٢- «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم: رجل حلف على سلعته لقد أعطى بها أكثر مما أعطى وهو كاذب، ورجل حلف على يمين كاذبة بعد العصر ليقتطع بها ما لرجل مسلم، ورجل منع فضل مائة فيقول الله: اليوم أمنعك فضلي كما منعت فضل ما لم تعمل يداك».

رواه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه

---

(٥٢) رواه ابن ماجه.

معناه: أن هؤلاء الأصناف الثلاثة لا يكلمهم الله كلامًا يسرهم إهانةً لهم وغضبًا عليهم، ولا ينظر إليهم بعين الرحمة، بل يُعْرض عنهم كراهةً وبغضًا، قوله: «سِلْعَته» بكسر السين المهملة وسكون اللام أي: بضاعته، وقوله: «لَقَدْ أُعْطَى» بالبناء للمفعول أي: أعطاه مشتر آخر وساومه على ثمن أكثر مما يُساومه به المشتري الثاني، قوله: «أُعْطَى» الثاني يحتمل البناء للفاعل والمفعول على أن بناء الأول للفاعل أيضًا له وجه يعلم من الحديث الذي رواه الشيخان أيضًا وهو قوله ﷺ: «ثلاثة لا يكلمهم الله عز وجل ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم رجل على فضل ماء بالفلاة يمنعه من ابن السبيل ورجل بايع رجلا بسلعة بعد العصر فحلف له بالله لأخذها بكذا وكذا فصدقه وهو على غير ذلك ورجل بايع إماما لا يبايعه إلا لدنيا فإن أعطاه منها وإن لم يعطه منها لم يف» فإن قوله: في هذه الرواية: «لأَخَذهَا» بصيغة الماضي المقرون باللام الواقعة في جواب القسم معناه: أنه أعطى من اشتراها منه أكثر مما عرضه عليه من يريد شراءها منه، وقوله: «حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ كَاذِبَةٍ» أي: حلف يمينًا كاذبة فلفظ على زائد، ومعنى «كَاذِبَةٍ» كاذب هو فيها، واليمين مؤنثة؛ فلذا أنث ضميرها. «بَعْدَ العَصْرِ» قوله: خصه بالحلف فيه لشرفه باجتماع ملائكة الليل والنهار ورفع أعمال اليوم فيه فغلظت العقوبة فيه، قوله: «لِيَقْتَطِعَ» أي: ليأخذ قطعة من مال المسلم، قوله: «فَضْلَ مائِه» أي: ما فضل وبقي بعد أخذ ما يحتاجه، قوله: «فَضْلِي» أي: رحمتي وإنعامي.

٣٧٣- «ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين: رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وأدرك النبي ﷺ فآمن به واتبعه وصدقه فله أجران، وعبد مملوك أدى حق الله وحق سيده فله أجران، ورجل كانت له أمة فغذاها، فأحسن غذاءها، ثم أدبها فأحسن تأديبها، وعلمها فأحسن تعليمها، ثم أعتقها وتزوجها فله أجران».

رواه الإمام أحمد والشيخان عن أبي موسى الأشعري ﵁

معناه: أنَّ الأصناف الثلاثة يعطيهم الله يوم القيامة أجورهم مرتين لما تضمنه عملهم من زيادة الخير، ولا مفهوم للعدد فقد ورد ذلك في غيرهم: كالمتصدق على قريب، فإنه يُؤتى أجره مرتين، بخلاف المتصدق على الأجنبي فيُؤتى أجره مرة واحدة، ومن يقرأ القرآن وهو عليه شاق له أجره مرتين، ومن صلى في الصف الثاني أو الثالث مخافة أن يؤذي مسلمًا، ومن أتى إلى الجمعة ماشيًا، ومن يقرأ القرآن في المصحف، وبالجملة فقد عدُّوا كثيرًا من ذلك أخذًا مما ورد في الأحاديث النبوية، قوله: «مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ» أي: أهل الإنجيل لا التوراة لنسخ شريعتهم ببعثة سيدنا عيسى ﵇ قوله: «وَأَدْرَكَ النَّبِيّ» أي: بعثة نبينا محمد ﷺ قوله: «فَلَهُ أَجْرَان» أي: أجر الإيمان بنبيه وأجر الإيمان بمحمد ﷺ، قوله: «فَغَذاهَا» بتخفيف الذال المعجمة أي: أطعمها، قوله: «أَدَّبَهَا . . .إلخ» أي: عوَّدها محاسن الأخلاق وحملها على جميل الخصال، وأَحْسَنَ التأديب: بأن استعمل فيه الرفق والتأني وبذل جهده في إصلاحها، قوله: «عَلَّمَهَا . . .إلخ» أي: أمور دينها وما تحتاج إليه منه مع الرفق

فــي التعليــم وبذل النصيحــة، قوله: «فَلَـهُ أَجْـرَان» أحداهما: في مقابلة ما قبل العتق والتزويج، والثاني في مقابلتهما.

٣٧٤- «ثلاثة يحبهم الله وثلاثة يبغضهم الله فأما الذين يحبهم الله فرجل أتى قوما فسألهم بالله ولم يسألهم لقرابة بينه وبينهم فمنعوه فتخلف رجل بأعقابهم فأعطاه سرا لا يعلم بعطيته إلا الله والذي أعطاه وقوم ساروا ليلتهم حتى إذا كان النوم أحب إليهم مما يعدل به فوضعوا رءوسهم فقام أحدهم يتملقني ويتلو آياتي ورجل كان في سرية فلقي العدو فهزموا فأقبل بصدره حتى يقتل أو يفتح له والثلاثة الذين يبغضهم الله الشيخ الزاني والفقير المختال والغني الظلوم»[٥٣].

رواه الترمذي عن أبي ذر رضي الله عنه وقال: صحيح.

قوله: «فَسَـأَلَهُمْ بِاللَّهِ وَلَمْ يَسْأَلْهُمْ لِقَرَابَةٍ...إلخ» أي: أقسم عليهم بالله بأن قال: بحق الله أعطوني، ولم يقل بحق قرابتي منكم، قوله: «فَتَخَلَّفَ... إلخ» أي: بعد السؤال والمنع فأعطاه سِرًّا بحيث لـم يطلع عليه إلا الله، قوله: «سَـارُوا لَيْلَتَهُمْ» أي: في ليلتهم حتى تعبوا من السـير، قوله: «مِمَّا يُعْـدَلُ بِـه» أي: مـن كل مال يقابل بـه النوم لما حصل لهم من المشـقة، قوله: «يَتَمَلَّقُنِي» أي: يتحبب ويتقرب إليَّ بالعبادة، والملق: بفتح اللام: الزيادة في التودد والدعاء والتضرع فوق ما ينبغي، ومن هذا وما بعده نعلم أن الحديث قدسـي لا نبوي، كما يوهمه أولـه وإلا لَقَالَ يتملق الله، ويتلو

(٥٣) رواه الترمذي والنسائي.

آياته، قوله: «فَهُزِمُوا» أي: غُلب القوم المسلمون والمعبر عنهم بسرية قوله: «فَأَقْبَلَ» أي: على قتال العدو، ويريد أن يثبت على المقاتلة حتى يموت أو يغلب عدوه قوله: «الْمُخْتَالُ» أي: المتكبر من الخيلاء وهي الكبر، قوله: «الظَّلُومُ» بوزن صَبُور أي: الكثير الظلم للناس أو لنفسه.

٣٧٥- «ثَمَنُ الْكَلْبِ خَبِيثٌ وَمَهْرُ الْبَغِيِّ خَبِيثٌ وَكَسْبُ الْحَجَّامِ خَبِيثٌ».

رواه مسلم عن رافع بن خديج ﵁

قوله: «خَبِيثٌ» أي: حرام، هذا يدل على أنه لا يصح بيعه ولا يحلّ ثمنه ولا قيمة على من أتلفه سواء كان معلمًا أم لا، وسواء جاز اقتناؤه أم لا، وبه قال جمهور العلماء مستدلين بهذا الحديث ونحوه، وضعفوا ما ورد من الأحاديث التي فيها استثناء كلب الصيد، وما ورد عن عبد الله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما- من تغريم القيمة في إتلافه، وما ورد من أن عثمان ﵁ غرَّمَ إنسانًا قيمة كلب قتله عشرين بعيرًا، وعن جابر وعطاء والنخعي جواز البيع لكن تجب القيمة في إتلافه، قوله: «مَهْرُ الْبَغِيِّ خَبِيثٌ» أي: ما تأخذه الزانية على الزنا بها حرام إجماعًا وسماه مهرًا لكونه على صورته في مقابلة التمتع، والبغي: فعيل بمعنى فاعلة من البغاء بوزن كتاب، وهو الزنا أُدغمت الياء في الياء، وهو لغة البغية بالياء، وذلك أقرب مسافة من كون أصله بغوي بوزن صبور فاجتمعت الواو والياء وسبقت الواو بالسكون فقلبت ياء، وأدغمت في الياء بعدها، قوله: «وَكَسْبُ الْحَجَّامِ خَبِيثٌ» المراد بالحجام: من يخرج الدم بحجم أو غيره، وكسبه هو ما يأخذه من

المـال أجرة للحجامة، وقد اختلف العلماء في جوازها فالمشـهور وهو قول أكثر السـلف والخلف الجواز سـواء كان حـرًّا أو عبدًا، وهو مشهور مذهب الإمام أحمد، واحتجوا بما ورد أنه ﷺ احتجم وأعطـى الحجَّام أجره، ولـو كان حرامًا لم يعطه، وحملوا أحاديث النهي على التنزيه والتَّرفع عن الكسـب الخسـيس، والحث على مـكارم الأخـلاق، ومعالي الأمور ولو كان حرامًا لـم يفرق فيه بين الحـر والعبد إذ لا يجـوز للمالك أن يُطعم عبده مـا لا يحل، وقال الإمـام أحمـد في رواية عنه وافقـه عليها فقهاء المحدثيـن: يَحْرُمْ أَخـذ الحجَّام أجره إن كان حُـرًّا، لا إن كان عبدًا. واحتجوا بظاهر أحاديث النهي، فحملوا الخبيث على الحرام. والله أعلم.

حرف الجيم

٣٧٦- «جَارُ الدَّارِ أَحَقُّ بِدَارِ الْجَارِ».

رواه الإمام أحمد والترمذي عن سمرة بن جندب ﷺ وقال الترمذي: حسن صحيح.

أي: إذا باع الجار فلجاره أن يأخذها بالشفعة، وبهذا قال الحنفية، وحمله غيرهم على الشريك؛ لأنه جار لشريكه في الملك جمعًا بين الأدلة.

وفي رواية: «جَارُ الدَّارِ أَحَقُّ بالشُفْعَةِ»(٥٤).

٣٧٧- «جَدِّدُوا إِيمَانَكُمْ أَكْثِرُوا مِنْ قَوْلِ: لا إِلَهَ إلا اللّه»(٥٥).

رواه الإمام أحمد بإسناد صحيح

أي: أحدثوا إيمانًا جديدًا، قالوا: كيف نُجدِّد إيماننا؟ قال: «أَكْثِرُوا...إلخ» لأن الإكثار منها، والمداومة عليها تزيد القلب إشراقًا ونورًا، وتملأ القلب يقينًا، وهي كالسيف القاطع للنفس الأمارة بالسوء، فيرتقي الملازم لها إلى أن تصير مطمئنة، اللهم أحينا عليها وأمتنا عليها وابعثنا عليها... آمين.

٣٧٨- «جعل الله الرحمة مئة جزءٍ، فأمسك عنده تسعة وتسعين جزءا، وأنزل في الأرض جزءا واحدا، فمن ذلك الجزء يتراحم الخلق، حتى ترفع الفرس حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه».

رواه الشيخان عن أبي هريرة ﷺ

---

(٥٤) صحيح. رواه الطبراني عن سمرة.

(٥٥) رواه الإمام أحمد والحاكم في المستدرك عن أبي هريرة ﷺ.

معنـاه الذي يظهر والله أعلم: أن الله قدَّر الإحسـان الواصل إلى عباده دنيا وأخـرى وعجل منه القليل وادخر لخلقه في الآخرة، ما هو أعظم وأكثر مما أعطاهم في الدنيا والآخرة أشد خطرًا خصوصًا عند الصراط والميزان والحسـاب ونحو ذلك من المواقف، فهناك تنالهـم الرحمة العظمى ولا مفهوم للعـدد المذكور إنما كناية عن اتسـاع الرحمة وأن المعجل يسـير بالنسـبة إلـى المؤجل، اللهم تداركنا برحمتك الواسعة دنيا وأخرى يا أرحم الراحمين.

٣٧٩- «الْجَرسُ مَزَامِيْرُ الشَّيْطَانِ».

رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه

قولـه: «الْجَـرسُ» بفتحتيـن هـو: الجلجـل، قولـه: «مَزَامِيْـرُ الشَّـيْطَانِ» جمع مزمـار بوزن مفتاح، وفي روايـة: مزمار بالإفراد، وفـي روايـة أخـرى: من مزاميـر الشـيطان وعلى الأولـى يُراد من الجرس الجنس، أو جنس المزامير لتطابق المبتدأ والخبر.

٣٨٠ - «الْجَنَّةُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ وَالنَّارُ مِثْلُ ذَلِكَ».

رواه البخاري عن ابن مسعود رضي الله عنه

قوله: «شِـرَاكِ» بكسـر الشـين المعجمة وتخفيـف الراء آخره كاف بـوزن كتـاب هو: أحد سـيور النعـل الذي يكون مـن فوقه، لتستمسـك به الرجل، والمعلوم أن الجنة فوق السـماء السابعة، وسـقفها عرش الرحمـن، والنار في الأرض السـابعة على التحقيق فيكـون المراد بالقرب المذكور في الحديث القرب المعنوي، أي الأعمـال الصالحة وضدهـا لها اتصال بكم كاتصال شـراك النعل

بأقدامكم. أي: إنهما يقربانكم منهما بالسببية والاستحقاق قربًا شديدًا، والله أعلم.

٣٨١- «الْجَنَّةُ تَحْتَ أَقْدَامِ الأُمَّهَاتِ»[٥٦].

رواه مسلم عن النعمان بن بشير -رضي الله عنهما-

معناه: أن ملازمة طاعتهن سبب لدخول الجنة، وتمام الحديث: إن شئن أدخلن وإن شئن أخرجن، فينبغي مزيد من التواضع جدًا للأمهات حتى يكون كالتراب تحت أقدامهن ليرضيهن عنه فيدخل الجنة مع السابقين، وهذا قاله صلوات الله وسلامه عليه لمن أراد الغزو معه وأمه تمنعه من الخروج، فأعلمه أن بره بها وطاعته إيَّاها خير له من الخروج معه إلى الغزو، فكيف بالخروج مع غيره، اللهم اجعلنا من البارين واغفر لنا ما قصرنا واجعلنا من المرضي عنهم منك وممن له حق علينا.

---

(٥٦) لم يَرْوِ هذا الحديث مسلم بل رواه القضاعي والخطيب البغدادي في الجامع عن أنس رضي الله عنه ورواه أيضًا ابن عدي عن ابن عباس -رضي الله عنهما-. ولكن معناه صحيح فقد روى النسائي وغيره عن طلحة عن معاوية بن جاهمة السلمي، أن جاهمة، جاء إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله أردت أن أغزو وقد جئت أستشيرك. فقال «هل لك من أم؟. قال نعم. قال «فالزمها فإن الجنة تحت رجليها».

حرف الحاء المُهملة

٣٨٢- «حُجِبَتِ النَّارُ بالشَّهَواتِ وَحُجِبَتْ الجَنَّة بِالمَكَارِهْ».

رواه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه

قوله: «حُجِبَتِ..إلخ» أي: جُعلت الشهوات المحرمة كالحجاب بين العبد وبين النار، فإذا اجتنبها سلم منها، وإذا ارتكب المحرمات التي تشتهيها نفسه وتهواها فقد دخلت الحجاب فيدخل النار، وفي رواية: «حُفَّت». أي: أحاطت بها الشهوات فمن دخل في الشهوات فقد دخل الباب الموصل إليها، فالروايتان متقاربتان، ومثله يُقال في قوله: «وَحُجِبَتْ الجَنَّة بِالمَكَارِهْ» والمراد بها الأمور التي أمر العبد بفعلها أو بتركها مما تكرهه النفوس ويشق عليها فعله، أو تركه ولا يقوى عليها إلا من وفقه الله فجاهد نفسه على فعل العبادة وصبر على مشقتها وعلى ترك المعاصي، وحبس النفس عن إنفاذ شهوتها، اللهم وفقنا لطاعتك مع الإخلاص والقبول وجنبنا معصيتك، وتب علينا توبة ترضيك وترضى بها عنا يا أرحم الراحمين.

٣٨٣- «حُجَّ عَنْ أَبِيْكَ وَاعْتَمِر».

رواه الترمذي عن أبي رزين رضي الله عنه

وسببه أن أبا رَزِين -بوزن عظيم- قال: يا رسول الله إِنَّ أَبِي شَيْخٌ كَبِيرٌ لاَ يَسْتَطِيعُ الْحَجَّ وَلاَ الْعُمْرَةَ وَلاَ الظَّعَنَ -أي السفر والانتقال على الراحلة- أَفَأحج عنه؟ قَالَ: «حُجَّ عَنْ أَبِيْكَ وَاعْتَمِر».

أي: افعل حجًا وعمرةً بالنيابة عن أبيك، وأما من كان صحيحًا فلا تحج عنه لا فرضًا ولا نفلًا، وجوز أبو حنيفة وأحمد النيابة

عنه في النفل، وذلك مخصوص بمن حج عن نفسه، لما روى أبو داود أن النبي ﷺ سَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ: لَبَّيْكَ عَنْ شُبْرُمَةَ، قَالَ: مَنْ شُبْرُمَةُ؟ قَالَ: أَخٌ لي، قَالَ: حَجَجْتَ عَنْ نَفْسِكَ؟ قَالَ: لاَ قَالَ: حُجَّ عَنْ نَفْسِكَ ثُمَّ حُجَّ عَنْ شُبْرُمَةَ». فمنْ عليه حج واجب لا يصح أن يحج عن غيره، وقال مالك: إنها عبادة بدنية لا تقبل النيابة لا فرضًا ولا نفلًا.

٣٨٤- «حَذْفُ السَّلاَمِ سُنَّةٌ»(٥٧).

رواه الإمام أحمد وأبو داود وقال الترمذي حسن صحيح

المراد بحذفه الإسراع به وعدم تطويله وتمطيط حروفه مخافة سبق المأموم لإمامه به فتبطل صلاته، وكذلك تكبيرة الإحرام.

٣٨٥- «حُرِّمَتِ التِّجَارَةُ فِي الْخَمْرِ».

رواه البخاري عن عائشة رضي الله عنها

يعني: حُرِّمَ بيعها وشراؤها لنجاستها، وكذلك كل مسكر، فعقد البيع عليه فاسد روى البخاري عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: «لَمَّا نَزَلَتْ آيَاتُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ خَرَجَ رسول الله ﷺ فَقَرَأَهُنَّ عَلَيْنَا وقال: حُرِّمَتِ التَّجَارَةُ فِي الْخَمْرِ».

واعلم أنه كما يُحرم بيعها وشراؤها يحرم عصرها وحملها والشهادة على بيعها، وكتابة وثيقة البيع، وإبقاؤها بلا إراقة، بل تجب إراقتها فورًا مبادرة لإزالة المنكر، ويُحرم أيضًا مُنَاوَلَتُها لمن يريد شربها.

---

(٥٧) رواه أحمد والترمذي وأبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه.

٣٨٦- «حرمة نساء المجاهدين على القاعدين كحرمة أمهاتهم وما من رجلٍ من القاعدين يخلف رجلا من المجاهدين في أهله فيخونه فيهم إلا وقف له يوم القيامة فقيل له: قد خلفك في أهلك فخذ من حسناته ما شئت، فيأخذ من عمله ما شاء فما ظنكم؟».

رواه مسلم والإمام أحمد عن بريدة بن الحصيب رضي الله عنه

معناه: أنه يحرم التعرض لنساء المجاهدين بريبة كنظر محرم أو خلوة أو حديث محرم أو نحو ذلك، ويطلب الإحسان إليهن وقضاء حوائجهن التي لا مفسدة فيها، فلهن على القاعدين حقوق كحقوق أمهاتهم في الإحسان وترك الإساءة، فإذا قام أحد من القاعدين برعاية شئون أهل المجاهد وخانه فيهم بشيء مُحرم وقف الله ذلك الخائن يوم القيامة أمام المجاهد وقيل له: «هَذَا قَدْ خَلَفَكَ فِي أَهْلِكَ»، وفي رواية: «قَدْ خَانَكَ»، فخذ من ثواب طاعات الخائن ما شاء، قوله: «فَمَا ظَنُّكُمْ؟» استفهام عن مقدار ما يأخذ من الحسنات ويستكثر منها، أي من تمكن من خصمه في ذلك الموقف وأذن له أن يأخذ ما شاء من صالح عمله لا يكاد يبقي له شيئًا لشدة غيظه ورغبته في انتهاب حسناته انتقامًا منه، فاحذروا أشدّ الحذر.

٣٨٧- «حق المسلم على المسلم ست: إذا لقيته فسلم عليه، وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فانصح له، وإذا عطس فحمد الله تعالى فشمته، وإذا مرض فعده، وإذا مات فاتبعه».

رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه

ومعناه : أن للمسلم على المسلم حقوقًا يطلب منه أن يفعلها معه ، والعدد لا مفهوم له فالاقتصار على هذه الستة هنا لا ينافي الزيادة عليها في حديث آخر ، وتلك الخصال الستة بعضها واجب علينا أو كفاية ، وبعضها مندوب ، وقد بيّن الأولى منها بقوله : «إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ» أي : قل له : السلام عليكم ، وهذه سنة ، وأما الردّ منه عليك فواجب ، والثانية : بقوله : «وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ» أي : إذا طُلب منك الحضور لتناول طعامه فاحضر وإن كنت صائمًا فالمطلوب الحضور إذا لم يكن هناك عذر مانع ، وليس الصوم من الأعذار المسقطة للحضور ، إلا إذا استأذنته في التخلف واعتذرت بالصوم وَأَذِنَ لَك ، والإجابة واجبة في العُرْسِ مندوبة في غيره إذا توفرت شروط الإجابة ، والثالثة : بقوله : «وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ» وجوبًا أي : إذا طلب منك أن تنصحه أي : تُشير عليه بما فيه المصلحة له فاختر له المصلحة وأشر عليه بها ، كما تختار لنفسك ، وكذلك يجب النصح له وإن لم يستنصح ، والرابعة : بقوله : «وَإِذَا عَطِسَ» بكسر الطاء «فَحَمِدَ اللَّه -تَعَالى - فَشَمِّتْهُ» بتشديد الميم المكسورة أي : يسن لك أن تدعو له بقولك له : يرحمك الله ، فإن لم يحمد الله بعد العطاس لم يسن تشميته ، ويسن عند الشافعية تذكيره بالحمد ، بأن تقول الحمد لله وتُسمعه ليتذكر الحمد ، فإذا تذكر وحمد سُنَّ تشميته ، وقال المالكية ، لا يُطلب تذكير ، والخامسة بقوله : «وَإِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ» بضم العين من العيادة وهي زيارة المريض أي : زره في مرضه وجوبًا إن لم يكن له من يتعهده وخيف ضياعه ، وإلا فندبًا وللعيادة آداب بيَّنها

الفقهاء والمحدثون ينبغي مراعاتها، والسادسة: بقوله: «وَإِذَا مَاتَ فَاتْبَعْهُ» أي: امش مع جنازته حتى تصلِّي عليه ويُدفن، وهذا واجب إن لم يكن له من يحمله ويصلي عليه ويواريه وإلا فمندوب، وكم للمسلم على المسلم من حقوق كإكرامه ودفع الأذى عنه، والتوسيع له في المجلس، وأن تُقْرضه إذا استقرضك، وأن تُغيثه إذا استغاث بك، وأن تعزيه في المصيبة وتهنئه إذا أصابته نعمة، ونحو ذلك من إيصال الخير، ودفع الأذى.

٣٨٨- «حَقٌّ الله عَلَى كُلِّ مُسْلِم أَنْ يَغْتَسِلَ فِي كُلِّ سَبْعَةِ أَيَّامٍ يَوْمًا يَغْسِلُ فِيه رأسَهُ وَجَسَدَهُ».

رواه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه

معناه: أن الله طلب على سبيل السنية المؤكدة من كل مكلف أراد حضور الجمعة وإن لم تلزمه أن يغتسل يومها ويعم بالغسل جميع البدن والشعر كغسل الجنابة ولو نواه مع الجنابة كفى أداء السنة، فالمراد بالحق المسنون المؤكد القريب من الواجب، ويدخل وقته بطلوع الفجر، واشترط مالك في تأدية السنة اتصاله بالرواح، ومن لم يشترطه قالوا: أن تقريبه من الذهاب إليها أفضل، فالمراد باليوم في قوله: «فِي كُلِّ سَبْعَةِ أَيَّامٍ يَوْمًا» يوم الجمعة كما جاء مصرحًا به فيما رواه النسائي عن جابر رضي الله عنه بلفظ: «الْغُسْلُ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ فِي كُلِّ سَبْعَةِ أَيَّامٍ غُسْلُ يَوْمٍ وَهُوَ يَوْمُ الجُمُعَةِ»[٥٨]. وصححه ابن خزيمة، وذكر الرأس وإن كان الجسد

---

(٥٨) وغيره بلفظ: «عَلَى كُلِّ رَجُلٍ مُسْلِمٍ فِي كُلِّ سَبْعَةِ أَيَّامٍ غُسْلُ يَوْمٍ وَهُوَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ».

شـــاملًا له اهتمامًا به لا سيما رءوس العرب الذين من عادتهم إبقاء الشعور وعدم حلقها فيتعلق بها الأوساخ ويكون في أصولها العرق المترشح من المسام تحت أصول الشعر.

٣٨٩- «حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ وَزَوَايَاهُ سَوَاءٌ، وَمَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ، وَكِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، مَنْ يَشْرَبْ مِنْهُ فَلاَ يَظْمَأْ أَبَدًا».

رواه الشيخان عن عبد الله بن عمرو –رضي الله عنهما –

قولـه: «حَوْضِي» أي: الحـوض الذي أعطانيه ربي يـوم القيامة المسـتمد ماؤه مـن نهر الكوثر الـذي في داخل الجنـة، وهو قبل الصـراط علـى الصحيـح المناسـب لخـروج النـاس مـن قبورهم عطاشًـا، ورجـح عياض أنه بعـد الصـراط، وأن الشـرب منه بعد الحسـاب والنجاة من النـار، فإن الصراط يتسـاقط من فوقه بعض المؤمنيـن في النار ويخدش من يخدش بالخطاطيف ويبعد حصول ذلك لمؤمن شـرب من الحوض فإن الشرب منه مبدأ أنواع النعيم، وحاول بعضهم الجمع بين القولين باحتمال أن قومًا يشـربون منه قبـل الصراط وهـم الناجون، ويُؤخـر المعاقبون حتـى يهذبوا من ذنوبهـم، وقوَّى ذلك بعضهـم، والله أعلم بحقيقـة الحال. قوله: «مَسِـيرَةُ شَـهْرٍ» أي: إن كل جهة له من جهاته الأربع مسـيرة شهر كما قال، وزواياه سـواء أي: متساوية في المسافة، فطوله كعرضه واختلاف المسـافة فـي الأحاديث محمول على عـدم التحديد، أو أنه أخبر القليل أولًا ثم بالكثير ثانيًا، قوله: «أَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ» أي: بياض مائه أشد من بياض اللبن، قوله: «وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ»

أي: طيب رائحة مائه أشد من طيب رائحة المسك، زاد مسلم في روايته: «وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَل» أي: حلاوة طعم مائه أشد من برودة الثلج، وقوله: «وَكِيزَانُهُ كنجوم السماء» أي: في الإشراق، ومطلق الكثرة، أو هو تحديد، ويجوز أن يجمع الله في مسافة الشهر عدد كيزان كعدد نجوم السماء خرقًا للعادة كما هو الشأن في الأمور الأخروية، قوله: «مَنْ يَشْرَبْ. . .إلخ» يجوز في من أن تكون شرطية، ودخول الفاء في الجواب على سبيل الجواز، ويجوز أن تكون موصولة ودخلت الفاء في خبرها إجراء للاسم الموصول مجرى اسم الشرط لشبهه به في العموم، قوله: «فَلاَ يَظْمَأْ أَبَدًا» أي: لا يذوق ألم العطش وإن اشتهت نفسه الشرب تنعمًا وتلذذًا كما قال الله:

﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ﴾ (الزخرف: ٧١)

وقال:

﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ﴾ (فصلت: ٣١)

وقال:

﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ﴾ (الحجر: ٤٨)

وقال:

﴿وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ﴾ (طه: ١١٩)

اللهم أوردنا حوض نبيك واسقنا منه بيده الكريمة شربة هنيئة مريئة لا نظمأ بعدها أبدًا يا أرحم الراحمين.

٣٩٠- «الْحَرْبُ خُدْعَةٌ».

رواه الشيخان عن جابر وأبي هريرة -رضي الله عنهما -

قولـه: «خُدْعَةٌ» بضم الخاء وفتحها مع سكون الـدال فيهما، وبضـم الخاء وفتح الدال كهُمزة وضُحكة، والأولى أفصح، وأصل الخدع إظهار أمر وإخفاء خلافه للإيقاع بغيره، والحديث من باب: «الحَـجُّ عَرَفَة». فالغرض منـه التنبيه على عظم الحيلة في الظفر به بنحو تعريض وكمين، ولشدة نفعه كأنه الحرب وحده دون ملاقاة العدو فهو مطلوب ما لم يكن فيه نقض عهد أو أمان فلا يجوز.

٣٩١- «الْحَسَبُ المَالُ وَالكَرَمُ التَّقْوَى».

رواه الإِمـام أحمد والترمذي عن سـمرة بن جنـدب ﷺ وقال: حسن صحيح.

ومعنـاه: أن الأمـر الذي يكون به الرجـل معظمًا عند الناس هو المـال، وإن كان الحسـب في الأصل الشـرف بالآباء وما يحسـبه الإنسـان ويعده لنفسـه من المفاخر، إلا أن هذا وحده بدون مال لا يوجب عند النـاس توقيرًا ولا تعظيمًا، فالحسـيب الفقير عندهم حقيـر، وذو المال عندهم عظيمٌ وإن لم حسـيبًا، فكأن الحسـيب لديهـم هـو المال وحـده، وأما الكرم والشـرف والرفعـة عند الله فليس بهذا ولا بهذا، بل التقوى والوقوف عند حدوده بامتثال أمره واجتناب نهيه، وإن كان فقيرًا غير حسيب، فخلاصته: أن موجب الرفعة وعلو القدر عن الناس هو المال، وعند الله هو التقوى،

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴾
(النحل : ١٢٨)

﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ ﴾
(الحجرات :١٣)

﴿ وَيَخۡشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقۡهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴾
(النور :٥٢)

٣٩٢- «الحَلِفُ مَنْفَقَةٌ للسِّلْعَةِ مَمْحَقَةٌ للبَرَكَةِ».

رواه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه

ظاهر الحديث : أن الحلف أي اليمين يمحق بركة البيع وإن أوجب نفاق السلعة ورواجها ظاهر بارتفاع ثمنها ورغبة المشتري فيها ، ولو كان الحلف صدقًا ، ولعل هذا العموم هو المراد فإن الكذب ممحقة للبركة ، ولو بلا يمين ، وحمله بعضهم على الحلف كذبًا ، وقوله : «مَنْفَقَةٌ» وزن مفعلة من النفاق وهو الرواج وزنًا ومعنى ، والسلعة : بكسر السين وسكون اللام : البضاعة والمتاع ، وجمعها سلع كسدرة وسدر ، قوله : «مَمْحَقَةٌ» وزنه مفعلة من المحق وهو : النقص والمحو والإزالة ، وأما البركة : فهي زيادة الخير والمنفعة فمن دأبه الحلف في البيع لا يُبارك له في كسبه وثمن سلعته ، وإن كان حلالاً فيسلط الله عليه ما يوجب التلف ، كسرقة أو غصب أو حريق أو قحط ينفق فيه ما ربحه ، وعند الله أسباب كثيرة للخير والشر ، نسأله كل خير ونعوذ به من كل شر .

٣٩٣- «الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمها كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لعرضه ودينه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كراع يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعه ألا وإن لكل ملك حمى ألا وإن حمى الله -تعالى- في أرضه محارمه ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب».

رواه الشيخان عن النعمان بن بشير -رضي الله عنهما-

معناه: أن الحلال المأذون فيه شرعًا واضحٌ لا يخفى حِلُّهُ، وهو ما نصَّ الله أو رسوله أو أجمع المسلمون على حله وإباحته، والحرام واضحٌ لا تخفى حرمته، وهو ما نص الله أو رسوله أو أجمع المسلمون على منعه وتحريمه، وهناك أمور تشتبه بالحلال والحرام لا يدري كثير من الناس أهي من الحلال أم من الحرام؟ لخفاء حكمها؛ لأنه لم يرد فيها نص بحلٍّ ولا حرمة، وهي من قسم الحلال عند الجمهور القائلين: الأصل في الأشياء الحلِّ حتى يرد نص بالتحريم، لكن الورع تركها احتياطًا للدين، وقيل الشبهات: ما تضاربت فيه الأدلة واضطربت فيه أقوال الفقهاء، وقيل غير ذلك، ومحصلة أنها ما لم يظهر فيها أحد الحكمين: الحلّ والحرمة بكتاب أو سنة أو إجماع، أما لخفاء نص أو عدم صراحة أو تعارض نصّين فعلى المكلف ندبًا أن يجتنبها ويتقي التلبيس بها طلبًا لبراءة دينه أن يقع فيه خلل يذم بالتساهل فيه، ولبراءة عرضه وهو محل المدح والذم من الإنسان من أن يتكلم

النــاس فيه ويذموه بتعاطي ما لا يحل فــي نظرهم أو ما الورع تركه اتفاقــاً ؛ لأن التســاهل فيــه يجرُّ إلــى الوقوع في الحــرام بلا قصد ، أو يعتاد التســاهل فيتجــرأ على ارتكاب المحرم عمدًا وشــبَّهَ ﷺ متعاطــي الشــبهات بالراعي للماشــية الذي يرعاها حــول المكان الــذي يحميــه بعض الملــوك ، ويمنع رعيتــه من الرعي فيــه ، فإنه يخشــى أن تنزل ماشــيته فيه لشــدة القرب منــه ، فيعاقبه الملك ، فالاحتياط له أن يتباعد عما حوله أيضًا خوف أن يؤدي إلى الوقوع فيه ، فيســتحق العقوبة ، وهذا التشبيه لمتعاطي الشبهات بالراعي حول الحمى يتضمن تشــبيه الشــبهات لقربها من المحرمات بما حــول الحمى الذي يُترك احتياطًا خــوف الوقوع في نفس الحمى ، وشبه المحرمات الواضح تحريمها التي حماها الله ومنع الناس من الوقــوع فيها بحمى ملــوك الأرض الذين منعوا الناس من الرعي فيه بجامع الحماية والنهي عن المواقعة فالمعاصي جعلها الله في أرضه كالحمــى في منع أهــل الأرض عن الوقوع فيهــا وتوعدهم العقاب علــى فعلها فكما تجتنب وجوبًا مخافــة العقوبة يجتنب ما يقرب منها ويخشــى أن يؤدي إليها وسُمِّيَت تلك الأمور شبهات لاشتباه حكمهــا وخفائهــا على كثير من النــاس و إن علمهــا قليل منهم ، وهم طائفة أَنَارَ الله قلوبهم ، وهم الذي يستفتون قلوبهم وإن أفتاهم المفتون ، وقوله : في الحديث : «مشــبهات» يُروى «مشــتبهات» ، ويُــروى أيضًا : «متشــابهات» ، وقولــه : «أَلاَ . . .إلخ» لفظ ألا حرف تنبيه يفتح به الكلام إذا كان مهتمًا به ، والجســد : الجســم والبدن كله ، وقوله : «مُضْغَة» : بضم الميم وســكون الضاد المعجمة بوزن

لقمــة أي: قطعــة لحم بقدر يمضــغ تقريبًا ذات شــكل صنوبري، قوله: «صَلَحَتْ» بفتح اللام أي: انشــرحت تلك المضغة بالهداية إلى الخير والميل إليه، قوله: «صَلَحَ الْجَسَــدُ كُلُّهُ» أي: اســتقامت الجوارح كلها واشــتغلت بالعبادة، وجرت عليها الطاعات؛ لأنها تابعة للقلــب ورعيته، فمتى مال إلى شــيء أطاعته وانصرفت إليه كما قال وَلِيُّ الله البُوصيريْ:

وَإِذَا حَــلَّــتِ الْــهِــدَايَــةُ قَــلْــبًــا
نَــشِــطَــتْ فِــي الــعِــبَــادَةِ الأَعْــضَــاءُ

قوله: «فَسَدَتْ» أي: أظلمت تلك المضغة، ومالت إلى الضلال والشهوات، وقوله: «فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ» أي: عملت الجوارح كلها المنكرات التي يشــتهيها القلــب ويميل إليها، فهــي تابعة له في تصرفاتها خيرًا أو شــرًّا، وقولــه: «أَلاَ وَهِيَ الْقَلْبُ» جملة جِيءَ بها لبيان تلك المُضغة التي أُبهمت أولًا ليتشوق السامع إلى معرفتها؛ فيترتــب بيانهــا فإذا أظفر به تمكن من قلبــه أي: تمكن هذا، وقد اســتدل بهذا على أن العقل في القلب، وإنما سُــمِّيَ قَلْبًا لتقلبه في الأمور وتوجهه إليها تفكرًا وميلًا وعزمًا ونحو ذلك، أو لأنه وُضِعَ في الجسد مُنكسا مقلوبًا.

٣٩٤- «الْحَيَاءُ خَيْرٌ كُلُّهُ».

رواه مسلم عن عمران بن الحصين رضي الله عنه.

معنــاه: أن الحياء يبعث على فعل الخير وما يُمدح عليه، وترك القبيــح وما يُذمّ به فآثاره ونتائجه وما يترتب عليه كلها خير، فهو أصــل يتفرع عنه التخلق بمحاســن الأخلاق، والتنزه عن قبائحها؛

ولذلك ورد: «الْحَيَاءُ هُوَ الدِّينُ كُلُّهُ»[٥٩] وورد: «الْحَيَاءُ لاَ يَأْتِي إِلاَّ بِخَيْرٍ»[٦٠]. فاللهم هبنا الحياء منك بحقك علينا آمين.

٣٩٥- «الحياء، والعي، شعبتان من الإيمان، والبذاء، والبيان، شعبتان من النفاق».

رواه الإمام أحمد والترمذي عن أبي أمامة رضي الله عنه وحسنه الترمذي وصححه غيره.

أما الحياء: فهو ملكة وخلق ينشأ عنه انقباض النفس وتباعدها عن فعل ما يُعاب، وأما العِيّ: بكسر العين المهملة وتشديد الياء، فالمُراد به: سكون اللسان عما لا يعني مع القدرة على الكلام، فهو عِيٌّ اختياري لا حصر وعجز قهري، ومعنى كونهما شعبتين من الإيمان أنهما خصلتان من أعمال الدين التي ينبغي التمسك بها، وهما أثران من آثار الإيمان وقوة اليقين، وأما الْبَذَاءُ: بالمد بوزن سحاب فهو الفحش وقبيح القول، وأما البَيَانُ فالمراد به حيث يذكر في مقام الذم، كما هنا فهو: التعمق بالنطق والتفاصح وإظهار التفوق على غيره في الكلام وذلك من الكبر والعجب، فالخصلتان الأوليان من أعمال الدين ومنشأهما قوة اليقين، والخصلتان المقابلتان لهما من القبائح، ومنشأهما النفاق وضعف اليقين. والله أعلم، فنسأل الله أن يقوي إيماننا إنه أكرم مسئول.

---

(٥٩) رواه الإمام الطبراني.

(٦٠) البخاري عن عمران بن حصين رضي الله عنه.

حرف الخاء المُعجَمة

٣٩٦- «خُذُوا مِنَ الْعَمَل مَا تُطِيْقُونَ، فَإِنَّ الله لاَ يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا».

رواه الشيخان عن عائشة -رضي الله عنها- .

المراد : اقتصدوا في العبادة واقتصروا في عمل النوافل على القدر الذي لا يُوجب العجز والسآمة والملل، فيصعب لكم المواظبة عليه، بخلاف ما يُوجب السآمة والملل لكثرته ومشقته فإنه يؤدي إلى الترك فينقطع ما كان حاصلًا وقت العمل من الخير والبركة واستنزال الرحمة والازدياد من الأجر، فقوله : «مَا تُطِيْقُونَ» أي : تستطيعون المداومة عليه قوله : «فَإِنَّ اللّٰه لاَ يَمَلُّ» بفتح أوله وثانيه ليس المراد به الملل بمعنى السآمة لاستحالته على الله تعالى، بل المراد لازمه وهو الإعراض أو منع الثواب والعطاء، كما يفعل الملول، وكذلك يُراد بقوله : «حَتَّى تَمَلُّوا» وإن كان الملل الحقيقي جائزًا في حق العباد إلا أن الترتب إنما هو بين اللازمين كما هو ظاهر، وفي رواية للطبراني : «خُذُوا مِنَ الْعِبَادَةِ مَا تُطِيْقُونَ فَإِنَّ اللّٰه لا يَسأَمُ حَتَّى تَسْأَمُوا»[٦١]، وتأويله كما سبق.

٣٩٧- «خذوا عني، خذوا عني، قد جعل الله لهن سبيلا، البكر بالبكر جلد مئة، ونفي سنة، والثيب بالثيب جلد مئة، والرجم».

رواه مسلم والإمام أحمد عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه

---

(٦١) رواه الطبراني عن أمامة رضي الله عنه وأحمد عن عائشة -رضي الله عنها- .

قولــه: «خُذُوا عَنِّــي» مرتين كرره مرتين للتأكيــد أي: احفظوا وتعلموا بيان سـبيل النســاء الزواني المذكورة في ســورة النســاء حيث يقول الله تعالى:

﴿وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعَةٗ مِّنكُمۡۖ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمۡسِكُوهُنَّ فِي ٱلۡبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلۡمَوۡتُ أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا﴾

فــكأن الحكم إمســاكهن في البيــوت إلى المــوت قوله: «قد جعــل الله لهن ســبيلًا» أي: شــرع للنســاء المعهــودات عندكم طريقًــا يخلصن به من الإمســاك فــي البيوت وهو الحــدّ فبيّن أن الحد المشروع في الزنا هو ذاك السبيل واختلف العلماء في هذه الآية فقيل: محكمة والحديث مفسـر لها، وقيل: منسوخة بآية أول ســورة النور قوله: «اَلْبِكْرُ بِالْبِكْرِ» أي: حد زنا البكر بالبكر وهــي في الأصل من لم تُوطــأ، والمراد هنا بالبكر: من لم يتزوج زواجًــا يحصنه ســواء كان رجلًا أو امرأة، قولــه: «جَلْدُ مِئَةٍ» أي: أن يُجلد ويُضرب مئة جلدة بالســوط على ظهــره، قوله: «وَنَفْيُ سَــنَةٍ» أي: أن يُنفــي من البلد التي وقع فيهــا الزنا إلى بلد أخرى يقيم بها ســنة، وقوله: «وَالثَّيِّبُ بِالثَّيِّبِ جَلْدُ مِئَةٍ، وَالرَّجْمُ» أي: وحــد الثيب إذا زنى بثيب، وهو في الأصل من تزوج والمراد هنا المحصــن، قولــه: «جَلْدُ مِئَةٍ، وَالرَّجْمُ» أمــا جلد المئة في الثيب فمنســوخ، وأمــا الرجم بالحجــارة على أن يموت فهــو الواجب

فقط، قوله في الحديث: «اَلْبِكْرُ بِالْبِكْرِ... وَالثَّيِّبُ بِالثَّيِّبِ» لا مفهوم له بل هو مجرد صورة مفروضة، والحكم هو جلد مئة وتغريب عام للزاني البكر، أي: في المحصن رجلًا كان أو امرأة، ورجم بالحجارة حتى يموت إذا زنى ثيِّبًا أي: محصنًا رجلًا كان أو امرأة بكراً أو عكسه ولكلٍ حُكْمُه بقطع النظر عن مماثلة لآخر وعدم مماثلته، والثيّب، أي: المحصن بفتح الصاد وكسرها من تزوج بعقد صحيح ووطئ الزوجة بعده وطأً تحل به المبتوتة، والبكر أي: غير المحصن من ليس كذلك، واختلفوا في تغريب المرأة غير المحصنة بعد جلدها مئة، فقيل: تغريب، وقيل: لا تغريب، وتفصيله في كتب الفروع فتفقه.

٣٩٨- «خذي فرصة من مسك فتطهري بها».

رواه الشيخان عن عائشة -رضي الله عنها-.

قوله: «خُذْي» خطاب لأسماء بنت أبي بكر -رضي الله عنهما-، أو بنت يزيد بن السَّكن جاءت تسأل عن الاغتسال من الحيض، قوله: «فِرْصَةً» الفرصة: بفاء مكسورة فراء ساكنة فصاد مهملة، القطعة وزنًا ومعنىً، وحكي التثليث فإنها أي: قطعة ملطخة بالمسك، قوله: «مِنْ مِسْكٍ» بفتح الميم في أكثر الروايات وهو الجلد، ورجح النووي كسرها، وقال لأن رواية: خذي فرصة مُمَسَّكَةً بوزن معظمة تدل عليه أي: قطعة من نحو قطن فيه شيء من المسك وإنما كان جوابًا

لقولها : كيف أغتســل مــن الحيض ؟ مع أن الاغتســال تعميم البدن والشعر بالماء ؛ لأن الاغتسال معروف فسؤالها ليس عن حقيقة الاغتســال بل عن كيفية زائدة عليــه فتطهري بها أي : تتبعي أثر دم الحيض فاجعلي المســك في نحو قطنة أو صوفة وأدخليها فــي الفرج لدفــع الرائحة الكريهة ، وقيل : لســرعة الحبل والصحيح الأول .

٣٩٩- «خفف على داود القرآن فكان يأمر بدوابه فتسرج فيقرأ القرآن من قبل أن تسرج دوابه ولا يأكل إلا من عمل يده».

رواه البخاري والإمام أحمد عن أبي هريرة ﵁

قوله : «خُفِّفَ» بالبناء للمجهول أي : سُــهِّلَ ، وداود هو نبي الله والد سليمان –عليهما السلام– والقرآن إما مصدر بمعنى القراءة أو بمعنــى المقــروء ، وهو الزبــور أو التوراة وقــرآن كل نبي كتابه الــذي نزل عليــه ، قولــه : «بِدَوَابِّــهِ» أي : الدَّواب المُعــدّة لركوبه وركــوب أتباعه ، وفي روايــة : «بِدَابَّتِهِ» بالإفراد إما على إرادة دابته الخاصــة بركوبه أو الجنس الشــامل لها ، ولــدواب أتباعه فترجع لروايــة الجمع في المعنى قوله : «وَلاَ يَــأْكُلُ إِلاَّ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ» أي : مــن ثمن الدروع التي كان ينســجها من الحديد الــذي أَلاَنَهُ الله له كالعجيــن ، فكان يعمل منه تلك الدروع ، ويأكل من ثمنها مع أنه كان من كبار الملوك ، على نبيِّنَا وعليه وعلى جميع الأنبياء أفضل الصلاة والتسليم .

٤٠٠- «خلق الله آدم على صورته، وطوله ستون ذراعا، ثم قال اذهب فسلم على أولئك النفر وهم نفرٌ من الملائكة جلوسٌ، فاستمع ما يحيونك، فإنها تحيتك وتحية ذريتك، فذهب فقال السلام عليكم، فقالوا السلام عليك ورحمة الله، فزادوه ورحمة الله، فكل من يدخل الجنة على صورة آدم، في طوله ستون ذراعا فلم تزل الخلق تنقص بعده حتى الآن».

رواه الشيخان والإمام أحمد عن أبي هريرة ﵁.

قولـه: «عَلَى صُورَتِهِ» أي: على صورة آدم التي كان عليها من مبدأ خلقه إلى موته لم تتغير هيئته، فلم يكن صغير الجسم ثم صار كبيرًا كعادة ذريته، وقيل: الضمير لله بدليل رواية على صورة الرحمن، ويُراد بالصورة الصفة، كالعلم والسمع والبصر والحياة، وغير ذلك، والمثلية في مطلق الصفة والتسمية باسمها، وإن اختلفت حقيقة القديم والحادث وأيضًا فتلك الصفات ليست خاصة بالآدميين بل هي في الجن والملك، فعلى هذه الرواية يكون المقصود بيان الفضل والمنّة على آدم وتشريف الله إياه لا التخصيص والعلم عند الله، وقوله: «وَطُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا» أي: وعرضه سبعة أذرع كما في رواية، ويحتمل أن يكون المراد ذراع نفسه أو الذراع المتعارف، قوله: «عَلَى أُولَئِكَ النَّفَرِ» أي: الجماعة والطائفة من الملائكة، وقوله: «مَا

يُحَيُّونَكَ» بضم المثناة التحتية بعدها حاء مهملة فمثناة تحتية مشددة من التحتية وفي رواية يجيبونك بالجيم من الإِجابة أي: ما يردون عليك قوله: «فَإِنَّهَا...إلخ» إي: أنها التحية التي شُرعت لك وللمؤمنين من ذريتك إلى يوم القيامة، ألهمه إياها أو فهمها آدم من قوله له: «فَسَلِّمْ عَلَيهِمْ»، قوله: «فَزَادُوهُ... إلخ» أي: زادوا على تحيته قولهم: «وَرَحْمَةُ اللَّهِ» فلو أتى بها البادئ بالسلام استحب للمجيب أن يزيد عليها وبركاته ولو زاد البادئ وبركاته رد المجيب بمثله، وفي فتح الباري: أنه تُشرع الزيادة على وبركاته كأن يقول: وأزكى تحياته، قوله: «فَكُلُّ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ...إلخ» لعلَّ المُراد أنهم يُبعثون من قبورهم على الهيئة التي ماتوا عليها وعند دخول الجنة يدخلون على صورة آدم طوله ستون ذراعًا في سبعة أذرع عرضًا، كما في رواية الإِمام أحمد ويكونون أيضًا في حُسْنِه وجماله، فلا يكون بعضهم أبيض وبعضهم أسود وبعضهم جميلًا وبعضهم دميمًا. قوله: «فَلَمْ تَزَلَ الْخَلْقُ...إلخ» أي: لم تزل ذريته في القرون التي بعده تتغير أجسامهم طولًا وعرضًا وجمالًا إلى الآن. أي: إلى هذه الأمة المحمدية واستقر الأمر على ذلك فلا ينقصون عن ذلك القدر وعند دخول الجنة يرجعون جميعًا إلى صورة أبيهم آدم عليه السلام.

٤٠١- «خلق الله التربة يوم السبت وخلق فيها الجبال يوم الأحد وخلق الشجر يوم الاثنين وخلق المكروه يوم الثلاثاء وخلق النور يوم الأربعاء وبث فيها الدواب يوم الخميس وخلق آدم بعد العصر من يوم الجمعة آخر الخلق وفي آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر إلى الليل».

رواه مسلم والإمام أحمد عن أبي هريرة ﵁.

المراد بالتُّرْبَة: الأرض والضمير في: فيها يرجع إليها، قوله: «السَّبْتِ» يُبطل زعم اليهود أن ابتداء خلق العالم يوم الأحد، وفرغ منه يوم الجمعة، قوله: «وَخَلَقَ الْمَكْرُوهَ» أي: أنواع الشر والأذى كالحيوانات المؤذية، قوله: «وَخَلَقَ النُّورَ» بالراء في آخره ولا ينافيه رواية: النون، أي: الحوت لجواز خلقهما في يوم واحد، وَخُلقت السماوات أيضًا في ذلك الأسبوع بعينه لا في غيره.

٤٠٢- «خُلِقَتْ المَلائِكَةُ مِنْ نُوْرٍ وَخُلِقَ الجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ وَخُلِقَ آدَمُ مِمَا وُصِفَ لَكُمْ».

رواه مسلم والإمام أحمد عن عائشة -رضي الله عنها-.

قوله: «وَخُلِقَ الجَانُّ» أي: أبو الجن، وهو إبليس، قوله: «مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ» أي: من لهب النار الخالي من الدخان، وقوله: «مِمَا وُصِفَ لَكُمْ» أي: مما بيّنه الله لكم في القرآن، كقوله:

﴿مِن تُرَابٍ﴾ (آل عمران: ٥٩)

وقوله:

﴿مِّن طِينٍ﴾ (الأعراف: ١٢)

وقوله:

﴿مِن صَلۡصَٰلٖ كَٱلۡفَخَّارِ﴾ (الرحمن: ١٤)

أي: أصلـه التراب، وعُجن بالماء فصار طينًا، وبعد يبسـه صار صلصالًا، أي: طينًا يابسًا له صلصلة وطنين إذا نُقر، فسبحان الخالق الأكبر وتبارك الله أحسن الخالقين.

٤٠٣- «خمروا الآنية، وأوكئوا الأسقية، وأجيفوا الأبواب، واكفتوا صبيانكم عند المساء، فإن للجن انتشارا وخطفة، وأطفئوا المصابيح عند الرقاد، فإن الفُويسقة ربما اجترت الفتيلة فأحرقت أهل البيت».

رواه البخاري عن جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما-.

قولـه: «خَمِّرُوا» أي: غَطُّوا، و «الآنِيَة»: جمع إناء بوزن كتاب، قولـه: «أَوْكُئُوا» بهمزة بعد الكاف المكسورة، أي: اربطوا أفواه الأسقية وهي جمع سقاء، قوله: «أَجِيفُوا» بجيم وفاء أي: أغلقوا، قولـه: «اكْفِتُوا صِبْيَانَكُمْ» بهمزة وصل وكسر الفاء بعدها مثناة فوقية أي: ضموهم إليكم وأدخلوهم البيوت وامنعوهم من الحركة والخروج عند المساء أي: ما بين المغرب إلى العشاء فإن الجن له انتشار وتفرق وانبعاث في ذلك الوقت، قوله: «خَطَفَةً» بالتحريك جمع خاطف كخادم وخدمة وكاتب وكتبة، قولـه: «وَأَطْفِئُوا

الْمَصَابِيحَ» أطفئوا بهمزة قطع وكسر فاء والمصابيح جمع مصباح وهو السراج الذي يُستضاء به، «الرُّقَادِ» بضم الراء النوم، أي: أطفئوا السرج عند إرادة النوم، و «الْفُوَيْسِقَةَ»: بالتصغير: الفأرة، قوله: «اجْتَرَّتِ» بزيادة تاء الافتعال، أي: جرَّتْ وشدَّتْ، «الْفَتِيلَةَ» الخيط الذي يُوقد مغموسًا في نحو زيت فإن كان نحو القنديل معلقًا ويُؤمن ضرره لم يطلب إطفاؤه.

٤٠٤- «خمس صلوات كتبهن الله على العباد، فمن جاء بهن لم يضيع منهن شيئا استخفافا بحقهن كان له عند الله عهد أن يدخله الجنة ومن لم يأت بهن فليس له عند الله عهد إن شاء عذبه وإن شاء أدخله الجنة».

رواه مالك في الموطأ والإمام أحمد عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه بإسناد صحيح.

قوله: «كَتَبَهُنَّ» أي فرضهن على كل مكلف كل يوم وليلة، قوله: «اسْتِخْفَافًا» خرج به السهو فلا مؤاخذة فيه وإن طلب عند التذكر والتدارك قوله: «عَهْدٌ» أي: كفالة وضمان ووعد لا خلف فيه، وشأن من حافظ عليها كذلك أن تنهاه عن الفحشاء والمنكر، قوله: «بِحَقِّهِنَّ» خرج به السهو فلا مؤاخذة وإن طلب عند التذكر التدارك، قوله: «عَهْدٌ» أي: كفالة وضمان ووعد لا خلف فيه، وشأن من حافظ عليها كذلك أن تنهاه عن الفحشاء والمنكر، قوله: «إِنْ شَاءَ.. .إلخ» فيه دليل على أن أهل المعاصي لا يقطع فيهم بشيء

بل أمرهم مفوض إلى الله إن شاء عذبهم وإن شاء عفا عنهم، نسأله تعالى العفو والعافية، وقد ورد مرفوعًا: «خمس صلوات من حافظ عليهن كن له نورا وبرهانا ونجاة يوم القيامة، ومن لم يحافظ عليهن لم يكن له نور يوم القيامة ولا برهان ولا نجاة وكان يوم القيامة مع فرعون وقارون وهامان وأبي بن خلف» (٦٢).

ورد أيضا: «خمس صلوات افترضهن الله -عز وجل- من أحسن وضوءهن وصلاهن لوقتهن وأتم ركوعهن وخشوعهن كان له على الله عهد أن يغفر له ومن لم يفعل فليس له على الله عهد إن شاء غفر له وإن شاء عذبه»(٦٣).

٤٠٥- «خمس فواسق يقتلن في الحل والحرم: الحية، والغراب الأبقع، والفأرة، والكلب العقور، والحديا».

رواه مسلم عن عائشة -رضي الله عنها-.

قوله: «خَمْسٌ فَوَاسِقُ» تركيب إضافي وفسقها خروجها عن الاستقامة بخبثها وإفسادها، قوله: «يُقْتَلْنَ... إلخ» أي: يجوز قتلها للمحرم وغيره بل يُثاب على ذلك سواء قتلها في داخل الأرض المسماة حرمًا أو خارجها المسمى حِلًّا ولفظ الحرم ضبطه جماعة من المحدثين: بفتحتين أي: حرم مكة المشهور وبعضهم بضمتين جمع حرام ككتاب وكتب، أي: المواضع والبقاع

(٦٢) رواه ابن نصر عن ابن عمرو.

(٦٣) رواه أبو داود وغيره عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

المحرمـة، وهي أجزاء الحرم وبقاعه، قـال النووي: والفتح أظهر وهو المشـهور، وقوله: «الأَبْقَعُ» هو الذي في بطنه أو ظهره بياض وخَصَّـهُ بالذكر لمزيد خبثه، والمراد ما عـدا غراب الزرع من كل لأن الروايـات المطلقة أصح فأخذ بها الأكثرون وبعضهم تمسـك بالقَيـد، وَالْفَـأْرَةُ: بهمزة سـاكنة وبدونها، وَالكَلْـبُ العَقُورُ: هو الجـارِح قيل: هو النابح، وقيل: كل سـبع يعقر كالأسـد والذئب والحديـا تصغيـر حدأة بوزن عنبة، طائر معـروف، وروى أبو داود عـن أبي هريرة مرفوعًـا بلفظ: «خَمْـسٌ قَتْلُهُنَّ حَلاَلٌ فِـي الْحَرَمِ: الْحَيَّةُ وَالْعَقْرَبُ وَالْحِدَأَةُ وَالْفَأْرَةُ وَالْكَلْب الْعَقُورُ».

ورواه الإمـام أحمـد عن ابن عباس -رضـي الله عنهما-: «خَمْسٌ كُلُّهُنَّ فَاسِـقةٌ يَقْتُلُهُنَّ الْمُحْرِمُ وَيُقْتَلْنَ فِي الحَرَمِ الْفَأْرَة، وَالْعَقْرَبُ، وَالحَيَّـة، وَالْكَلْبُ الْعَقُـورُ وَالْغُرَابُ». أي المـؤذي بخلاف غراب الزرع.

وروى الشـيخان وأبـو داود عـن ابن عمر -رضـي الله عنهما- مرفوعًـا: «خَمْسٌ مِنَ الدَّوَابِّ لَيْسَ عَلَـىَ الْمُحْرِمِ فِي قَتْلِهِنَّ جُنَاحٌ: الغُرابُ، وَالحِدأةُ، وَالفَأْرَةُ، وَالْعَقْرَبُ، وَالكَلْبُ العَقُورُ».

ومفهوم العقور أن غيره يحرم قتله وهو الأصح عند الشـافعية، قـال النـووي: اختلف في المعنى فـي جواز قتلهـن كونهن مما لا يُـؤكل فكل ما لا يؤكل ولا هو متولد من مأكول وغيره فقتله جائز

للمحــرم ولا فديــة عليــه، وقال مالــك ﷺ: «المعنى فيــه كونهن مؤذيات، فكل مؤذ يجوز للمحرم قتله وما لا فلا».

٤٠٦- «خمس من الفطرة: الختان، والاستحداد، ونتف الإبط، وقص الشارب، وتقليم الأظفار».

رواه الشيخان عن أبي هريرة ﷺ.

قولــه: «خَمْسٌ» أي: خصال خمس من الفطرة. أي: من الســنة القديمة وشــرائع الأنبياء الســابقين اتفقت عليها الشــرائع، وفي بعــض الروايات التعبير بالســنة بدل الفطرة والمــراد بها الطريقة المشــروعة لا مقابل الفــرض؛ لأن بعضها مفــروض، وقد جاء في أحاديــث أخرى زيادة على الخمس، فعلــم أن الاقتصار عليها ليس للحصــر فيها، ونفــي الزيادة عليهــا قوله: «الْخِتَــانُ» بوزن كتاب مصــدر بمعنى قطع الجلدة التي تغطي حشــفة الذكــر، والمراد به ما يشــمل خِفــاض المرأة وهو قطــع الجلدة التي فــي أعلى فرجها فوق مدخل الذكر كالنواة أو كعرف الديك وقد اختلفت المذاهب فــي حكمه، فأوجبه الشــافعي وجمهور أصحابه وقــال أبو حنيفة: واجب غير مفروض على مذهبه، من أن الواجب دون الفرض، وقال المالكية: سنة للرجال مستحب للنساء، قوله: «والاِسْتِحْدَادُ» هو في الأصل حلق الشــعر النابــت على العانة بالحديــد، والمطلوب الإِزالة بأي شيءٍ كان، قوله: «قَصُّ الشَّارِبِ» هو الشعر النابت على الشــفة العُليا، قوله: «وَتَقْلِيمُ الأَظْفَارِ» جمع ظُفر بضمتين أو بضم

فسـكون، أي: إزالة ما زاد على ما يلابس رأس الإصبع لئلا يجتمع فيه الوسخ فيستقذر وربما منع وصول الماء إلى ما يجب غسله في الطهـارة فإن وصل إلى هذا الحد وجبـت إزالته على الأقوى، وقيل باغتفـاره، قوله: «وَنَتْفُ الإِبْطِ» أي: نتف شـعره، والسـنة تحصل بمطلق الغزالة بأي وجه كان لكن نتفه لمن استطاعه أفضل.

٤٠٧- «خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم وتصلون عليهم ويصلون عليكم وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم».

رواه مسلم عن عوف بن مالك رضي الله عنه.

قولـه: «أَئِمَّتِكُمْ» أي: أمراؤكم، قولـه: «تُحِبُّونَهُمْ وَيُحْبُّونَكُمْ» أي: يعاملونكم بالشـفقة والإحسـان، ويقيمون العدل وينصحون لكـم وهذا عمـل المحب لمـن يحبه فينشـأ عنه أنكـم تحبونهم لإحسانهم إليكم، قوله: «وَتُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ...إلخ» المُراد بالصلاة معناهـا اللغـوي وهـو الدعـاء، أي: تدعـون لهم ويدعـون لكم، ويحتمـل إرادة الصـلاة الشـرعية وتخص بالجنـازة، أي: إذا ماتوا تشـهدون جنائزهم، وتصلـون عليهم، وهم يعملـون ذلك معكم أيضًا لما بينكم وبينهم من المودة والألفة فهذا في الحقيقة مترتب على ما قبله، وما يُقال فيما يأتي، يُعلم مما تقدم.

٤٠٨- «خِيَارُكُمْ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلاقًا».

رواه الشيخان عن عبد الله بن عمرو – رضي الله عنهما –.

قولـه : «أَحَاسِـنُكُمْ» جمع أحسـن ، قوله : «أَخْلاقًـا » جمع خُلق بضمتيـن وهو الخصلـة والطبيعة ، وهـو منصوب علـى التمييز ، وإنما جُمع أحسـن على أحاسـن ؛ لأن أفعل التفضيل يُثنّى ويُجمع إذا لـم يقتـرن بمن ، ولو كان مضافًا كما هنـا ، والمقصود من هذه الأخبـار الحـثّ على مـكارم الأخلاق فمـن كانت فيـه غريزة وإلا تكلفها وراض نفسـه حتى تتعودهـا ، وروى البيهقي عن ابن عباس -رضـي الله عنهما- : «خياركم أحاسـنكم أخلاقا الموطئون أكنافا وشراركم الثرثارون المتفيهقون المتشدقون» .

يعنـي بالموطئين أكنافا : من ألَانُوا جوانبهـم وتواضعوا للناس وأحسـنوا معاشـرتهم كأنهم مهَّـدوا لهم جوانبهـم وجعلوها لهم مِهَادًا وفِراشًـا والثرثـارون : من الثرثرة : وهي كثـرة الكلام ، أي : المتكلفين كثرة الكلام ، والمتفيهقون الذين يتوسعون في القول ، ويفتحـون بـه أفواههـم ، والمتشـدقون الذين يحركون أشـداقهم بالكلام تَفَصُّحًا .

٤٠٩- «**خِيَارُكُمْ فِي الجَاهِلِيّة خِيَارُكُمْ فِي الإِسْلامِ إِذَا فَقُهُوا**».
رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه.

ومعناه : من كانوا خيار الناس وأشرافهم قبل البعثة ، فهم خيارهم بعد الدخول في الإسلام ، إذا عرفوا أحكام دينهم وتعلموا ، وإلا فلا فخذلهم بالشـرف الجاهلي بل من تفقه في الدين أشرف منهم في الإسلام ، ومثلهم في الجاهلية ، كما قيل :

العلمُ يَرفعُ بيتًا لا عِمادَ له

والجهلُ يهدِمُ بيتَ العزِّ والحَسَبِ

قوله: فقهوا بكسر القاف وضمها.

٤١٠- «خِيَارُكُمْ أَحَاسِنُكُمْ قَضَاءً لِلدَّيْنِ»(٦٤).

رواه الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه وقال الواعظي: حديث صحيح.

أي: من أفضلكم الذين هم أحسن تأدية للدين، ومع ذلك أن يدفع ما عليه برفق من غير مماطلة ولا إحراج لصاحب الحق، وأن يدفع قبل حلول الأجل وأن يدفع أفضل مما عليه قدرًا أو صفة اقتداءً برسول الله صلى الله عليه وسلم.

٤١١- «خَيْرُ الصَّدَقَةِ مَا كَانَ عَنْ ظَهْرِ غِنَىً، وابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ».

رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه.

قوله: «عَنْ ظَهْرِ غِنَىً» لفظ ظهر مقحم، أي: أفضل الصدقة وأكثرها ثوابًا ما كانت بعد غنى، أي: بعد أن يبقى بعد الصدقة مؤنة يومه وليلته، ومؤنة عياله وكسوة الفصل الحاضر كصيف أو شتاء لنفسه ولعياله، فليس المراد بالغنى كفاية العمر كله. والله أعلم.

٤١٢- «خَيْرُ الْمُسْلِمِينَ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ».

رواه مسلم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما

---

(٦٤) رواه الترمذي والنسائي بلفظ: «خِيَارُكُمْ أَحَاسِنُكُمْ...».

أي : أفضل المســلمين وأكملهــم وأرفعهم قدرًا وأعظمهم أجرًا من ترك أذى الناس بالقول والفعل، إنما خصَّ المسلمين بالسلامة من لســانه ويده؛ لشــرفهم وعظم حقهم فالذمــيّ والمُعاهد يجب على كل مكلف ترك أذاهم، قوله : «مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ» أي : من ضرره نطقًا أو إشارةً، قوله : «وَيَدِهِ» أي : أذاه باليد أو غيره، وإنما خصَّهَا بالذكــر لكثرة مزاولــة الأعمال بها، فآل الأمر إلى ما قدمنا : من أن الناس سلموا من أذاه قولاً أو فعلًا وشمل سلامتهم من جسده إياهم بقلبه وإســاءة ظنه بهم وتكبره عليهم ونحو ذلك من الأفعال التي ليس مصدرها اليد، فما أحسنه من حديث جامع.

٤١٣- «خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، ثم يجيء أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته».

رواه الشيخان عن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنهما -

قولــه : «قَرْنِي» أي : أهله الذيــن رأوني وكانوا أحياء في عهدي، وآمنــوا بي وهم : الصحابــة فكل واحد منهم خيــر من جميع أهل العصــور بعدهم وينتهــي أمرهم بعد البعثة إلى نحو مئة وعشــرين ســنة، قوله : «ثُمَّ الَّذِيْنَ يَلُونَهُمْ» أي : يقربون منهم ويرونهم ســواءً ماتوا في حياتهم أم عاشــوا بعدهــم، وهم التابعون فكل فرد منهم أفضــل ممن بعدهم من حيث كونه تابعًــا، وإن كان بعض أفراد من تابعــي التابعيــن يفضل عليهم من جهة أخــرى، كالعلم مثل بعض

المجتهدين وانتهت مدتهم إلى تسعين سنة بعد المئة الأولى، «ثُمَّ الَّذِيْنَ يَلُونَهُمْ» هم أتباع التابعين فكل واحد منهم أفضل من الذين بعدهم من حيث إنه من تابعي التابعين، كما قد علمت فيمن قبلهم وانتهى أمرهم إلى عشرين سنة بعد المئة الثانية، قوله: «تَسْبِقُ. . .إلخ» أي: أن لهم حالين فمرة يشهدون ثم يحلفون، ومرة يحلفون ثم يشهدون بأن يقول أحدهم: أشهد بكذا والله أو بالعكس، فجرأتهم على اليمين مع الشهادة دليل على رقة دينهم، فإن المطلوب من الشاهد إذا طلب منه الحاكم تأدية الشهادة أن يؤدِّيها على وجهها، سواء قُبلت أم لم تقبل، ولا يحلف لا قبلها ولا بعدها. رواه مسلم عن عائشة -رضي الله عنها- بلفظ: «خير الناس القرن الذي أنا فيه ثم الثاني ثم الثالث». وروى مسلم عن أبي هريرة ﷺ مرفوعا: «خير أمتي القرن الذي بعثت فيه ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يخلف قوم يحبون السمانة يشهدون قبل أن يستشهدوا». ورواه الطبراني بلفظ: «خير الناس قرني ثم الثالث ثم يجيء قوم لا خير فيهم»[٦٥].

أي: في البعض منهم وهو إخبار عن غيب وقع، فقد ظهرت البدع بعد القرون الثلاثة، ظهورًا فاحشًا، وأطلقت المعتزلة ألسنتها، ورفعت الفلاسفة رءوسها، وامتحن أهل العلم بالقول

(٦٥) رواه الطبراني عن ابن مسعود رضي الله عنه .

بخلق القرن، وساء الحال، واشتدت الأهوال ولم يزل أمر الدين في نقص إلى الآن. نسأل الله النجاة من الفتن ما ظهر منه وما بطن.

٤١٤- «خير صفوف الرجال أولها، وشرها آخرها، وخير صفوف النساء آخرها، وشرها أولها».

رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه

قوله: «خَيْرُ صُفُوفِ الرِّجَالِ أَوَّلُهَا» أي: أكثرها أجرًا، أولها الذي يلي ظهر الإمام لاختصاصهم بمزايا كضبط أعمال الإمام والتحرز عن مرور أحد بين اليدين والفتح على الإمام إذا توقف والمبادرة إليه لحيازة فضله، قوله: «وَشَرُّهَا آخِرُهَا» أي: هو أقلّها ثوابًا، وهذا كاللازم لما قبله صَرَّحَ به حثًّا على التقدم إلى الأول وتنفيرًا عن التأخر الذي يدعو إليه الكسل فيفوته خير كثير، قوله: «وَخَيْرُ صُفُوفِ النِّسَاءِ آخِرُهَا.. .إلخ» جعل صفوف النساء عكس صفوف الرجال لأن المطلوب في النساء البعد عن مخالطة الرجال ما أمكن فكلما كان صفهن أبعد كان بالمطلوب أوفق، فكان الأجر أكثر والعكس بالعكس، وهذا فيما إذا اجتمع رجال ونساء أما إذا لم يكن معهن رجال فحكم صفوفهن كحكم صفوف الرجال.

٤١٥- «خَيْرُ نِسَائِهَا مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ وَخَيْرُ نِسَائِهَا خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ».

رواه الشيخان عن علي رضي الله عنه .

قوله: «نِسَائِهَا» الضمير إما للدنيا أو للجنة، فمرجعه معلوم من المقام، فمريم أفضل نساء زمنها على الإطلاق، وخديجة كذلك، فلا تعارض في الحديث لتفضيل مريم.

٤١٦- «خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه أدخل الجنة وفيه أخرج منها، ولا تقوم الساعة إلا في يوم الجمعة».

رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه.

قوله: «طَلَعَتْ فِيْهِ» في رواية: «عَلَيْهِ» والجملة صفة ليوم يُقصد بها التعيمم، أي: خير الأيام كلها؛ لأن طلوع الشمس متحقق في كل يوم، قوله: «وَفِيْهِ أُخْرِجَ.. .إلخ» هذا والذي بعده لم يظهر وجه لدلالتهما على خيرية يوم الجمعة إلا باعتبار ما يترتب عليهما من الخير الكثير، فإن خروج سيدنا آدم من الجنة ترتب عليه خروج الأنبياء والمرسلين والأولياء والصالحين من ذريته، وقيام الساعة هو المقصد الأعظم الذي في هذه الدنيا كالمقدمة له، ففيه يوفى العاملون أجورهم، ويسعد عباد الله الصالحون بالفوز الأعظم والرضوان الأكبر ويؤخذ للمظلوم بحقه، والمراد أن يوم الجمعة أفضل أيام الأسبوع فلا ينافي أن يوم عرفة أفضل منه؛ لأنه أفضل أيام السنة كلها، وقد روى مالك في الموطأ وأحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: «خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه أهبط وفيه تيب عليه وفيه قبض وفيه تقوم الساعة ما على

وجه الأرض من دابة إلا وهي تصبح يوم الجمعة مصيخة حتى تطلع الشمس شفقا من الساعة إلا ابن آدم وفيه ساعة لا يصادفها عبد مؤمن وهو في الصلاة يسأل الله شيئا إلا أعطاه إياه»[٦٦]. زاد أحمد «مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْم، أَوْ قَطْيعَةِ رَحم».

قوله: «مُصِيْخَةً» يُقال بالصاد والسين أي: مستمعة مصغية تنتظر قيامها، قوله: «شَفَقًا» بفتحتين آخره قاف، أي: خوفًا وفزعًا؛ لأن قيام الساعة خراب الدنيا وهلاك العالم، فكأنها أُلهِمَتْ أنها تقوم يوم جمعة بعينه، فهي تشفق من قيام الساعة في كل يوم جمعة في هذا الوقت، فإذا أشرقت الشمس أمنت قيامها وعرفت أنها لا تقوم في هذا اليوم، قوله: «إِلاَ ابْنَ آدَمَ» وفي رواية مالك في الموطأ: «إِلاَ الْجِنّ والإِنْس» استثناه من كل دابة؛ لأن اسم الدابة يُطلق على كل ما دبَّ على الأرض ودرج عليها، قوله: «وَفِيهِ سَاعَةٌ» أي: جزء خفي من الزمان في تعيينه بضع وأربعون قولًا أقربها أنها من جلوس الخطيب على المنبر إلى فراغ الصلاة، أو آخر ساعة من اليوم، قيل وقد كان ﷺ قد علم عينها، ثم أُنسيها ليجتهد الناس في العبادة كما حصل في ليلة القدر، قوله: «وَهُو فِي الصَّلاةِ» المراد الصلاة اللغوية وهي الدُّعَاء، أي: وهو يَدْعو فقوله: «يَسْأَلُ الله» تفسير للصلاة.

---

(٦٦) رواه مالك والإمام أحمد وغيرهما.

٤١٧- «**خيركم قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يكون بعدهم قومٌ يخونون ولا يؤتمنون، ويشهدون ولا يستشهدون، وينذرون ولا يوفون، ويظهر فيهم السمن**».

رواه البخاري عن عمران بن حُصين رضي الله عنه

قوله: «يَخُونُونَ» أي: تغلب فيهم الخيانة، قوله: «ويَشْهَدُونَ» أي: بالزور أو يبادرون بالشهادة قبل أن تُطلب منهم، قوله: «وَيَنْذِرون» بكسر الذال وضمها، قوله: «وَيَظْهَرُ فِيْهُمْ الْسِّمَنُ» بكسر السين وفتح الميم بعدها نون، أي: يحبون التوسع في المأكل والمشرب وذلك سبب السمن، وقيل المعنى: أنهم يتسمنون، أي: يتكبرون بما ليس فيهم ويدَّعون ما ليس لهم من الرفعة والشرف.

٤١٨- «**خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ**».

رواه البخاري والترمذي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

معناه: أن أفضلكم عند الله من تعلّم كتاب الله وعلَّمَهُ غيره، ولو حفظًا فقط، فإن معناه مع ذلك: وأفهمه غيره كان أفضل وأكمل.

٤١٩- «**خيرت بين الشفاعة وبين أن يدخل شطر أمتي الجنة فاخترت الشفاعة لأنها أعم وأكفى أترونها للمؤمنين المتقين؟ لا ولكنها للمذنبين المتلوثين الخطائين**»(٦٧).

رواه الإمام أحمد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه

---

(٦٧) رواه الإمام أحمد عن ابن عمر –رضي الله عنهما – وابن ماجه عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه .

قولـه: «خُيِّرْتُ. . .إلـخ» بالبنـاء للمجهـول، أي: خيرني ربي بين أن أشـفع في المذنبين من أمتي وأطلب لهم النجاة منه، وبين دخول نصفهم الجنة من غير شـفاعة في باقيهـم، بل يُخلَّدون في النـار، فاختـرت الشـفاعة لأن نفعها يعـم النصـف الباقي فيدخل جميعهم الجنة ولو بعد خروجهم من النار بالشـفاعة قوله: «لأَنَّهَا أَعَمُّ» لشمولها النصف الباقي، قوله: «أَتَرَوْنَهَا» بضم التاء بمعنى: أتظنونهـا قولـه: «المُتَلَوِّثِيْـنَ» جمع: متلوث، اسـم فاعل بمعنى متلطـخ بالآثـام تشـبيهًا للمتصـف بها بمـن تلطخ بالقـاذورات الحسـيّة، قوله: «الخَطَّائِيْنَ» أي: المكثرين من ارتكاب الخطايا. اللهـم سـلمنا مـن الخطايا وتُـبّ علينـا ولا تؤاخذنا بمـا اقترفنا بشفاعة نبيك ﷺ.

٤٢٠- «الخازن المسلم الأمين الذي يعطي ما أمر به كاملا موفرا طيبة به نفسه فيدفعه إلى الذي أمر له به أحد المتصدقين».

رواه الشيخان عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه

قولـه: «يُعْطِـي مَـا أُمِرَ بِـهِ» أي: يدفع إلى أخـذ المال الذي أمره مالكه بإعطائه إيَّاه زكاة أو صدقة أو تطوعًا، قوله: «كَامِلًا مُوَفَّرًا» حالان من ما الموصولة أي: تام العدد والمقدار والصفة، قوله: «طَيِّبَةً بِهِ نَفْسُهُ» أي: راضية نفسه بالإعطاء وهو حال من فاعـل يعطي علـى الظاهر، ويصح من الموصـول أيضًا، قوله:

«فَيَدْفَعُـهُ» عطف على يعطي وقُيِّدَ به لإِخراج من يخرجه كاملًا موفـرًا راضية به نفسـه ويعطيـه لغير من أمر له بـه تبعًا لهوى نفسه، قوله: «أَحَدُ المُتَصَدِّقِينَ» بالتثنية والجمع وهو خبر عن المبتـدأ الذي هو الخازن فعلى التثنية معناه :أن له أجر متصدق والمالـك كذلك فـكأن المتصدق اثنان هـو أحدهما من حيث مطلق الثواب والأجر وإن لم يتسـاويا فـي قدره، وعلى الجمع معناه: أنه معدود في المتصدقين من حيث الثواب على إيصال الصدقة، وإن لم يكن متصدقًا على الحقيقة بل ذاك هو المالك فقط.

٤٢١- «الْخَمْرُ مِنْ هَاتَيْنِ الشَّجَرَتَيْنِ النَّخْلَةِ وَالْعِنَبَةِ».

رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه

قولـه: «مِنْ هَاتَيْنِ» أي: الغالب فـي ذلك الوقت في تلك الديار أن يتخذ منهما وأما حقيقة الخمر اللغوية فالشراب المتخذ من ماء العنب خاصة.

٤٢٢- «الْخَيْلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيْهَا الْخَيْرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ الأَجْرُ وَالْغَنِيْمَةُ».

رواه الشيخان عن عروة الباقري رضي الله عنه

قوله: «مَعْقُـودٌ فِي نَوَاصِيْهَا الخير» أي: بذواتها وهو كناية عن ملازمة الخير لها قوله: «الأَجْرُ» بدل من الخير قوله: والمغنم بمعنى الغنيمة عطف عليه وكلاهما يبين الخير المعقود بنواصيها.

٤٢٣- «الخيل لثلاثة هي لرجل أجر، ولرجل ستر، وعلى رجل وزر، فأمّا الّذي هي له أجر فرجل ربطها في سبيل اللّه فأطال في مرج أو روضة، فما أصابت في طيلها من المرج والرّوضة كان له حسنات، ولو أنّها قطعت طيلها فاستنّت شرفا أو شرفين كانت آثارها وأرواثها حسنات له، ولو أنّها مرّت بنهر فشربت منه ولم يرد أن يسقيها كان ذلك حسنات ورجل ربطها تغنّيا وسترا وتعفّفا ثمّ لم ينس حقّ اللّه في رقابها ولا ظهورها، فهي له ستر، ورجل ربطها فخرا ورياء ونواء لأهل الإسلام، فهي له وزر».

رواه مالك في الموطأ والإمام أحمد والشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه.

قوله: «ثَلاَثَة» وجه الانحصار فيها أن الخيل إنما تُقتنى للركوب، أو التجارة وكل منهما إما أن يقترن بطاعة فهو طاعة، وهذا هو القسم الأول، أو بمعصية وهو القسم الثالث، أولا وهو القسم الثاني، قوله: «سِتْرٌ» بكسر السين المهملة أي: تستره من سؤال الناس من الفقر، قوله: «وِزْرٌ» بكسر الواو وسكون الزاي، أي إثم وذنب يعاقب عليه إن لم يعف الله عنه، قوله: «فَأَطَالَ لهَا» أي: للخيل حبلها، قوله: «فِي مَرْجٍ أَوْ رَوْضَةٍ» شك من الراوي، والمرج بميم مفتوحة فراء ساكنة آخره جيم: هو الموضع الذي فيه الكلأ المُعدّ لرعي البهائم فيه، ولم يقصد للتنزه، وأما الروضة

فهي المحل المعدّ للتنزه وفيه ماء وخضرة ولم يُقصد منه رعي البهائم فيه، وإن كان قد يحصل بكل ما لم يُقصد منه وأكثر ما يستعمل المرج في المكان المنخفض، والروضة في المكان المرتفع قوله: «طِيَلَهَا» بكسر الطاء وفتح المثناة التحتية بعدها لام: الحبل الذي تُربط فيه ويطول لها لترعى، قوله: «مِنَ الْمَرْجِ وَالرَّوْضَةِ» متعلق بأصابت وما قبله حال، أي: فما أصابت من المرج أو الروضة حال كونها في طيلها كانت تلك المراعي التي أصابتها حسنات، قوله: «فَاسْتَنَّتْ» بتشديد النون أي: عَدَتْ وجَرَتْ لتنشط ولا راكب عليها، وقيل: هو أن يرفع يديه ويطرحهما معًا، قوله: «آثَارُهَا» أي: علامات حوافرها في الأرض، أي: عددها، قوله: «بِنَهَرٍ» بفتح الهاء على الأفصح قوله: كان ذلك مع كونه غير قاصد سقيها فالأولى إذا كان قصد ذلك وإنما أُجر على شيء لم يَنْوِه لأنه تابع لما نواه، فإنه أطعمها ما أحوجها إلى الشرب، وأيضًا هو كان ينوي سقيها قبل أن تشرب بنفسها قوله: «تَغَنِّيا» بفتح التاء والغين المعجمة وكسر النون المشددة آخره مثناة تحتية، أي: استغناءً عن الناس قوله: «وَسِتْرًا» أي: تحرزًا عن الحاجة والفقر، قوله: «وَتَعَفُّفًا» أي: قناعةً وصونًا لنفسه عن التطلع لما في أيدي الناس، أي: إنه يقصد بنتاجها أو ما يحصل من أجرتها الغنى عن الناس وعدم سؤالهم قوله: «حَقَّ اللَّهِ فِي رِقَابِهَا» أي: متعلق برقابها، أي: بذواتها من القيام بمؤنها والشفقة عليها

فــي الركوب، قوله: «وَظُهُورِهَا» جمع ظهر، أي: بأن يحمل عليها الغـازي والمنقطع ونحو ذلك من المنافع التــي تصل الناس منها، وقيــل: المراد بالحق: الزكاة، وبه قال حمــاد وأبو حنيفة وخالفه صاحباه وفقهاء الأمصــار قائلين: لا زكاة في الخيل، وقوله: «فَهي لَهُ سِـتْرٌ» أي: صــون له من الفقر والحاجة وسـؤال النــاس، قوله: «فَخْــرًا» أي: تفاخرًا وتعاظمًا، قوله: «وَرِيَــاءً» أي: إظهارًا للطاعة والباطــن خلاف ذلك، قوله: «وَنِوَاءً» بوزن كتاب مصدر ناوئ نواءً كما هو أحد مصــدري فاعل ويجيء أيضًا على مفاعلة، يُقال ناوئ منــاوأةً أي: عادى معاداةً، قوله: «فَهِيَ لَــهُ وِزْرٌ» اللام للاختصاص، كما قيل به قوله تعالى:

﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا﴾ (الإسراء: ٧)

حرف الدال المُهملة

٤٢٤- «دخلت امرأة النار في هرة ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض حتى ماتت».

رواه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه

قولـه: «دَخَلَتْ امْرَأَةٌ» المراد أي: استحقت دخولها بارتكاب سيئة والأصح أن هـذه المرأة كانت مسلمة، وقوله: «فِـي هِرَّةٍ» أي: بسبب تعذيب هرة حتى ماتت جوعًا فقولـه: «رَبَطَتْهَا» كلام مستأنف قُصِدَ به بيان السبب ويُحتمل أن تكون الجملة نعتًا لامرأة قوله: «خَشَاشِ الأَرْضِ» أي: حشراتها.

٤٢٥- «دعاء المرء المسلم مستجاب لأخيه بظهر الغيب عند رأسه ملك موكل به كلما دعا لأخيه بخير قال الملك آمين ولك بمثل ذلك».

رواه مسلم عن أبي الدرداء رضي الله عنه

قولـه: «بِظَهْرِ الْغَيْبِ» لفظ ظهر مقحم، والمراد الدعاء له وهو لا يعلم ولو بحضرته فهو دعاء خالص نشأ عن رأفة بأخيه المسلم، وحبه له ما يحب لنفسـه، وقوله: «عِنْدَ رَأْسِـهِ. . .إلخ» بيان لسبب من أسباب الإجابة مع الترغيـب في هذا الدعاء، وقولـه: «مُوَكَّلٌ بِـهِ» أي: بالتأميـن على دعائه، والدعاء له بمثـل ما دعا لأخيه فإن الظاهـر أن قـول الملك: ولـك بمثل ذلـك دعاءٌ لـه، وإن احتمل الإخبار للتبشير والله أعلم.

٤٢٦- «دينـار أنفقته في سبيل الله، ودينـار أنفقته في رقبة، ودينار تصدقت به على مسكين، ودينار أنفقته على أهلك، أعظمها أجرا الذي أنفقته على أهلك».

رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه

قولـه: «دِيْنَارٌ» مبتـدأ، والجملة أنفقته بتـاء المخاطب صفته، وكـذا المعطوفـان بعـده، وجملـة: «أَعْظَمهَا . . .إلـخ» خبـر عن الجميع، والمراد بـ«سَـبِيْلِ الله» إما الجهاد أو مطلق وجود الخير، وقولـه: «فِي رَقْبَة» أي: فـي إعتاقها، وقوله: «أَنْفَقْتَـهُ عَلَى أَهْلِكَ» يعنـي النفقة الواجبـة والمندوبة، وإنما كان هـذا الأخير أعظمها أجـرًا؛ لأن الأهل إن كانوا أقـارب، فالإنفاق عليهم مع كونه عبادة تضمـن عبـادة أخرى وهي صلة الرحـم، وإن كان الأهل زوجة فهو قيام بمُتعيَّن عليه.

٤٢٧- «الدَّجَّالُ مَمْسُوحُ العَيْنِ مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ يَقْرَؤُهُ كُلُّ مُسْلِمٍ».

رواه مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه

قولـه: «الدَّجَّالُ» صيغة مبالغة مـن الدجل بمعنى التغطية؛ لأنه يُغطـي الحق بالباطـل، قوله: «مَمْسُـوحُ» أي: اليمنـى فموضعها ممسـوح كجبهتـه وهو معنـى ما جاء في روايـة أنه: «أَعْـوَرُ العَيْنِ اليُمْنـى» ولا ينافيها رواية: «أَنَّهُ أَعْوَرُ العَيْنِ اليُسْـرى»؛ لأن المراد بالعور العيـب وهما معيبتان إلا أن عيب اليمنى كونها ممسـوحة وعيب اليسـرى أنها ناتئة كحبة العنب الطافية أي: البارزة، قوله: «مَكْتُوبٌ . . .إلخ» هذه الكتابة إما حقيقية يُبصرها أهل الهدى دون

أهـل الضلال فيطيعونه، وإمـا كناية عن ظهـور علامات الحدوث وآيـات العجـز وأمارات نقصه حتـى كان ذلك خـط مكتوب على جبهتـه، والأول أقـوى، وإن اسـتدل من ذهب إلـى الثاني، بقوله: «يَقْـرَؤُهُ كُلُّ مُسْـلِمٍ» الشـامل للكاتب وغيـره؛ لأن ذلك من خرق العادة.

وروى البخـاري فـي تاريخه عن أُبيّ بن كعب ﷺ بإِسـناد رجاله ثقات: «الدَّجَّالُ عَيْنُهُ خَضْرَاءُ».

وروى مسـلم والإِمام أحمد عن حذيفـة بن اليمان رضي الله عنه مرفوعًا: «الدَّجَّالُ أَعْوَرُ العَيْنِ اليُسْـرى جُفَالُ الشَّـعْرِ مَعَهُ جَنَّةٌ ونارٌ فَنَارُهُ جَنَّةٌ وَجَنَّتُهُ نَارٌ».

ومعنـى «جُفَـالُ» بوزن غـراب: الكثير، ومعنى كـون جنته نار وبالعكـس أن التـي يخيل للنـاس أنها جنة هي فـي الحقيقة نارًا أو يقلبهـا الله نارًا على من أطاعه فأدخله فيها، والتي يراها الناس نارًا هـي في الحقيقة جنة أو يقلبها الله -تعالى- بقدرته فيصيرها جنة علـى من كذبه فأدخلـه فيها، فيجعلها الله عليه بردًا وسـلامًا كما جعلها لسيدنا إبراهيم عليه السلام ويحتمل أن يكون من تسميته السبب باسم ما يتسبب عنه أي: إن دخول جنته الحاصل لمن أطاعه سبب العـذاب بالنـار يوم القيامـة، ودخول ناره لمن كذبه سـبب التنعم بالجنـة كذلك، وروى الترمذي عـن الصديق رضي الله عنه: «الدَّجَّالُ يَخْرُجُ

مِنْ أَرْضٍ بِالمَشْـرِقِ يُقَالُ لَهَا خُراسَانُ يَتْبَعُهُ أَقْوَامٌ وُجُوهُهُمْ المِجَانُّ المُطْرقَةُ»[٦٨].

و «خُراسَانُ» بضم المعجمة وتخفيف الراء مدينة بأرض العجم، و «المِجَانُّ» بفتح الميم وتشديد النون جمع: مجن بكسر الميم وفتح الجيم وتشديد النون، وهو: الترس الذي يُتَّقى به السلاح، ويقال له: الدرقة، بفتحات، و «المُطرقَة» بضم الميم وتشديد الراء المفتوحة أي: المغشَّاة بالجلد الغليظ، وشُبِّهَت وجوه أتباعه بالأتراس المُغشَّاة بالجلود الصفيقة لما في وجوههم من مزيد استدارة وعرض وغلظ.

وروى الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة ﵁ مرفوعًا: «الدَّجَّالُ تَلِدُهُ أُمُّهُ وَهِيَ مَنْبُوذَة فِي قَبْرِهَا فَإِذَا وَلَدَتْهُ حَمَلَتِ النَّسَاءُ بالخَطَّائِينَ».

وقوله: «مَنْبُوذَة» مطروحة فيه بعد موتها، فيحيها الله فيه حتى تلده ثم تعود ميتة قوله: «حَمَلَتِ النَّسَاءُ...إلخ» معناه: أن كل امرأة تحمل بعد ولادته يكون ولدها فاسقًا كثير الخطايا، وهذا الحديث ضعيف مخالف لما ورد أنه مولود قبل البعثة النبوية، وعلى تقدير صحته يحتمل أن ولادة الخطائين كثرت في أيام ولادته بالقرب منها كشهرها أو سنتها.

٤٢٨- «الدُّنْيَا سِجْنُ المُؤمِنِ وَجَنَّةُ الكافِرِ».

رواه مسلم والترمذي عن أبي هريرة ﵁

---

(٦٨) رواه الترمذي والحاكم في المستدرك.

قوله: «سِـجْنُ المُؤمِنِ...إلخ» أي: إن المؤمن ما دام فيها بعيد عمـا أعده الله لعباده المؤمنين في الدار الآخرة مما لا عين رأت ولا أذن سـمعت ولا خطر على قلب بشـر فكأنه في سجن، وإن أُعطي فيهـا ما أُعطي مـن متاعها الفاني المنغص بالأكـدار، وهي للكافر الـذي أعدَّ الله له العذاب المقيم في العقبى كأنها جنة وإن سـاءت حالـه فيها، إن شـأن المؤمن فيهـا غالبًا الابتداء، فـلا يرى الراحة والنعيم إلا في آخرته، وشـأن غالب الكفار تعجل لهم الطيبات في الحياة الدنيا، فهي لغالب المؤمنين سجن، ولغالب الكفار جنة.

ومن اللطائف ما يُحكى عن سهل الصعلوكي الفقيه الخراساني، وكان ممـا جمع الله له رياسـتي الدين والدنيا أنـه كان ذات يوم في موكبـه إذْ خـرج عليه يهـودي وعليه ثياب دنسـة، فقال: ألسـتم تزعمـون أن نبيكم قال: «الدُّنْيَا سِـجْنُ المُؤمِـنِ وَجَنَّةُ الكافِرِ» وأنا كافر وتـرى حالي، وأنت مؤمن وترى حالك؟، فقال له: إذا صرت غـدًا إلى عـذاب الله كانت هذه جنتك، وإذا صـرت أنا إلى النعيم، ورضوان الله صار هذا سجني، فعجب الناس من فهمه وسرعة جوابه.

روى الإمـام أحمـد والطبرانـي عن عبد الله بن عمـر -رضي الله عنهمـا-: «الدُّنْيَا سِـجْنُ الْمُؤمِنِ وَسَـنَتُهُ فَـإِذَا فَـارَقَ الدُّنْيَا فَارَقَ السِّجْنَ والسَّنَةَ»[٦٩].

---

(٦٩) وغيرهما ولكن عن عبد الله بن عمرو بن العاص وليس ابن عمر .

أي: هي كالسجن وكالسنة أي: عام الجدب والقحط، فالمعنى أنــه مــا دام فيهما فهو فــي ضيق من المكان كالســجن، وضيق من العيش كأيام الجدب، فإذا فارقها كان في سعة من المكان والعيش

﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴾

(الإنسان: ٢٠)

ورُوِيَ عَــنْ عَائِشَــةَ -رضــي الله عنها- «الدُّنْيَــا لاَ تَصْفُو لِمُؤمِنٍ كَيْفَ وَهِيَ سِجْنُهُ وَبَلاَؤُهُ»(٧٠).

٤٢٩- «الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ».

رواه مسلم عن عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما-(٧١)

قولــه: «مَتَاعٌ» أي: شــيء يُتمتــع به أمدًا قليلًا كزاد المســافر، قولــه: «وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا...إلخ» أي: خيــر منافعها وما يُتمتع به فيها مــن الحظوظ الدنيوية هو المرأة الصالحــة، أي: لما يراد من الزوجــة بأن تكون ذات ديــن وخصال يقوم بها نظــام الزوجية من تدبير المعيشة وحسن العشــرة وحفظ المال وتربية العيال ونحو ذلــك، وقد جاء في الحديث تفســيرها بأنها التــي: «إِذَا نَظَرَ إِلَيْهَا سَرَّتْهُ وَإِذَا أَمَرَهَا أَطَاعَتْهُ وَإِذَا غَابَ عَنْهَا حَفِظَتْهُ»(٧٢).

---

(٧٠) رواه ابن هلال، والحاكم في تاريخه عن عائشة وأخرجه أيضًا: الديلمي.

(٧١) رواه مسلم لكن عن عبد الله بن عمرو بن العاص وليس عن عبد الله بن عمر كما قال الشيخ -رحمه الله-.

(٧٢) رواه أبو داود وغيره عن ابن عباس.

٤٣٠- «الدِّيْنَارُ بالدِّيْنَارِ لاَ فَضْلَ بَيْنَهُمَا وَالدِّرْهَم بِالدِّرْهَمِ لاَ فَضْلَ بَيْنَهُمَا».

رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه.

قولـه: «لاَ فَضْـلَ بَيْنَهُمَا» أي: لا زيادة من أحد الجانبين على ما يقابلـه فيجب في للمعاوضة الجنـس الواحد بعضه ببعض التماثل فـي القـدر والتقابض فور التسـليم للمعاوضة من ربـا الفضل وربا النسـيئة، فإذا اختلف الجنس كذهـب بفضة جاز التفاضل ووجب التقابض حذرًا من ربا النسـيئة، وجاء في رواية زيادة: «فَمَنْ زَادَ أَوْ اسْتَزَادَ فَقَدْ أَرْبَى».

أي: مـن دفع في الزيادة، ومن أخذ من الآخر، فقد تعامل بالربا الملعـون آكلـه وموكله فكلاهمـا آثم، فـإن إحداهما دافـع للربا والآخر آخذه.

روى الحاكـم عن علـي رضي الله عنه مرفوعا: «الدينـار بالدينار لا فضل بينهما والدرهم بالدرهم لا فضل بينهما فمن كانت له حاجة بورق فليصطرفهـا بذهب ومن كان لـه حاجة بذهب فليصطرفها بالورق والصرف ها وها» (٧٣).

أي: مقابضـة ومتاجـرةً بـلا تأخير للسـلامة من ربا النسـيئة، وإن جـازت الزيادة عند اختلاف الجنس، وقولـه: «هَا وهَا» بالمدّ والقصر، اسم فعل بمعنى خُذْ ويلزم من ذلك التقابض وهو واجب علـى الفـور عند مالـك وعند الشـافعي يجوز التراخي مـا داما في

(٧٣) رواه الحاكم في المستدرك وكذلك ابن ماجه.

المجلس، وروى الطبراني عن أبي سعيدٍ الخدري رضي الله عنه مرفوعًا: «الدينار بالدينار والدرهم بالدرهم وصاع حنطة بصاع حنطة وصاع شعير بصاع شعير ملح لا فضل بين شيء من ذلك»[(٧٤)].

أي: إن المعاوضة بين متحدي الجنس من النقدين والمطعومات يُحرم في الزيادة أحد العوضين عن الآخر، كما يُحرم فيها تأخير إحداهما في القبض، فإن وقع ذلك حرمت المعاوضة ولم تصح وأَثِمَ المُتعاوضان. والله أعلم.

(٧٤) رواه الطبراني والحاكم ولكن عن أبي أسيد الساعدي.

حَرْفُ الذال المعجَمة

٤٣١- «ذَاقَ طَعْمَ الإِيْمَانِ مَنْ رَضِيَ بِالله رَبًّا، وبالإِسْلام دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا».

رواه مسلم عن العباس رضي الله عنه

قولـه: «ذَاقَ...إلـخ» أي: أدرك ثمرته، وكَمُـلَ ثَوابه، فإطلاق الـذوق على ذلك مجاز، قوله: «رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا» أي: اكتفى باتخاذه ربًّا واعتقد انفراده بالألوهية ولم يطلب ربًّا سواه، قوله: «وبالإِسْلام دِينًا» أي: رضي أن يتمسـك بأحكام الدين الإسـلامي، وينقاد لها فيعمل المأمور به ويجتنب المنهي عنه، قوله: «وَبِمُحَمَّدٍ رَسُـولًا» أي: رضي برسالته وأذعن لها واعتقد حقيقتها، فمن رضي برسالته وتمسك بسنته وجد في قلبه حلاوة الإيمان، وفاز بالسعادة الأبدية والنعيم المقيم.

٤٣٢- «ذروني ما تركتم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه».

رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه

قولـه: «ذَرُونِي» أي: اتركوا سـؤالي عمَّـا لا حاجة لكم إليه ولا يعنيكـم، وقولـه: «مَـا تَرَكْتُـمْ» أي: مدة تركي أمركـم أو نهيكم فمـا مصدرية ظرفية، وقوله: «فَإِنَّمَـا هَلَكَ...إلخ» بيان لما ترتب من المسـاءلة علـى مثل ما نهوا عنـه مما فعلته الأمم السـابقة مع أنبيائهـم، فربما حصل لهم مثله، والعاقل من بغيره اعتبر، وكانوا يتعسـفون مع أنبيائهم ويراجعونهم في مسائل لا حاجة بهم إليها،

فيشرع لهم ما يشق عليهم ويأثمون إذا فرطوا فتعجل لهم العقوبة، وقد كانوا في غنى عن ذلك العناء، قوله: «فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ... إلخ» أي: إذا طلبت منكم أمرًا فعليكم أن تأتوا منه بما في طاقتكم، فإن الله لا يكلف نفسًا إلا وسعها، وإذا نهيتكم عن شيء فاتركوه فإن الترك مستطاع لا كلفة فيه، وهذا أصل جامع يجري عليه العمل في الدين كله، فما سكت عنه الشارع لا يُسأل عنه إذ لا يكلف فيه بشيءٍ وما أمر به فعل المكلف ما أمكنه منه وسقط عنه ما لا طاقة له به وما نهي عنه أمسك عن فعله.

٤٣٣- «ذكرت وأنا في الصلاة تبرا عندنا فكرهت أن يمسي أو يبيت عندنا فأمرت بقسمته».

رواه البخاري عن عُقبَة بن الحارث ﷺ

قوله: «تِبْرًا» بكسر المثناة الفوقية، وسكون الموحدة: هو الذهب الذي لم يُضرب، قوله: «فَأَمَرْتُ بِقِسْمَتِهِ» أي: الآن عقب انصرافي من الصلاة مبادرة في إيصال الحقوق لأهلها فتبيت عندهم.

وسببه ما رواه البخاري بسنده عن عُقبَة بن الحارث قال: صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ العَصْرَ، فَسَلَّمَ ثُمَّ قَامَ سَرِيعًا، فَتَخَطَّى رِقَابَ النَّاسِ إلى بَعْضِ نِسَائِهِ، فَفَزِعَ النَّاس مِنْ سُرْعَتِه، فَخَرَجَ عَلَيْهِم فَرَأى أَنَّهُمْ عَجِبُوا مِنْ سُرْعَته فَذَكَرَ لَهُمْ الحَديث.

٤٣٤- «ذَهَبَ الْمُفْطِرُوْنَ الْيَوْمَ بِالأَجْرِ».

رواه الشيخان عن أنس بن مالك ﷺ

سببه كما في البخاري عن أنس رضي الله عنه: «كُنَّا مَعَ النَّبيّ صلى الله عليه وسلم في سَفَرٍ أَكْثَرُنَا ظِلاًّ الَّذي يَسْتَظِلُّ بكِسَائِه، فَأَمَّا الَّذِينَ صَامُوا فَلَمْ يَعْمَلُوا شَيْئًا، وَأَمَّا الَّذِينَ أَفْطَرُوا فَبَعَثُوا الرِّكَابَ وَالإِبِلْ وَامْتَهَنُوا وَعَالَجُوا فَقَالَ النَّبي صلى الله عليه وسلم: ذَهَبَ الْمـُفْطِرُوْنَ الْيَوْمَ بِالأَجْرِ» أي: إنهم عملوا أعمالاً نافعة في حال إفطارهم اكتسبوا بها من الثواب ما زاد على أجر الذين تمادوا على الصوم في سفرهم، حيث نفعوا أنفسهم وغيرهم، وأما الصائمون فما حَصَّلوا إلا أجر الصوم القاصر على أنفسهم، وربما نالهم من الصوم مشقةً فكان الأولَى لهم الأخذ بالرخصة، وأن يفطروا في سفرهم وعليهم القضاء في أيام أُخَرْ، ففاز المفطرون بفضيلة العمل بالرخصة وفضيلة خدمة أنفسهم وإخوانهم، وقوله: «فَبَعَثُوا الرِّكَابَ» أي: أثاروا الإبل لسقيها وعلفها وخدمتها، وقوله: «وَامْتَهَنُوا» أي: خدموا أنفسهم وإخوانهم الصائمين ودوابهم وقوله: «عَالَجُوا» أي: أتعبوا أنفسهم في القيام بتلك المصالح وهذا السفر كان في جهاد فتقوُّوا بالفطر على الغزو أيضًا، فعظم الأجر وضاعف الله لهم الثواب رضوان الله عليهم.

٤٣٥- «الذهب بالذهب والفضة بالفضة والبر بالبر والشعير بالشعير والبر بالبر والشعير بالشعير والملح بالملح مثلا بمثل فإذا اختلفت هذه الأصناف فبيعوا كيف شئتم إذا كان يدا بيد».

رواه مسلم عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه

قولـه: «الذَّهَب بِالذَّهَبِ...إلخ» أي: بيعوا الأصناف المذكورة بعضها ببعض سواء كان العوضان من صنف واحد أومختلفين، فإن اتحـدا صنفًا جازت المعاوضة مع تسـاويهما فـي القدر والتقابض فـورًا أو مـادام المجلـس وإن اختلفا صنفًـا جاز التفاضـل بينهما فـي المقدار، ووجب التقابض كما سـبق، وهـذا إذا كان التحالف فـي الصنف مـع اتحاد الجنـس ككونهمـا نقديـن أو مطعومين، فإذا اختلفا جنسًـا، كمطعـوم بنقد أو ثياب لم يجـب التماثل في المقدار ولا التقابض، فلا يدخلهما ربا فضل ولا نسـيئة، وما ذكر في الحديـث من الأصناف بعضه نقد وبعضـه مطعوم، والربويات المتفق عليها لا يخرج عنهما، وتمام ذلك في كتب الفقه.

حـرف الـراء

٤٣٦- «رَأَى عِيسَى ابنُ مَرْيَمَ رَجُلًا يَسْرِقُ فَقَال لَهُ: أَسَرَقْتَ؟ قَالَ: كَلَّا وَالَّذِي لاَ إِلَه إِلَّا هُوَ، فقَالَ عِيسى: آمَنْتُ بِالله وَكَذَّبْتُ عَيْنِي».

رواه الشيخان عن أبي هريرة ﵁

قوله: «أَسَرَقْتَ؟» بهمزة الاستفهام التقريري، ويُروى بدونها، إما على الإخبار أو على تقديرها، قوله: «كَلَّا» هو بمعنى النفي، أي: لا. وَأَكَّده بالقسم بعده، قوله: «آمَنْتُ بِاللّٰه» أي: صدقت الحالف به، قوله: «وَكَذَّبْتُ عَيْني» يُرْوَى بتشديد الذال وبتخفيفها مع إدخال الهمزة على الفعل وسكون الكاف، فتعديته على الأول بالتضعيف، وعلى الثاني بالهمز، وقوله: «عَيْني» يُروى بالإفراد والتثنية ومعنى تكذيب مشاهدة العين أن يحمل الأخذ حقًّا في المال، وهذا منه ﵇ في تصديق الحالف وتحسين الظن بالناس إذ لا يليق بالمؤمن أن يحلف باللّٰه كذبًا، ويؤخذ منه أن الحدود تُدرأ بالشبهات، وأن القاضي لا يقضي بمجرد علمه، وهو الراجح عند المالكية والحنابلة، وخَصَّهُ الشافعية بالحدود، وهذه الصورة منها.

٤٣٧- «رأيت ليلة أسري بي موسى رجلا آدم طوالا جعدا، كأنه من رجال شنوءة، ورأيت عيسى رجلا مربوعا مربوع الخلق إلى الحمرة والبياض، سبط الرأس، ورأيت مالكا خازن النار والدجال».

رواه الشيخان عن عبد اللّٰه بن عباس -رضي اللّٰه عنهما-

قوله: «رَأَيْتُ» أي: بصرت، والمبصرات أرواح الأنبياء متشكلة بصورهم التي كانوا عليها في الدنيا، قوله: «آدَمَ» بمدّ الهمزة أي: أسمر من الأدمة بوزن لقمة، وهي السمرة يعني أن بياضه يخالطه حمرة. قوله: «طُوَالاً» بضم الطاء وتخفيف الواو بمعنى طويل، قوله: «جَعْدًا» أي: جعد الجسم مجتمعه لا جعد الشعر على الأصح، قوله: «كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ» أي: أنه يشبه في صورته رجال الحي المسمى بشنوءة بشين معجمة مفتوحة فنون فواو فهمزة فهاء، والشنوءة: في الأصل التباعد من الأدناس، لُقِّبَ به أبو حَيٍّ من اليمن، وهو عبد الله بن كعب بن عبد الله بن مالك بن مضر بن الأَزْد بفتح الهمزة وسكون الزاي آخره دال مهملة؛ ولذلك يُقال لهم أيضًا: أَزْدُ شَنُوءَةَ وَلُقِّبَ أَبُوهم: بذلك لطهارة نسبه، وقيل لِشَنآنٍ كان بينه وبين أهله، ولقبوا الحي بلقب أبيهم، فقالوا لهم شنوءة والقصد نسبهم إليه كما في نظائره، وقوله: «مَرْبُوعَ الْخَلْقِ» أي: إنه ربعة متوسط بين الطويل والقصير، قوله: «إِلَى الحُمْرَة» أي: إن لونه يميل إلى كل منهما، فليس خالص البياض ولا الحمرة، قوله: «سَبْطَ الرَّأْسِ» أي: مُسْتَرْسِلِ شعر الرأس.

٤٣٨- «رأيت عمرو بن عامر الخزاعي يجر قصبه في النار وكان أول من سيب السوائب وبحر البحيرة».

رواه الشيخان والإمام أحمد عن أبي هريرة ﷺ

قولــه: «عَمْـرَو بْـنَ عَامِرٍ» المعروف في نسـبه عمـرو بن لُحَيٍّ بالتصغيـر: ابن قمعة بفتح الميم وسـكونها ابـن إلياس بن مضر، وفـي روايـة للبخاري عـن أبي هريرة قـال رسـول الله ﷺ: «رَأَيْتُ عَمْـرَوَ بن عَامِرٍ لحي بن قمعة بن خندف أبـو خزاعة». وفي رواية لـه أيضًا عن أبي هريرة قال النبي ﷺ: «رَأَيْتُ عَمْرَو بْنَ عَامِرٍ يَجُرُّ قُصْبَهُ فِي النَّارِ وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ سَـيَّبَ السَّوائِبَ» فلعله نُسِبَ مَرةً إلى أبيــه عامر، ومرة إلـى جده لحي، وعمـرو هذا كافـرٌ عبد الأوثان ودعـا الكفار إلـى عبادتها، وسَـيَّب السـوائب، وبَحَـرَ البَحَائِرَ، وَأمـر النـاس بذلك فتبعوه، فكان أول من سـن لهم ذلك، وسـبب عبادته الأصنام أنه توجه إلى ساحل جدة فوجد الأصنام التي كانت تُعبـد في زمن نوح وإدريس -عليهما السـلام- وهي: ودّ وسـواع ويغوث ويعوق ونسـر، فحملها إلى مكة ودعا الناس إلى عبادتها، فانتشرت عبادة الأصنام في العرب، قوله: «سَيَّبَ السَّوَائِبَ» جمع سـائبة: وهي الناقة يسـيبونها تقربًـا منهم لآلهتهـم فلا يحملون عليها بل يرسـلونها تذهب حيث شـاءت فلا تُمنع من رعي، أي: مرعى مرت عليه، وبعد سِمَنِهَا يأمرون بذبحها للآلهة ولا ينتفعون منها بشيء، قوله: «وَبَحَرَ البَحِيرَة» هي: الناقة يمتنعون من حلبها ويتركون لبنها لخدمة الطواغيت تقربًا، ونقل المفسـرون اختلافًا كثيرًا عن أهل اللغة في معنى البحيرة والسائبة والوصيلة والحامي عند تفسير قوله تعالى:

﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٖ وَلَا سَآئِبَةٖ﴾

(المائدة: ١٠٣)

قوله: «قُصْبَهُ» بضم فسكون: أمعاؤه ومصارينه.

٤٣٩- «رأيت كأن امرأة سوداء ثائرة الرأس، خرجت من المدينة، حتى نزلت بمهيعة فأولتها أن وباء المدينة نقل إليها».

رواه البخاري عن عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما-

قوله: «رَأَيْتُ» أي في المنام كما في رواية الطبري، قوله: «ثَائِرَةَ الرّأْسِ» بمثلثة أي: منتشرة شعر الرأس، قوله: «خَرَجَتْ» في رواية: «أُخْرِجَتْ» بهمزة مضمومة أوله على البناء للمجهول، والمراد بالمدينة طيبة، قوله: «مَهْيَعَةَ» بوزن منفعة وقيل بوزن عظيمة وهي اسم للجحفة بجانب رابغ بها ماء من شرب منه ولو يسيرًا أصابته الحمى لوقته؛ ولذلك نهي الفقهاء عن شرب مائها لانتقال الحمى للمدينة النبوية إليها، فإن رؤياه ﷺ وتفسيره لها حقٌّ، والحمى المنقولة إليها هي الحمى الوبائية الشديدة التي كانت بالمدينة وأما ما يُصيب الإنسان بالمدينة من الحمى الآن فهي الحمى الاعتيادية التي توجد في جميع البلاد كباقي الأمراض، قوله: «فَأَوّلْتُهَا» أي: أولتها وفسرتها، قوله: «وَبَاءَ الْمَدِينَةِ نُقِلَ إِلَيْهَا» أي: حُمَّاها الوبائية، قيل: وجه التأويل أن أخذ من السوداء السوء والداء ففسر خروجها بخروج ما جمعه لفظ السوداء، والتأويل:

هو التفسـير وبيان مدلول اللفظ أو بيان المراد منه بقرائن يعرفها أهل التعبير .

٤٤٠- « رُؤيَا المُؤمِنِ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ ».

رواه الشيخان والإمام أحمد عن أنس بن مالك رضي الله عنه

قوله : « جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ » هذه الرواية أصح الروايات وهي واحـدة من عشـر روايـات أقلها جزء من سـتة وعشـرين وأكثرها جزء من سـتة وأربعين ، أوجزء من تسـعة وأربعين أوجزء من سبعة وأربعيـن جزء من تسـعة وأربعيـن أوجزء من خمسـين أوجزء من سـبعين وهذه الأخيرة تلي الأولى فـي الصحة ، ومعنى كونها جزءًا من النبوة أنها تجيء موافقة في الصدق لأخبار النبوة ، فكأنها منها إلا أنهـا جزء من علمها لأنهـا انقطعت ، فعلمها باقٍ أو أن لها نوع شـبه بها في صدق الإخبار عن الغيب ، وأما تخصيص عدد الأجزاء وتفصيلها فالحق أنه من المتشـابه الذي لا يعلمه إلا الله ورسوله أو ملك من ملائكته ، فلا نخوض في حكمة تخصيص العدد خصوصًا وقد اختلفت الروايات فيه وما وَجَّهُوا به لا يطرد .

٤٤١- « رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها، وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها، والروحة يروحها العبد في سبيل الله أو الغدوة خير من الدنيا وما عليها ».

رواه البخاري والإمام أحمد عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه

قوله: «رِبَاطُ» بالراء المهملة والموحدة بوزن كتاب، أي: الإقامة ببلدة من أطراف بلاد الإسلام كدمياط والإسكندرية، بقصد صد العدو ومقابلته لو جاءها، سواء كان المرابط من أهل تلك البلدة أو غيرها، خلافًا لمن خصه بمن سافر إليها، قوله: «فِي سَبِيلِ اللَّهِ» أي: بقصد الجهاد كما هو المراد عند الإطلاق، وإن كان سبيل الله قد يُطلق على الطريق الموصل إلى رضاه مطلقًا، قوله: «خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا» أي: ثوابه أكثر من ثواب من تصدق بالدنيا وما عليها، قوله: «وَمَوْضِعُ سَوْطِ أَحَدِكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ» والمقصود أن أقل بقعة مما أُعِدَّ للمجاهدين في الجنة كموضع سوطه أنفس وأغلى قيمة من الدنيا وما عليها؛ لأن نعيم الجنة دائم ونعيم الدنيا زائل، وإذا كان الأقل كذلك، كان الأكثر أولى، قوله: «وَالرَّوْحَةُ» أي: المرة من الرواح، وهو الذهاب والمشي في وقت الرواح وهو ما بعد الزوال، قوله: «الْغَدْوَةُ» أي: المرة من الغدو وهو الخروج وقت الغداة، أي: أول النهار إلى الزوال، والمراد المرة من الذهاب في أي وقت ولو ليلًا، ومن مات مرابطًا جرى عليه ثواب عمله الذي كان يعمله حال رباطه إلى يوم القيامة، ويجري عليه رزقه كالشهيد فقد روى مسلم عن سلمان الفارسي مرفوعًا: «رِبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ وَإِنْ مَاتَ مُرَابِطًا جَرَى عَلَيْهِ عَمَلُهُ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُهُ وَأَجْرِيَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ وَأَمِنَ مِنْ الفَتَّانِ» وروى الإمام

أحمد في مسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - مرفوعًا: «رِبَاطُ يَوْمٍ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ وَقِيامِهِ».

وروى الترمذي وغيره عن عثمان بن عفان ﷺ مرفوعًا وصححه الحاكم: «رِبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيْلِ اللهِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ يَوْمٍ فِيْمَا سِوَاه مِنَ المَنَازِلِ»[٧٥]. أي: أفضل من رباط ألف يوم في عبادة أخرى مندوبة غير الرباط في سبيل الله ولعل الجهاد مستثنى مما سواه الرباط.

وروى الطبراني عن أبي الدرداء بإسناد صحيح: «رِباطُ شَهْرٍ خَيْرٌ مِنْ صِيام دَهْرٍ، وَمَنْ مَاتَ مُرَابِطًا فِي سَبِيْلِ اللهِ أمِنَ مِنَ الفَزَعِ الأَكْبَرِ وَغَدِيَ عَلَيْهِ بِرِزْقِهِ وَرِيح مِنَ الجَنَّة وَيَجْرِي عَلَيْهِ أَجْرُ المُرابِطِ حَتَّى يَبْعَثَهُ اللهُ».

٤٤٢- «رُبَّ أَشْعَثَ مَدْفُوعٍ بِالأَبْوَابِ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى الله لأَبَرَّهُ».

رواه مسلم والإمام أحمد عن أبي هريرة ﷺ

قوله: «أَشْعَثَ» أي: ثائر الرأس مُغْبَرَّهُ، قد أصابه الجهد حتى أصابه الشعث وظهرت عليه الغبرة، وقال النووي: الأشعث الملبد الشعر المغبر غير مدهون ولا مرجَّلٌ أي: مُسرَّحٌ، قوله: «لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لأَبَرَّهُ» أي: لو حلف على حصول شيء يطلبه أكرمه الله بإجابة سؤاله، وصيانته على الحنث في يمينه، لعظم منزلته عند الله وإن كان حقيرًا عند الناس، وقيل: معنى القسم هنا الدعاء، ومعنى إبراره: إجابته، وقيل غير ذلك.

---

(٧٥) رواه الترمذي والنسائي والحاكم.

وروى الحاكم وصححه عن أبي هريرة ﷺ مرفوعًا: «رُبَّ أَشْعَثَ أَغْبَرَ ذِي طِمْرَيْنِ تَنْبُو عَنْهُ أَعْيُنُ النَّاسِ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى الله لأَبَرَّهُ»[٧٦].

ومعنى «ذِي طِمْرَيْنِ»: صاحب ثوبين خلقين أي أن ثيابه قديمة وسخة لا قيمة لها، ومعنى «تَنْبُو عَنْـهُ أَعْيُنُ النَّاس»: أنهم يغضون عنـه أبصارهم احتقارًا له، وروى البزار عن عبد الله بن مسـعود ﷺ بإسـناد صحيح مرفوعًا: «رُبَّ ذي طِمْرَيْنِ لاَ يُؤبَهُ لَهُ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى الله لأَبَرَّهُ». زاد ابن عدي: «لَوْ قَالَ: اللَّهُمَّ إِنْي أَسْأَلُكَ الجَنَّة لأَعْطَاهُ الله الجنَّة وَلَمْ يُعْطِه مِنَ الدُّنْيَا شَيْئًا»[٧٧].

ومعنى: «لاَ يُؤبَهُ» بالبناء للمفعول بهمزة موحدة فهاء، أي: لا يُبَالَى به، ولا يُلْتَفَتُ إليه، فلا ينبغي لأحد أن يحتقر مؤمنًا.

٤٤٣- «رَحِمَ الله عَبْدًا سَمْحًا إِذْ بَاعَ سَمْحًا إِذا اشْتَرَى سَمْحًا إِذا قَضَى سَمْحًا إِذا اقْتَضى».

رواه البخاري عن جابر ﷺ

قوله: «رَحِمَ الله» يحتمل أن تكون إنشائية المعنى وهو الظاهر، قولـه: «سَـمْحًا» بفتح السـين وسـكون الميم، صفة مشـبهة من السـماحة بمعنـى السـهولة، قولـه: «إِذا قَضَـى» أي: طلب حقَّه،

---

(٧٦) وكذلك رواه أبو نعيم في الحلية.

(٧٧) هذه الزيـادة ذكرها المناوي في فيض القدير جـ٣، وكذلك ذكرها صـاحب تطريز رياض الصالحين.

والمقصود من الحديث: الحثّ على التسامح في المعاملة وترك المشاحنة فينبغي التخلق بذلك للدخول في دعوته ﷺ.

٤٤٤- «رَحِمَ اللهُ مُوسَى لَقَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ».

رواه الشيخان عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

قوله: «لَقَدْ أُوذِيَ» أي: آذاه قومه بأكثر مما آذاني به قومي، قوله: «فَصَبَرَ» أي: احتمل ولم يعاقبهم وفوض أمره إلى الله؛ وسبب الحديث أنه ﷺ لما قسَّمَ غنائم حُنين وفضَّل بعض الناس على بعض لمصلحة شرعية، قال رجل: هذه قسمة ما عُدل فيها ولا أُريد بها وجه الله، فتغير وجهه ﷺ وقال: من يعدل إذا لم يعدل الله ورسوله رحم الله موسى فقد أوذي بأكثر مما أوذيت ففيه تسلية لنفسه عملاً بقول الله ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾

(الأنعام: ٩٠)

وقوله: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ﴾

(الأحقاف: ٣٥)

٤٤٥- «رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل على ورغم أنف رجل دخل عليه رمضان ثم انسلخ قبل أن يغفر له ورغم أنف رجل أدرك عنده أبواه الكبر فلم يدخلاه الجنة»[٧٨].

رواه الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال الواعظ: حديث صحيح

(٧٨) رواه الترمذي والحاكم.

قولـه: «رَغِـمَ» بفتح الراء وكسـر الغين المعجمـة أي: التصق بالرُّغـام وهـو التراب وهو كنايـة عن إهانته وتحقيـره، وكرره مع كل ذي خصلة من الثلاث لزيادة التنفير والتحذير، قوله: «قَبْلَ أَنْ يُغْفَرَ لَهُ وَرَغِمَ» أي: قبل أن يتوب ويُحسـن العمل حتى يُغفر له فإن شـهر رمضان من أعظم مواسـم الغُفْران فسُحْقًا لمن فَرَّطَ فيه حتَّى فاته.

وروى الإمام أحمد بإسـناد حسـن: «رمضان شـهر مبارك تفتح فيه أبواب الجنة وتغلق فيه أبواب السـعير وتصفد فيه الشياطين، وينـادي منـاد كل ليلـة: يـا باغـي الخيـر هلـم، ويا باغي الشـر أقصر»(٧٩).

قولـه: «فَلَـمْ يُدْخِـلاهُ» أي: عَقَّهُمَا أو عَقَّ أحدهمـا ولم يبرهما حتـى يترتب على البر دخول الجنة، فإن رضا الرب في رضا الوالد وسـخط الرب في سـخط الوالد، كما رواه الترمذي وغيره بسـند صحيح. وقد ورد أيضًا: «الجَنَّةُ تَحْتَ أَقْدَام الأُمَّهَات».

وروى الإمام أحمد ومسـلم: «رَغِمَ أَنْفُهُ، رَغِـمَ أَنْفُهُ، رَغِمَ أَنْفُهُ» قيل: مَنْ يا رسـول الله؟ قال: مَنْ أَدْرَكَ وَالِدَيْه عِنْدَ الْكِبَرِ: أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا ثُمَّ لَمْ يَدْخُل الجَنَّة».

وهو على التأويل الذي ذكرناه، وتكرير قوله: «رَغِمَ أَنْفُهُ» ثلاثًا مبالغة في التنفير والتحذير، «وَالِدَيْهِ» مفعول أدرك، والكبر فاعله

(٧٩) رواه الإمام أحمد والبيهقي.

وأحدهمـا أو كليهما منصوبان على البدلية من أبويه وهذه الجملة المكـررة تحتمل الدعاء والإخبار، اللهم رب ارحمهما كما ربياني صغيرًا.

٤٤٦- «**رَكْعَتَا الْفَجْرِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا**».

رواه مسلم عن عائشة – رضي الله عنها –

المُـراد بهمـا الركعتان قبل صلاة الصبـح ، أي: ثوابهما الذي يدخـره الله لمصليهما أنفـس وأغلى من كل ما يُغتنم به في الدنيا، أو أفضـل من ثواب التصدق بجميع ما فـي الدنيا على فرض ملكه والتصدق به، وفي ذلك من الترغيب فيهما ما لا يُخفي.

٤٤٧- «**الراحمون يرحمهم الرحمن تبارك وتعالى: ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء**»[٨٠].

رواه الإمام أحمد والترمذي وقال: حسن صحيح.

قولـه: «الراحمـون» أي: لمن فـي الأرض من آدمـي وغيره مما لـم يؤمـر بقتله، والرحمة فـي حق الخلق: رقة فـي القلب تقتضي الإحسـان، وإنما قـال: الراحمون الـذي هو جمع راحـم ولم يقل الرحمـاء الذي هـو جمع رحيـم؛ لأن رحيما صيغـة مبالغة بمعنى كثيـر الرحمة فيوهم اختصـاص رحمته تعالى عن كثير الرحمة مع أنـه يرحم كل مـن فيه أصل الرحمـة قوله: «من في السـماء» أي: مـن الملائكـة بدليـل رواية: «ارحمـوا أهـل الأرض يرحمكم أهل

(٨٠) رواه الإمام أحمد وأبو داود والترمذي والحاكم عن عبد الله بن عمرو.

السماء»[٨١]. والمراد برحمتهم دعاؤهم واستغفارهم للمؤمنين كما قال تعالى:

﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾

(الشورى :٥)

وهذا الحديث اشتهر بأنه مسلسل بالأولية إلا أنها ليست متصلة في جميع سنده كما هو معروف لدى المحدِّثين.

٤٤٨- «الرَّحِمُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ تَقُولُ مَنْ وَصَلَنِي وَصَلَهُ اللَّهُ وَمَنْ قَطَعَنِي قَطَعَهُ اللَّهُ».

رواه مسلم عن عائشة – رضي الله عنها –

قوله: «معلقة بالعرش» لعل الله خلق صورة سماها الرحم تقول هذا القول كما في نظائره من المعاني الوارد فيها ما يختص بالأجسام، والرحم: القرابة، وقد تطلق على نفس الأقارب لتراحمهم أو لأنهم يجمعهم رحم واحد، قوله: «وصلني» أي: بالبر والإحسان، قوله: «وصله الله» أي: ببره وإحسانه، وقوله: «قطعني» أي: قطع عني الصلة والبر والإحسان، قوله: «قطعه الله» أي: قطع عنه رضاه وإحسانه، وقد ورد في فضل صلة الرحم والتحذير من قطيعتها أحاديث كثيرة، منها ما رواه البخاري: «الرحم شجنة من الرحمن: قال الله من وصلك وصلته، ومن قطعك قطعته». و«شجنة» بوزن شجرة ويجوز في أوله الحركات الثلاث وهي في الأصل: الشعبة من غصون الشجرة

(٨١) رواه أبو داود.

استعملت في هذا اللفظ مجازا لأخذه من اسم الرحمن وتوافقه معه في أصل حروفه.

كما ورد: «أنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته»[٨٢].

٤٤٩- «الرَّضَاعَةُ تُحَرِّمُ مَا تحرِّمُ الولادةُ».

رواه الشيخان عن عائشة – رضي الله عنها –

قوله: «الرَّضَاعَةُ» بفتح الراء مصدر كالرَّضاع، قوله: «تُحَرِّمُ... إلخ» أي: يترتب عليها محْرَمِيَّة كمحْرَمِيَّة الولادة من الرضيع، لما تغذى بلبن المرضع الذي هو جزءٌ منها كولدها من الولادة، فترتب على ذلك بعض أحكام الولادة من حرمة النكاح وجواز الخلوة بمن صارت محرمًا له من الرضاعة وليست كالولادة في الإرث ووجوب النفقة وعتق الأصول على الفروع وعكسه بالملك ونحو ذلك من أحكام الأمومة الحقيقية.

وسبب الحديث أنَّ رسول الله ﷺ كان في بيت عائشة، فَسَمِعَتْ رَجُلًا يستأذن ليدخل في بيت حفصة، فقالت عائشة: يا رسول الله، هذا رجل يستأذن في بيتك؟ فقال: أُراه فلان وكان عم حفصة في الرضاعة – فقالت عائشة: لو كان فلان حيًّا –وهو عَمُّهَا من الرضاعة– دخل عَلَيَّ؟ فقال رسولُ الله ﷺ: «نَعَمْ، إِنَّ

(٨٢) رواه الإمام أحمد والبخاري في الأدب المفرد وأبو داود والترمذي والحاكم عن عبد الرحمن بن عوف، والحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه، وتكملته: «ومن بتها بتته».

الرِضَاعــة تُحرّمُ . . .إلــخ » وفي رواية : « يَحْرُمُ مِــنَ الرَّضَاعَةَ مَا يَحْرُمُ مِــنَ الْــوِلاَدَةِ » ، وفي رواية عن عروة ﷺ أن عائشــة –رضي الله عنها – أخبرتــه أنه جــاء أفلح أخــو أبي القُعَيْــس يســتأذن عليها بعدما نــزل الحجاب وكان أبا القعيس أبا عائشــة –رضــي الله عنها – من الرضاعــة ، قالت عائشــة : فقلــت والله لا آذن لأفلح حتى أســتأذن رســول الله ﷺ ، فــإن أبــو القعيس ليــس هو الــذي أرضعني ولكن أرضعتنــي امرأته ، قالت عائشــة فلما دخل رســول الله ﷺ قال : يا رســول الله إن أفلح أخوأبي القعيس جاءني ليســتأذن عليَّ فكرهت أن آذن له حتى أســتأذنك . قال : قالت : فقال النبي ﷺ : إيذني له . قــال عروة : فبذلك كانت عائشــة تقــول : حَرِّموا مــن الرضاعة ما تُحَرِّموا من النســب . وأجمعوا على انتشــار الحرمة بين المرضعة وأولاد الرضيــع وبيــن الرضيــع وأولاد المرضعــة ، وأنــه في ذلك كولدها من النســب للأحاديث الصحيحة الصريحة في ذلك ، وأما الرجل المنســوب إليه ذلك اللبــن لكونه زوج المرأة المرضعة ، أو وطئها بملك أو شــبهة ، فمذهب العلماء كافة ثبوت حرمة الرضاع بينــه وبين الرضيــع ويصير والدًا لــه ، وأولاد الرجل أخوة الرضيع وأخواتــه ، وتكوين أخــوة الرجل أعمام الرضيــع ، وأخوات الرجل عمــات الرضيع وتكــون أولاد الرضيع أولاد الرجــل ، ولم يخالف فــي هذا الأصــل إلا أهل الظاهر وابن علية ، فقالــوا : لا تثبت حرمة

الرضاع بين الرجل والرضيع ونقله المازري عن ابن عمرو عائشة واحتجوا بقوله تعالى:

﴿وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِيٓ أَرۡضَعۡنَكُمۡ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ﴾ (النساء: ٢٣).

ولم يذكر البنت ولا العمة كما ذكرها في النسب، واحتج الجمهور بهذه الأحاديث الصحيحة الصريحة في عم عائشة وعم حفصة، وقوله ﷺ مع إذنه فيه: أنه يحرم من الرضاعة ما يحرم من الولادة، وأجابوا عما احتج به غيرهم من الآية: أنه ليس فيها نص بإباحة البنت والعمة ونحوهما لأن ذكر الشيء لا يدل على سقوط الحكم عما سواه على تقدير أن لا يعارضه دليل آخر، كيف وقد جاءت هذه الأحاديث الصحيحة وشرط ترتب أحكام الرضاع عليه أن يكون في الحولين قبل الفطام، لحديث الترمذي عن أم سلمة - رضي الله عنها - قال: قال رسول الله ﷺ: «لاَ يحَرِمُ مِنَ الرَّضَاعِ إلاَّ مَا فَتَقَ الأَمْعَاء فِي الثَّدْي وَكَانَ قَبْلَ الفِطَامِ». أي: ما وسع الأمعاء، بمعنى أنه يحصل به التغذي، وألحق مالك بالحولين ما قاربهما كشهر بعدهما، فجعل الرضاع فيه محرمًا أيضًا لأن ما قارب الشيء يُعطي حكمه، والأحكام التي تترتب على الرضاع: هي أن المرضعة تكون أمًّا للرضيع كأمه من النسب، وأصولها وفروعها وحواشيها، ويجوز له الدخول عليها والخلوة بها ولمسها لا ينقض الوضوء، وليست كأمه من الولادة في جميع الأحكام فلا يجب عليه نفقتها ولا تُنفق عليه إذا ملكها ولا يرثها ولا ترثه.

حرف الزاي

٤٥٠- «زَادَكَ الله حِرْصًا، وَلاَ تَعد».

رواه البخاري عن أبي بكرة رضي الله عنه

قولـه: «زَادَكَ اللهُ...إلـخ» جملة خبرية لفظًا قُصِـدَ بها الدعاء، والخطـاب لأبي بكر الصديـق رضي الله عنه لما بلغـه صلى الله عليه وسلم أَنْ أَحْرَم بالصلاة وركع قبل أن يصل إلى الصف مخافة أن تفوته الركعة مع الإمام، ثم مشـى وهو راكع إلى أن وصل إلى الصف، أي: مشيًّا قليلًا لا يُبطل الصلاة كخطوة أو خطوتين، فدعا له أن يزيده الله من الحرص على العبادة وأوصاه أن لا يعود إلى الاقتداء قبل الوصول إلى الصف فإنه مكروه، قوله: «وَلاَ تَعد» بفتح التاء وضمّ العين من العَوْدِ، وَضبطه بعضهم: بسكون العين وضم الدال من العَدْو بمعنى الإسراع، أي: لا تُسْرِع في المشي إلى الصف بل امش على هينةٍ فيما أدركت مع الإمام فصلّ، وما فاتك فأتمه بعد سـلام الإمام كما ورد في حديث آخر.

٤٥١- «زار رجل أخا له في قرية فأرصد الله له ملكا على مدرجته، فقال أين تريد قال أخا لي في القرية فقال: هل له عليك من نعمة تربها. قال لا: إلا أني أحبه في الله قال: فإني رسول الله إليك أن الله أحبك كما أحببته».

رواه مُسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه

قوله: «عَلَـى مَدْرَجتِهِ» بفتح الميم وبالـراء والجيم أي: طريقه التـي يدرج الناس عليها ويمشـون فيها قوله: «أَخًـا لِي» أي: أُريد أخًا لي في الله، أي: زيارته، قوله: «تَرُبُّهَا» أي: تراعيها وتحفظها،

قولــه : «إِلاَّ أَنِّــي» بفتح همزة أني ، قولــه : «أَنَّ اللّٰه» أي : بأن اللّٰه وهو متعلق برســوله ، وفي رواية فَإِنَّ اللّٰه . قــال العلماء : محبة اللّٰه عبده : رحمتــه لــه ورضــاه عنــه ، وإرادة الخير لــه ، وفــي الحديث : فضل الحــب في اللّٰه وأنه ســبب لمحبة اللّٰه العبد وفيــه أيضًا فضيلة زيارة الصالحيــن والإخوان في اللّٰه ، وفيه أن الآدمي يرى الملك ، لكن إذا تمثل بصورة غير صورته التي خُلق عليها .

٤٥٢- «زَيِّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ».

رواه مسلم عن البراء بن عازب رضي الله عنه

قولــه : «زَيِّنُــوا الْقُــرْآنَ» المراد بالقــرآن : القراءة أي : أحســنوا تلاوتكــم للقرآن بالصوت الحســن ، لمــا ورد : «لِكُلِّ شَــيءٍ حِلْيَة وَحِلْيَةُ القُرْآنِ الصَّوْتُ الحَسْنُ» [٨٣] .

ويشــهد لهــذا حديــث أبي موســى الأشــعري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم اســتمع لقراءته فقال : «لَقَــدْ أُوْتِيتَ مِزْمَــارًا مِنْ مَزَامِيــرِ آلِ داود . فقــال : لَوْ عَلِمْــتُ لَحَبَّرْتُهُ لَــكَ تَحْبِيرًا» [٨٤] . أي : حســنت تلاوته تحســينًا وزينتهــا ، فالمقصــود أن يتلــوه القــارئ مُرتــلًا بالترتيل المأمور به في قوله :

﴿ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ﴾

(المزمل : ٤)

---

(٨٣) رواه البزار وابن عدي عن عبد الله بن محرز، عن قتادة، عن أنس مرفوعًا.

(٨٤) رواه مسلم.

فيأتـي بالحـروف بأحكامهـا ومدودهـا ويتمهل فـي القراءة، وقيـل: هـو علـى القلب والأصـل: زينـوا أصواتكم بالقـرآن أي: اشـغلوها بالقـرآن والجهر به واتخـذوه زينة لها، ويؤيـده رواية: «زَيِّنُوا أَصْوَاتَكُمْ بِالقُرْآنِ»[85]. والأُولَى أولَى.

وروى الحاكـم: «زَيِّنُوا القُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ فإِنَّ الصَّوْتَ الْحَسَـنَ يَزِيدُ القُرْآنَ حُسْنًا»[86].

---

(٨٥) رواه طلحة عن عبد الرحمن بن عوسجة عن البراء.

(٨٦) رواه الحاكم عن البراء.

الفهرس